

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

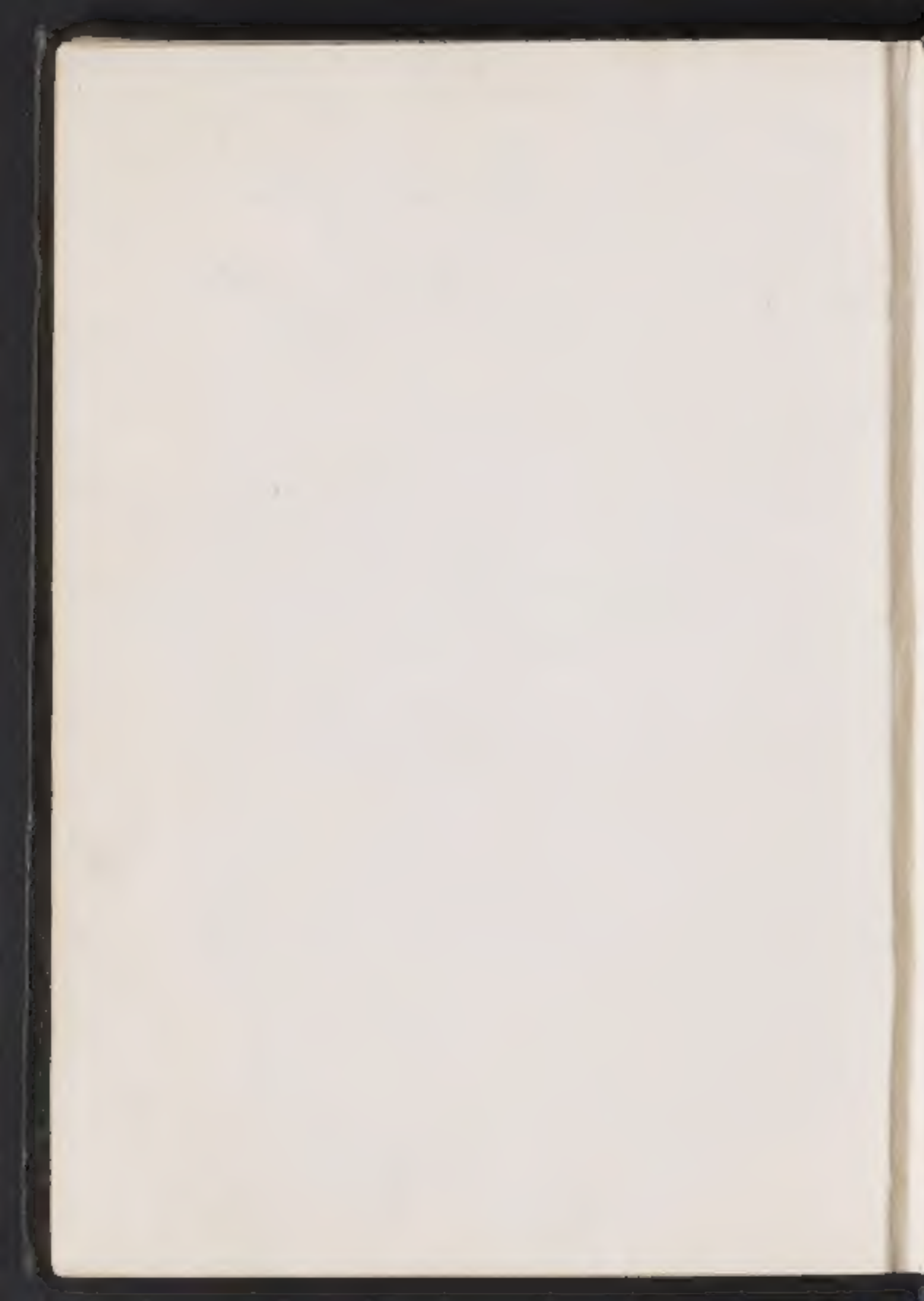


3 8534 01050 3096



FROM THE  
LIBRARY OF  
THE  
AMERICAN UNIVERSITY  
IN  
CAIRO

من مكتبة  
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



04-B 1870 Pst

ML

332

H43

1951

al-Hifnī, Mahmūd Ahmad.  
al-Mūsīqā al-ʿArabīyah wa-ḍalāmihā.

سبل التاريخ الويقي

# الموسيقى العربية وأعلامها

من الجاهلية إلى الاندلس

تأليف  
دكتور محمود أحمد الحفني

VA; 903  
Z. J.  
9

7837.

# فهرس

صفحة

٧

مقدمة

## القسم الأول

٤٨-١٧ . المائة إجمالية ،

١٩ . . . . . العصر الجاهلي

٢٥ . . . . . عصر صدر الإسلام وبنى أمية

✓ ٣٥ . . . . . عصر الدولة العباسية

٤١ . . . . . عصر الأندلس

## القسم الثاني

٣٤١-٤٩ . الأعلام ،

١٥٤-٥١ : أعلام عصر صدر الإسلام وبنى أمية :

٥٣ . . . . . سائب غائر

٥٨ . . . . . ابن مسجح

٦٤ . . . . . عزة الميلاء

٧٣ . . . . . جميلة

٨٣	ابن محرز
٨٧	ابن سريج
٩٨	الغريض
١٠٤	معيد
١٢٠	حنين الحيرى
١٣١	ابن عائشة
١٤١	سلامة القس
١٤٨	مالك بن أبى السمع
٣١٩-١٥٥	<u>أعلام الدولة العباسية :</u>
١٥٧	ابراهيم الموصلى
١٧٠	زلزل
١٧٥	يحيى المكي
١٨٢	ذات الخال
١٨٩	بذل
١٩٥	عليه بنت المهدي
٢٠٩	دنانير
٢١٤	متمم الحشامية
٢٢٢	فريدتان
٢٣١	شارية

٢٣٧	ابراهيم بن المهدي
٢٥٠	ابن جامع
٢٥٨	بخارق
٢٦٤	اسحق الموصلي
٢٨٦	عريب
٢٩٧	الكندي
٣٠٦	الفارابي
٣١١	ابن سينا

### أعلام عصر الأندلس:

٣٢١-٣٤١

٣٢٣	زرياب
٣٢٣	ولادة بنت المستكفي
٣٢٨	عبد الوهاب بن الحاجب
٣٤٣	عهد الخلفاء

July 1st 1894

Friday

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

July 1st 1894

June

## مقدمة

إن المصنفات التي نطالع بها القراء في سلسلة التاريخ الموسيقي ، ما تزال متتابعة الحلقات ، متواصلة الصفحات . وهذا الكتاب « تاريخ الموسيقى العربية وأعلامها » حلقة جديدة من تلك السلسلة ذات الشعب والمناحي والفروع والأطراف .

ومع أن ما سبقه من مصنفاتنا كان يمتاز في كثير من نواحيه وموضوعاته بألوان متفردة وبفواصل مبتكرة وتحقيقات تاريخية كان لنا شرف التتقيب عنها والكشف عن مكوناتها . فإن الأهمية في هذا الكتاب أوضح هدفاً وأوصل قرأً . فإننا نسجل فيه بداية موسيقانا العربية ، وانبثاق أنوارها ، ومدى تطورها مع ارتقاء المدنية الإسلامية وتأثيرها في الشعوب وتأثرها بها ، وتنقلها بين العواصم والحواضر ، وتناول عهود الخلفاء لها بلاطاً بعد بلاط وعصر بعد عصر .

كل ذلك نجده في هذا الكتاب ، وهو باعتبار آخر يعد سجلاً فنياً لمجموعة قيمة من أعلام العروبة التي تحفزت الآن في كل ناحية لجمع كلتها ، واكتشاف معادن ثروتها ، وكنوز ثرائها ، وبعث عوامل القوة والحياة واليقظة بين مختلف شعوبها ، جامعة أول

أهدافها لتاريخ تدوين صحفه وتحاسب عصوره وتناقش معامه حتى  
يفضى إليها بما لها فيه من مدثر وأبعاد .

ولعل هذه العروة قد وفقت إلى تعرف أعلامها وعومها  
ووضعت يدها على الجيوم للامعة في أكثر أبواب الحياة . لقد  
نعت أعلام الشعروثث والآداب واليالي ، وأيتقت عبارة اللغة  
واسير والتفوق المحففة . في مؤلفات فردية على سبيل البحث  
المستندس حول شخصية كبيرة . أو في مصفات تصم بمجموعات  
من ذلام الأعلام في عصر من العصور أو العصر أو الوطن .

وبنت الموسيقى العربية وأعلامها لا تنسبها لعروبة إلا في  
شلت المصادر إن عدا "تاحت على بعضها ، وقلبا يصيبه ذلك غناء  
أو حوى . فلو صوغ ما يقس دراسة وحدا كما يقول العلماء ، ولم  
يصح المناقشات كما أصبحت غيره في بحث الألفاظ والأعلام  
كاسبي وأبي لعل وأبي سم والحقري مثلا ، فمن يستطيع الباحث  
أن يحل مشكلات من لا سمحى صنت حسابهم بيتا بعد بيت  
وقصدا بعد قصيد . ولم يدع من حبانهم حنرة ولا من أعمالهم  
حنوة ولا وسعها بين عاسي الباحث المدقق ، ويسرت على الناس  
أمرها لغة . وتعرف بانهم وتعمق في نتاج أفكارهم . ولم يكن  
للموسيقى العربية وأعلامها من ذلك حظ ولا نصيب .

وما كان من طمعه في بحث أعلام ما سقاها .

بهم قائمة النجوم في تاريخها ، على أن يكون ما يقدم من  
التأليف في حلة العصر ومظهره وفي أسلوب واضح الحدة وتاريخ  
كامل التصفية والتقية . ولئن طرقت المصادر القديمة بعض أخبار  
هؤلاء الأعلام في شيء من الإيجاز تارة ومن الإيضاح البغيض  
تارة أخرى في لون من الأدب السافر المكشوف ، فلعمري إنه  
الخير للمرء أن يظل بعيداً عن معرفة أولئك الأعلام من أن يبدو  
مهم في تلك المصادر أو بعضها ، حيث يرى من محو التصوير  
أحياناً ومن سوء الاحدثة وكذب النقل أحياناً أخرى ما يفض  
إلى المرء الاطلاع ويرده خجلاً آسفاً .

وإن التخصيص الذي قاد منه الأدب ولعلم على تايح القرون  
في الممالك العربية لم يتناول الموسيقى وأعلامها ، فإن هذا اللون من  
الدراسة التاريخية العلمية ، المبنية على الوثائق الموثقة ، والقائمة على  
الأسانيد والحجج المقطوع بسلامتها ، لم يكن معروفاً في الشرق  
ولا في العالم إلا منذ عهد قريب . وهذا هو الذي أفصح الخيال  
للطنون والشبهات . ووجد المصدرون للكتابة عن الموسيقى  
والموسيقين أنفسهم أحراراً طلقاء لا يجدون من يناقشهم الحساب ،  
فأطلقوا أنفسهم العنان ، وركبوا رؤوسهم في كل مذهب من  
الخيال ، لأنها راحة مريحة لا تشق على النفس كثيراً . وراح بعضهم  
يتحدث عن أبياء الموسيقى وأعلامها فيسلك طريقة الإخباريين

سبع وسائل أهل الأحاديث في رواية الخبر مستندا معنفا متصلا  
برويده فلان عن فلان عن فلان . ولم يكن ذلك إلا تحاكاة وشكلا  
وخدمة حمل السامع والتأري على التصديق

وأنجب من هؤلاء أصحاب العلل المعوية فقد قرأت بإحدى  
البرقيات العبدية التسمية الخفية طه بدا الكتب العامة بـ  
ن صلباً سأل أستاذه عن معنى كلمة موسى ، فلم يحشم الأستاذ  
سسه بحث عن أصولها عند قدماء الإغريق بل رعبه أن اشتافها  
اشفق موسى . جمع أصه من بني إسرائيل كانوا مع موسى  
الكليم وأصهيه "تصاع" فاستسقى من بني لقومه وصرع بعصاه الحجر  
فصارت لعمون ، وقيل به من أروحي السماوات ، ثم سى اسق  
فصارت هذه البقعة موسى ، ثم سأل من "تصاعل" و"تصاعل"  
والخبر من في "تصاعل" فهو ما يباين من مسر اسد بفارابي بأن  
أصهيه "تصاعل" ، و"تصاعل" حين سأل أن تصر صنع العود  
لـ "تصاعل" فكل خرجته "تصاعل" ولم يشك له و"تصاعل" به عند  
"تصاعل" سبه "تصاعل" من "تصاعل" ثم حدث أن فرص القار  
وجه العود فأحدث فيه فتحة أكست صوته صحامه ورياً ، فسر  
أبو نصر واعتز بصنع "تصاعل" ، الذي أصبح دليله على الاكشاف  
أحدث فتحة سرف الأيوه وقف ، والتأري ، فقب مند ذلك  
أبو قت بالفارابي !! وحمل أصحاب هذه الأسطورة أن فتحة العود

قد سبقت بأحد واحداته ثلاث سنين عند قدماء المصريين  
وبقية المملوك شريعة كجملوا أن القاراني من قرية فاراب في ورام  
نهر سيحون (١)

ولم يكن ضبط في التأليف الموسيقي مقصوداً على مؤرخي  
العرب ، وإنما كان ذلك أثراً لحالة عقلية عامة عند المؤرخين في  
الشرق وفي العرب ، ممن لم يكتفوا أنفسهم عطاء البحث وبحث  
التحقيق عن الحقائق وإثباتها ومناقشة الأشخاص بالأشخاص ،  
والموازنة بين المصنوع والآراء والأقضية المستقيمة السليمة بين  
الآراء والآراء ، بل وصل إلى معرفة صدقته وتأييد عملية مقبولة  
ما أكثر ما يشتهر عام زمامت عظيم في ناحية ما حتى يحاص  
بهامة من بساط الخيال في البحث عنه وسنة أشياء وحوادث إليه  
وما أكثر ما تنسب له على هذا الوجه وتأخذ طريقتها من  
مستند إلى مصنف ، بل من لغة إلى لغة حتى تصح في مركز  
الحقائق القديمة عن قديمة نشت أو معاصرة ، إلى أن تأتي التارخ  
بوثائق الحاسمة التي تفرق أشتار الأوهام ، وتكشف أشتار الأباطيل  
عن وجه الحقة فتبدو سافرة بعد ما حال بها الازمدهي في  
عمار الضام .

ونذير على عدد شعاهد كثيرة مكتبي منها بالإشارة إلى

(١) راجع إلى تاريخ مصر القديمة

« جبدو الأريرى ، وقد عاش بأوروبا فى نهاية قرن لعاشر الميلادى .  
كان نابعة فذاً وعبقرياً متفرداً رفع الأمية الموسيقية بتلك الوثبة  
التي وثبها بالتدوين الموسيقى بما جعله أبا التدوين الحديث . وكان  
له التصل فى تسمية درجات السلم الموسيقى بمصطلحاتها الحارية الآن  
والمأخوذ بها فى الغناء الصولفى ، كما كان له من لتجارب العملية  
ما يشبه السحر . فكان من أثر ذلك أن كاد « جبدو » يصبح من  
الشخصيات الخرافية فى عالمه . لقد توسع المؤرخون فى  
تفسير وجوده وموهبته وأثره من غير أن يترددوا ولا اختراع  
يبتكر من مجهول إلا ويكول « جبدو » هو ذلك المجهول ، حتى  
لقد نسبوا إليه اختراع آلة « الكس » وسواها وأعد لكتاب ينقل  
بعضهم عن بعض ويتزايدون فى الرواية عنه والإشادة بعبقريته  
والتحدث عن معجزاته كأنه سليل سحرته الأصيل إنساناً وحناً  
وطيراً .. حتى ارتقت البحوث فى مدحى لفكره الخنفه ، وأصبح  
اتاريخ الموسيقى مادة مستغنى لها شعبتها العلمية أكامعه فى الدراسة  
والتخصص . ومن ثم لم يجد « جبدو » شئ كل شئ على نحو  
ما صوروه ، إنما بقي فى حدود الحقيقة ، له قصده ولكن فضله هو  
دون زيادة ولا نقص .

ولكن الجهود الحديثة التي أُنشئت هذه الدراسات الموسيقية  
بالجهد الخامع بدأت فى تلك الحرب ، وما برحت شحرتها فى نمو

حتى كانت لها ثمار وثمر . وبقيت الموسيقى في الشرق كما كانت  
يقبها فان عن فان وراوية عن راوية وكتب عن كاسب فلا يقال  
لأول ما فلك ، وما عليك . وما مبلغ دراستك ومدى ثقتك .. ؟  
ولا للثاني ما هي . . . وراوية ووسائل دراستك .. ؟

وكان هذا مصدر ما كتب من العناء حين حاول ما فلة  
المصادر لإخراج هذا الكتاب للناس على نحو دراسي على يجمع  
بين الإيجاز والإيضاح ، وبين الترتيب والتسبب واستخلاص  
الحناني من أوهام الأساطير وأكاس الأضابير . وذلك لما  
جعل هذا الكتاب غير قريب العهد بالبلاد ، فالتدقيق هو لاء  
الاعلام واحد بعد واحد ، وطلعت في بؤسهم وفنونهم  
عبر الحب وعصور ، من ثانيا المصادر العربية وغير العربية ،  
والمخطوطات القديمة والمطبوعات الحديثة ، في مصر تارة وفي  
مكتبات أوروبا تارة أخرى . وربما اشتبكوا في صراع عييف  
ليسبق بعضهم بعضا إلى الظهور . وكانت نفسى موضع هذا  
الصراع ، حتى استجبت إلى بعضهم وأطهرته وحده في مؤلفه  
الحاصل كاللكندي وابن سينا المدين ضرا نباعا بالعربية والألمانية .  
كما نعت دكرات ومآثر غير هذين فيما نشرت من موضوعات  
ومتالات في أكثر من مجلة أو كتاب ولكنهم ظلوا وأصراهم  
يظالبون بسنهم في مشرق نور المودة ونهضة مصر ، عن أن

تجميعها بـ واحد بعث أرنجها ما كان لـ العربية من القيمة  
الفنية العليا . فـ أبت بعد طول المدة أن أضيف بهم حلقة جديدة  
إلى سلسلة مصنفاتي في تاريخ الموسيقى ، ذلك المصنفات التي أعي  
فيها عناية خاصة بكل ما يتصل بالشرق قديمه وحديثه . وقد بدأت  
بواكيرها الأولى في هذه الناحية بكتاب موسيقى قدماء المصريين ،  
الذي طبع . بدمرة في م ٩٢٦ م .

لنا هذا المصنف الجديد أن نقابل تاريخ الموسيقى  
الـ ، و ، من العصر الحاضر إلى الأندلس . على أنه ما زال  
لذلك لسانه حثيثاً ستتع به بعضاً . وقد يكون من أحبا  
شأناً بهت الحدة التي به خصصها ، شاء الله لمصر وحدها من الفتح  
الإسلامي حتى الآن في مصنف خاص .

على أن هذا المصنف الذي لنا لعل به الآن ليس بـ ثمرة  
واحد من . انارة الأسرة التي سبقه . بل هو باب من أبواب  
المشاهدة في الثقافة العامة ، كما أن يعنى به الأدب العربي  
والجمع العربي . لا هو به نعم ، إلى أولئك المعاصرة الذين  
يكثفون به ثم من ألوان . به العربية ، ومشاهير مدنها ،  
وبوع احب في صورها ، وثرائها من ناحية الفن ونغزارة الماد .  
واهتمام اختلاف بواعث التشجيع التي رغب في تأليف أهل البيت  
وبونهم لمكانة الرفيعة وسبب به . ما أحوج

دارس الأدب والاجتماع والتاريخ وغير ذلك أن يلتزم في هؤلاء  
معادن وكوزاً ومآثر ومواهب ما كان له أن يعتز عليها في يسر  
وإمكان لولا هذا الجهد المتواضع الذي حاولنا فيه أن نسلك طريقة  
تجمع بين التبسيط والتحليل وأن تقدم أكبر عدد ممكن في أصغر  
حجم مستطاع . فهو حبيب في المصنفات الأدبية لكنه يضاف إلى  
مكتسبات العربية .

• قد حملنا هذا المصنف قسرين . في أوله بشره إجمالية  
بأنه تاريخية صفاً بها حول تلك الموضوعات العربية والإسلامية  
التي حاولنا في هذا التسم أن نصنع أقداماً لتاريخية بصورة  
سريعة لكنه يتلعب أن يشرف من زواياها على الموضوعات لصفحة  
العامة ولا يستعرض المناظر في زواياها . أما التسم الثاني من هذا  
الكتاب فهو مدرسة الإعلام حيث يجد القارئ ما أسبقه لا تسم  
الأول كل علم في موضوعه وفي بصره وفي عينه . ثم في عصره  
عصره وبنائه ومنزله من محيطه ومن التاريخ بجماله . فقد رأينا  
من الخير قبل دراسة التفاصيل من سير أولئك النجوم أن نسبق  
تلك الدراسة بهذه الإحاطة الإجمالية التي تتناول مبادئ ومبادئ  
سأرت حياة العرب في تقلبهم من عصر إلى عصر ومن أرض إلى  
أرض . وقد - أوفى هذه على المراحل بمراتبها ومكانها في

المشرق والمغرب من تخرج الموسيقى العربية ، أخذ سيلك إلى  
دراسة هؤلاء الأعلام .

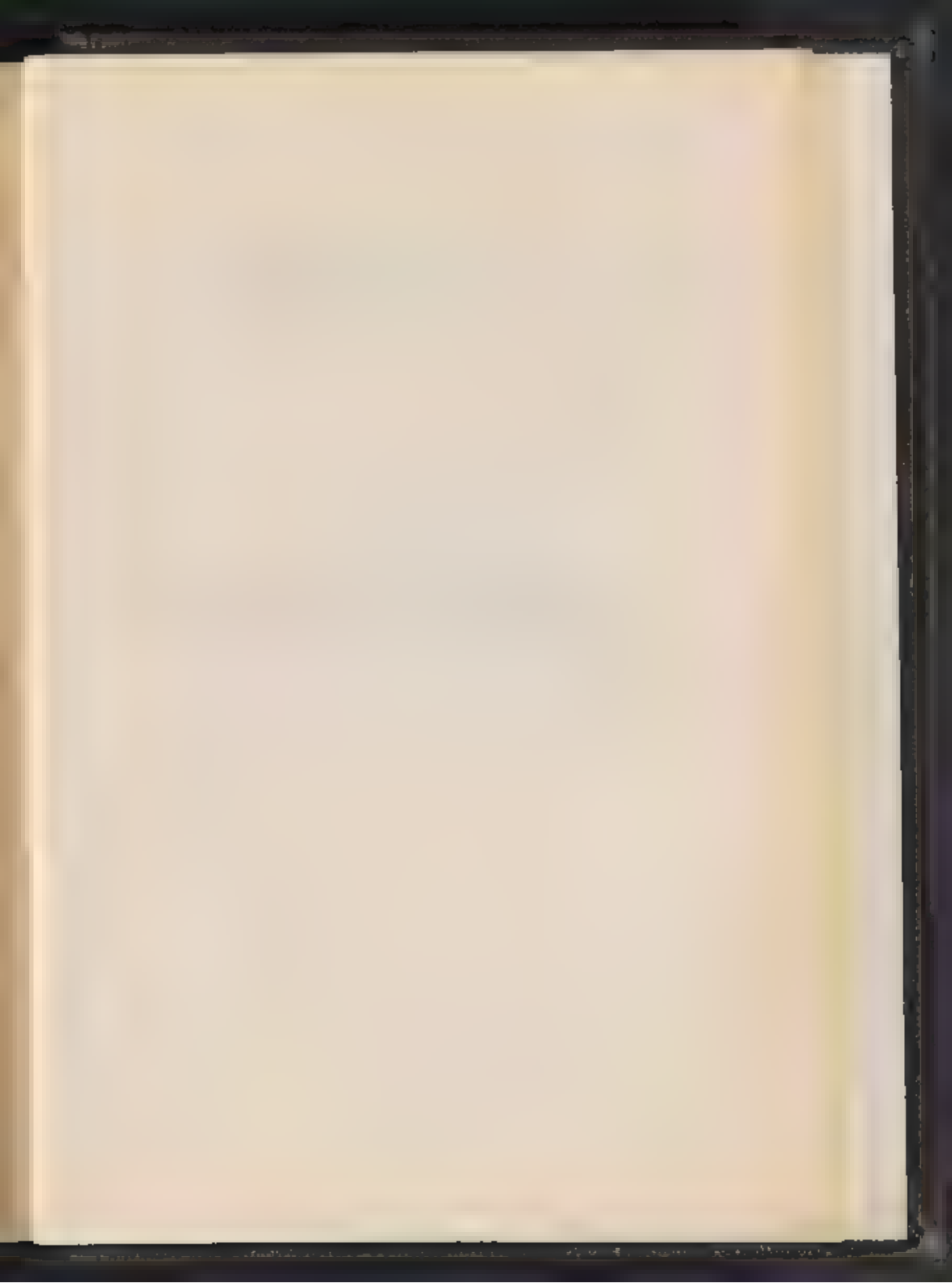
وإنا لا نزع أننا أتينا في هذا المصنف على جميع المعين في  
تلك العصور ، أو على جميع ما كان لهم من حصص ومواهب ،  
وإنا هم محاولة لمن فيها كفاية للمال أغبة عنه لقارىء أو دارس .  
وأرحوا أن أكون قد أدبت به واجباً وطنياً ، وأرضيت  
صغيري بما كنت عن هؤلاء الأعلام الذين لبثت في الحديث  
معه ولهم أكثر من ربع قرن .

لقد كانوا بالأمس نحوماً متلألئاً في قصور الخلافة  
وسماء المروية . واليوم يعودون نحوماً متألقة في سماء  
التاريخ وفي أمجاد الجود .

وكتبه محمد عبد الرحمن

الفصل الأول

الامة عاجلة



# العصر الجاهلي

مدته نصف قرن ينتهي بظهور الإسلام

كان في الصحراء من صنع الله ، ماء صافية ، وشمس ساطعة  
ونجوم ناطقة ، وصبيحة نوح بأسرارها في السحرم شامل ولحن  
هادئ متناغم ، نحن ساكنها شاعراً بدعوتها موسيقية تتبعه وسبقته .  
وكذلك كان العربي في بداوته الجاهلية شاعراً موسيقياً .  
وكان في قدره على أرحل القصيد ، وفي سائق أوران الشعر  
لغربي وأنسواء تغنيته عدد حر وفهم المتحركة وساكته ووافق  
تدافعها ، بل في باب أحرار الشعر ورين قوافيه لدليلاً على تلك  
الموسيقية العظيمة .

إن حياة في صحراء ، وما بها من وحشة وفرد . كانت  
تدعو العربي إلى سبب الأسباب ومنها العناء . وإن لإبل  
وهي محبة في أسفارها التوبة كآب حراح إلى ما بحث فيها النشاط  
وينسها ما هي فيه من ألم الجوع والظمأ ، فكان الحذاء من خير  
الوسائل لإعانتها ، عني أن في حركة مسير يتبعها موسيقياً علم  
في البادية كيف يتألف بصوته وتريمه .

وقد كان الرتم بالشعر أول أنواع الغناء الخاھل ، ولم ينحل  
العرب فيه يومئذ عمداً ولا عرفوا صناعة ، فتغنى الخداعة منهم  
في حياءهم وبهم وفتياناً وفات فراغهم ولهوهم . وكانوا يسمون  
التر . بالشعر غداً ، والتهليل أو بالارتين تعبيراً وهو التذكير بالعابر .  
وكان الغائب عن طبعهم الموسيقى الغنى لرحلته يملونه  
ارتحالاً مساطة تدعيه ويسر تناوله . وربما ناسوا في غنائهم بين  
الحيات بعض المسامحة . وكانوا يسمون ذلك السناد . وكذا  
ما يكون شوقاً ، هم من بحر الحفيف الذي يرى بشاده بمصاحبة  
الدف والمزمار فسرهم من تعرف وتسكن إليه مشاعره .

وهذا السادح مما سبق ذكره من أنه لا بعد أن تنفطس  
له الشغ من غير تعلم . ثم السادح من الصنائع ، فإليك تحد  
ذلك في المشغ عن على ما بين الشعرية ، وتومع لرقص ،  
وتنزل دنت .

بـ كـ الشاعر في الخديعة موسيقياً بهضرة ، فإن اتحد  
له أحد محباً يقوم بحد شعره . غادك إلا كما يتحد له  
راوية لإلفته .

وللصحراء موسيق ذات نعمة واحدة متكررة . فلا عجب  
أن تغني أهلها مع واحد من القول . ولون واحد من النجم .

والشعر الجاهلي لا يدل على خيال واسع ولا على غزارة في وصف المشاعر والوجدان ، إنما هو بصائد كثير ما تتكرر فيه التشابيه والاستعارات في قبه من الابتكار وفي غير نوع ... موضوعات محدودة سبقه ، هي طلل حياه الصحراء ، وصورة صادقة لعيشة البداوة .. وهكذا كانت موسيقى ذلك العصر ، نغمه متكررة وأحان ساذجه قارية .

وكان العربي حريصاً على انتمتع بمسررات الحياة ، متعلقاً بالحب كلنا بالشراب والميسر والصيد ، مشغولاً بالعماء وسماع المزهر<sup>١١</sup> وكان للمرأة حظ من الموسيقى في ناسيتها ، فقد اشتهرت نساء العرب بما كان لهن فيها من ألحان المراثي ، ودهلجات الحراح ، ولئن كانت عالية سكان جزيرة العرب تعيش في بوادي ، منذ الفترة الأولى ، والمعيشة البدوية هي السائدة في تلك الجزيرة فقد تقدمت بهم الحياة الإنسانية نحو الحصار والمدينة حتى صار من العرب طائفة عرفت « بالحصير » وهؤلاء أرقى من البدو بكثير يسكنون المدن ، ويقرون فيها ، ويعيشون على الزراعة والتجارة . وقد أسسوا قبل الإسلام بمالك دات مدينة كائين ، بلغت قبل الميلاد بألفي سنة درجة من الحصار تدل عليها أطلال المباني لفحمة والنقوش الكثيرة ، وكالساسنة في الشام ، والحمير في

العراق وكان هؤلاء سببا الأشراف منهم موسيقى تسمى على  
موسى "لبدو"، تأثرت إلى حد ما بالمذنيات المحاورة .  
وقد يعتقد البعض أن "عربي في الجاهلية حسنة الصحراء وأرمته  
طبعاً بلاده المعيشة معزول عن العالم ، وهذه فكرة خاطئة تنكرها  
الحقيقة ويدحضها التاريخ فقد كان العرب من جاهليتهم الأولى على  
اتصال مستمر بالمذنيات المحاورة لهم ، وذلك لعدة أسباب أهمها  
التجارة والعناب الذهبية من اليهود ، فسرعو إلى دينها  
وبشر تعاليمها

وقد ازدهرت الموسيقى في بلاد الفرس قبل بلاد العرب .  
وهم منوكون بها ، وحدثت لها مكافاة في دولتهم ، حتى علا شأنها  
ونبوت في الشرق مكان الإسلام ، فمصر العربية  
وكذلك كان الحال في بلاد اليونان سميت هذه الموسيقى بعد  
أن انتقلت إليها من المصنف شرقية تسمية ، وعنى بها علماءها  
مدونوا أصواتهم وقواعدهم

وقد تأثر العرب كثيراً بهذه مذنيات تأثراً عظيماً ، نقف على  
مداه من الشعر الخائن وحسن تاريخ الجاهلية بأخبار القيسان  
يستقدم من بلاد العجم : بروم ومصر : لآتين الموسيقى ، ولا  
يكار يخلو منها بيت من بيوت الأشراف . وكانت حرفة العناب  
مقصورة أولاً على أولئك "ثمنان" ثلاثي كن يقيان أعين نارة

بلعة بلادهم وأخرى بالعربية . ودخل في زميرتهن فيما بعد بعض  
العربيات وإن كن قليلات .

روى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني عن حسان بن  
ثابت يصف لأمي الخاهلية ، لتد رأيت عشر قيان ، خمس روميات  
يعنين بالرومية بالمرابط <sup>(١)</sup> ، وخمس يعنين عمام أهل الحيرة .

واشتهر من هؤلاء ثقبان كثيرات . وأقدم من عرف منهن  
حرادتا عاد الثقبان بصرت بهما المثل ثم في قديما ، تركته فعليه  
الحرادبان ، وعما قبيلتين لمعوية بن بكر أحد العمالق ، كذلك  
حرادة نعمان . وجرادة عبد الله بن حدة بن وهبها لأمية بن أبي  
الصلت الشاعر المشهور .

غير أنه وإن كان اتصل لغرب في الخاهلية بالحصارات  
الأحمية أمراً ثانياً ، فقد ٥ . روى من غير شك في حدود صيغة  
تلائم موقع بلادهم الحمر في وحدتهم وحتائبه والاقتصاد به .

وسرى فيما يلي أنه سطر د ريادة تأثير الموسيق العربية . من  
عصر إلى عصر ، بموسيقى المدنات المجاورة ، سيما الموسيق الفارسية  
حتى يبلغ هذا التأثير منتهاه في عصر بني العباس

(١) معرودة مرصعة ، سم قرسي الموعود .

وقد عرف العرب في الحاضيه من الآلات الوترية المزهر  
والعود ذا الوجه الخشبى ، كذلك عرفوا من الآلات الوترية  
الجنك أو الصنج والمعزف .

ومن آلات النفخ المزمار والقصة أو القصاية والشبابة  
والصور والناى .

ومن آلات النقر الطبل والدف والقصيب ( لضبط الميزان  
أو الإيقاع ) والصنوح والحلاح .

# عَصْرُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَبَنِي أُمَيَّةَ

يبتدىء بظهور الإسلام

وينتهى بقيام دولة بني العباس ( ١٣٢ هـ ٧٥٠ م )

جاء الإسلام فصرّب المثل العليا لمبادئ الاحتياج المؤسسة  
على مكارم الأخلاق ، والسمو العسى ، والكمال الشرى ، فكان  
لزماً أن تهص الموسيقى في أحصائه ، وتردّهر في عره ، وترقى  
حتى تكون ثقافة تشر في كنفه . ذلك بأن الموسيقى هي الباعث  
للكمال الأدبي في الانسان بترقية طباعه وتهذيبه ، فإن سماع الأنعام  
يوقظ المشاعر ، ويلهب الحس ، ويدفع بالعاطفة نحو السمو ،  
وبالعقل نحو التفكير ، وبالحيال نحو ديا الروح . وعلى الحلة فإنها  
نكبت الشهوات الجسدية فيسود العقل ، والعاطفة ، والروح ، على  
كل غرائز النفس البشرية .

وما نعدو الصواب حين نقرر أن الموسيقى في صدر الإسلام  
قد ليست ثوباً دينياً باصعاً يوم سرت تلاوة القرآن الكريم  
بالصوت الخيل في نفس الناس سرين "عافية في الجسم السقيم .



لرسول الله بحجره قالت : « فلانه انه فلا » نذرت لئن ردك  
الله تعالى أن تصر - في بيتي بدي ، فقال لها : « فلتضرب » .  
وكذبت ما روى من أنه صلى الله عليه وسلم دخل على روجه أم المؤمنين  
عائشة وهي ترف حارية لها من الأنصار ، فقال لها : « يا عائشة  
ألا تبغين معي من يعي ؟ فإن أهل هذا الحي من الأنصار  
يحبون العناء » .

وما روى عنه عليه الصلاة والسلام وهو يمدح أبا موسى  
الأشعري حيث قال : « لقد أعطى مرماراً من مرامير آل داود » .  
وما تناقلته الرواة والثقات من أنه صلى الله عليه وسلم أدن لبلال بن رباح الحبشي  
وهو أول من أسلم من الأنجاش - بالأذان بصوته الجليل .  
وقد اشتهر في ذلك العصر من المعنات كثير من القيان ، تذكر  
من يدين سيرين مولاة حسان بن ثابت ، وهي إحدى الخاريتين  
المصريتين بنتي أهداهما المقوقس في العام سنة سنة الهجرى ( ٦٣٠ م )  
إلى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) رعاها أخذت عزة الميلاء الأستاذة الأولى  
لمدرسه نساء حتى درج عليها من عاصرها أو جاء بعدها . وقد روى  
صاحب الأعيان أن عمة كانت نعتى من أعاني سيرين ، وبهذا تكون  
الموسيقى المصرية القديمة قد وجدت طريقها إلى الجزيرة العربية منذ  
جهر الإسلام في حجره سيرين وتلميذاتها فوصت بذلك نواة الصلة  
الفنية بين مصر والموسيقى العربية .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على الرغم مما عرف عنه  
من شديد رده في الدنيا راصباً عما يعفو الله عنه من الغناء . فقد  
نقل صاحب العقد الفريد أن عمر قال للثناينة الجعدي أسمعني بعض  
ما عفا الله لك عنه من غنائك . فأسمعه كلمة له ، قال وإنك لقائلها ؟  
قال نعم . قال لطالما غنيت . كيف جمال الخطاب .

وكان عمر يكره من الغناء المحدث الذي يعد الشعب  
عن الجهاد والتحسن . ويسمونه الرفاضة والراوة . وما كان  
ذلك من ضيعة الإسلام وما من سجية عمر . ولا بما يأذن به  
أحق القويم .

وما كاد يقل عصر عثمان رضي الله عنه حتى سجلت أخبار  
المدينة أن رائقة المعينة ونسبتها لفتية عزة الميلاد وغيرهما كن  
يقصن فيها حملات موسيقه رائقة يحضرها سراة القوم وفانوهم .  
وكان من بين هؤلاء حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ .

وقد كان في اتساع الفتوحات التي تمت في عهد عثمان ، وفي  
عهد سلفه ، والمهالك التي دانت للإسلام ، والأسرى الذين قدموا  
إلى أسير العربية ، ما جعل تيار مدينتي اللاد المعروفة وبخاصة  
المدينتي المصرية والفارسية والبيوتية . يشتر في اللاد العربية ،  
حتى لقد نبع العرب في من العيرة فشيروا آخر التصور والمبور .  
وأحد المسلمون ينحرون إلى العور دنياهم فقلوا من غواء دنياهم

إلى موسيقين ، وحسبهم بيوت الأعرام والأسماء ،  
وأحبب الموسي مكرها من محاسنهم تعجب لشعره والكتاب .

وما نادى بقلبي عصا حديد الراشدين حتى أحلب أمه سين  
نسلك سيد بل وحببت هذه الواحقة . وأورقت ثلث أسودحة  
تتبدلت في أيامهم ، من تحت طلائعها وتستمكن تصح نديها في  
عصر بني أمية

اسم من بعد فضل من رضى أمه من قبله في أيامهم ،  
وأسماء من قبله من حبيبها صلاوا بها السير في قاعة الحصار دخلت  
الدماء في ثوبها ، ونسجت موحاها في أيامهم شرفا حتى  
وصلت إلى عذراء حتى بلغت الخط والأندلس . ولقد قيل بحق  
إن الحصار من أيامهم من الإسلام ، كما جعل الأمويون  
منه أمر طويلا . **الحصار من المدينة إلى دمشق** ، وراد  
نصالحهم بالديار من بلادهم ، وأول ما فيه فارد هرب الحصار  
لهم فيه وقت الله في جمع ، ثم مندت إلى أوبيا عبرتها وحزنها  
إلى التمدد حق وحبسها في عصر لإصلاح .

قال العربي من بعد الحصار ، خور محتده ، لا تحرف من المين  
ولا أول من كان له من بعده من بعده من بعده من بعده .  
ولقد كان الحصار من بلادهم من بلادهم من بلادهم من بلادهم .  
عند المين ، في الحصار ، في بلادهم من بلادهم من بلادهم .

كان احتشاف أعناء في العصر الجاهلي منصور عن طبقة القيان  
من المحرمات . وظر الأمر كذلك حتى صدر . بإسلام حيت أخه .  
التمان يتعظون أعناء ويحرفونه . وكان لمعون من أرحال في  
ذلك العصر يتشبهون بالنساء في كثير من عاداتهن وأظوارهن .  
وأول من اشتهر من المعين من هؤلاء هو ضويس ، ويعزى إليه  
أنه أول من عن بالعربية عنه لحن في الإبداع . وكان لا يصرب  
بالعود . وربما كان يتربص . ويسمى المربع أربعة في الشكل ،  
وفي ذلك ما بين عن أن عمده كان محدوداً لقصده . وقد تعلم  
العماء من بعده أن يسمي بعض من هم تشتعلون في المدينة . ومات  
في خلافة الوايلين عمه الملك . وأشهر من عرف من معاصريه  
المدلل ، وذهب أو هتب ، وهذه اللغة من المعين اشتهر  
أعده ببناء ، واحتش ، وكتاب حكمة ، كتاب من المدرسين  
العماء والحدائق .

كان الروح لعربي المعين ، وأما في سب غير متعصب  
ولا حاص ، فما كان ينشئ في المدينة الأمامه . ويرداد اتصالها  
بمعاصريه وخالسه واليه حية حتى تشرب الروح عرب . ذلك  
المدسات وتن أعدها في عمه لعرب واللاه في ثلاث معاصريه  
وكان لموسيقى في السوية لأمويه حصص المعوم والشو  
الأخرى في دهرت ويصعب من مشهور من المعين والمعانيات  
من يجدد ما أن يكون عليه . عن معاصريه .

ويعتبر سائب خاثر نواة النهضة الموسيقية في البلاد العربية .  
وأول من نقل الغناء الفارسي وأسبغ عليه الطابع العربي وعرف  
بعد ذلك بالغناء المتغن . وهذا النوع المستحدث يتقابل عنه  
الركبان ، الذي يمثي روح العصر الخاهي وطابع النادية . ولقد  
كان من عادة المغنين من "عرب حتى ذلك الوقت أن يستعملوا في  
عناهم القصيب ، وكان سائب خاثر يستعمله كذلك ، إلى أن رأى  
شريك "مارسي يستعمل في غنائه "المد" فاستعمله هو أيضاً في أغانيه  
وكان أول من عني في المديحة مستعملاً "مد" ونسج من أخذ الغناء  
عن سائب "أربعة عدوا أعلام الغناء وهم : عدة الميلاء ، حمدة  
عيتا ، نهضة الموسيقية العربية ، وابن سريج ومعد

وكان ابن مسجح وهو أحد نجوم المغنين في العصر  
الأموي - أول من نقل غناء الفرس إلى علماء العرب .  
حدثته ، وقد نقل محاسن العرب وخلفه ومسجح له في  
مذهب خاص و طريقة سبها "المد" وقد أخذ عنه ابن سريج  
ومعد وابن سريج والعريص

وإنا لنرى المدينيين يرتفع مقامهم شيئاً فشيئاً وصحاح  
موضع الاحترام والتقدير ، وسلكوا نهجهم ، وبدأوا حتى أتوا  
إلى قصور الخلفاء ، وبدأوا أخذهم في المد ، ولا يكاد يترك  
بني أمية في قول عهد "أخذ حتى أتوا الخلفاء في مدهم وإن

بسبح اسم هذه الصلوة . بل تراها هو نفسه موسيقياً وملحناً ،  
عنه أنه مع تعدد . يسأل ابن مسجح وهو في حضرته هل يعني  
غناء الركاب ، ونحن معنى لغته والمتن ، :

وكان سبيل من عبدالمكث يحرق المسابقت بين المعين ،  
ويجزل خم لعلاء . وبلغ من تقدير يريد بن عبدالمكث للموسيقى  
أنه ما كاد يتولى الخلاف حتى اشترى حماره الموحية ، أربعة آلاف  
دينار ، وطالت موضع ، كما أنه حتى وفاتها

وربما الولد بن ، لا يعظم الرعايه للموسيقى وأهلها ، وقد  
بيع من ذلك ما بعد أنه عندما مرض تولى أمره ، وآواه في  
بنته . فها هنا شاع حبه للموسيقى في حنايه من قصره  
إلى ما سجد في دار الولد . كرس عالماً بصناعة تأليف  
الآلات ، وهو ما كانت عليه ، كما كان يضرب بالعود  
ويجوز ، بل ولدت

وهو ثمرة من من ، على الحناء ، بل سرت  
من ذلك ثم سرافق في ذلك لها ابن جعفر بن الحسن  
ضرب . ثم من هذا ، وكان سبيل حائر  
و . ثم من هذا ، ثم من هذا ، ثم من هذا  
ال . ثم من هذا ، ثم من هذا ، ثم من هذا  
ال . ثم من هذا ، ثم من هذا ، ثم من هذا

عليهم . وكانت عبادت مجتمع عده النعمان تدين مداس في دوحه  
بيتها إذنا عاما (١) .

وقد وصح من أساء المعين والمعنات أطراف ظهور أثر  
الموسيقى الخارسية في موسيقى العرب . حتى دخل في اللغة العربية  
كثير من الألفاظ الفارسية مما كان دينا عن علمه هذا الأثر .  
من ذلك أن أطلق على العود اسم "الربط" ومعناه صدر الص  
وهو لستان على موضع عنق الأصبع على الوتر بل سمي وتر  
من الأوتار الأربعة المركبة على العود ستم و سس . فطلق  
على الأسفل والري . وعلى الأعلى "نم" بد الحفظ أو برين  
الموسيقى باسميها العربي القديم "الش" "الست" من غير ذلك  
من الأسماء الكثيرة

كذلك نثرت الموسيقى بعدد سمرات الموسيقى  
ثيرا كبرا وكثيرا ما كان يذكر علماء هذا الفن من العرب  
في مصنفات العرب وكلامهم . حيث يتوهمون عنهم بألفهم  
غير أنه مما يجب الإذابة أن دراسة العرب ومعهم  
أخذوا العلوم الموسيقية وهمها عن يدهم وانغمسوا في  
أحفظوا فيها في حده كثير ما يعجزه العربي من غير سيرة  
وحسن لها سجع خاصه .

وما يذكر بالفجر لذلك العصر أنه بديء فيه بوضع أول  
نصايف عربية في أحبار الموسيقى والعناء فتد وضع يونس الكاتب  
كتاب النغم ، و كتاب القيان ، فكان نواة لما صنف بعد ذلك  
في هذا الباب ومرجعاً لكتاب الأغانى الكبير الذى وضعه  
أبو الفرج الأصفهاني فيما بعد .

# عصر الدولة العباسية

( ١٢٢ هـ ٧٥٠ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م )

جاء العصر العباسي فدخلت الموسيقى في عصرها الذهبي ،  
وحظت حلو ت سريعة حو "كان حتى سبع أوج بحدها ، ودروة  
علاها ، وادب المقامات وطرائق الإيتاع حتى تعددت في اللحن  
الواحد ، وكثرت الآلات ونوعت ، وشاع ستمها حتى عرفت  
مائة فيه معاً ، وسما قس أهل الموسيقى حتى اختلف الحيفة منهم  
تديما له وجليسا .

ولما بنى المنصور مدينته بغداد أصبحت موطن الخرافة ،  
ومركز الشرق ، ومدينة الثراء ، وموطن "تنون و"تعود ، وفي  
مقدمتها الموسيقى .

كذلك وإلى الخفاء عما تسم "الس وكان المديني المنصور  
دا صوت حسن ، شديفا بالموسيقى ، مولد بالعباد ، فقد روى أنه  
كان أحسن الناس صوته ، ولم قصره أعلام الموسيقى وكبار المفاين  
ولقد بدت في عصر العباسي ظاهرة جديدة فهم بعض العرب  
بنظروا إلى الموسيقى كشغل "لعين ، أو يتأبون "حزها بل من

من أبيه شراهم من دخی فی رمرتہ اهل هذه حصه . ثمن  
أساطيرها ابن جامع الذي يتصل بسبه بتيش . بن لقد راو هذه  
الحصه بعض أمره كإيهام بن المهدي

[illegible]

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أحب الله أحب الله وأهله وأرضه وأهله وأرضه وأهله وأرضه

و ان وقت کہ میں نے اپنے حلقہ میں افسر بالعموم  
کو لکھا کہ وہ اپنے حلقہ میں جو بھی  
جسٹس آف دی پیس نوٹس دے گا وہ اس  
حالت میں ہوگا کہ وہ اس کے خلاف  
نہیں ہوگا کہ اس کے خلاف  
نہیں ہوگا کہ اس کے خلاف

ولقد يضطر الإلباس ، إذ يعرض ، مثال هذه الحوادث ، شاء  
أو لم يشأ ، إلى أن يوارن بينها وبين أحوال أنطال الموسيقى في  
أوروبا حتى أول القرن التاسع عشر أي بعد تاريخ ابدى عن  
بصدده سيف وألف عام .

كان موسيقيو ذلك العصر ذوى منزلة مكذوبين يفعل بهم  
'لبؤس أفاعيله' . وهد ، مونسارت ، وهو أكبر عشقية موسيقيه  
عاشت في أوروبا في القرن الثامن عشر ، فإنه على الرغم مما بلغ من  
شهره وبعد الصيت ، وبعد أن رحل إلى إيطاليا ، ودلت أحواله  
الإعجاب واشتدिर حتى منح لقب المحبوب من الإله ، وبعد أن  
ظهر بمثل هذا التكريم من فرنسا وانجلترا . ما كاد يعود إلى وطنه  
المنسا حتى استدعاه حاكم مدينة راسبورج مسقط رأسه وصحه إلى  
فصره تعزى عليه معاملة خدمه ومهنتهم ، حتى لقد كان يؤاكلهم  
في مطبخ القصر على أن الأيام لم تصف له بعد ذلك . فعاش  
حياته فقيرا ، وقضى نحبه فقيرا لم تجد روحه يوم موته ما تجهز به  
حماره أو تشبع به جشته أو تشيد منه مقبرته فبقيت الخئة رهينة  
حتى قام القيصر بالإشادة بأمر بصرف ثلاثة آلاف جولد .

وم يكن هایدن ، قبله ولا يندوهي ، بعده أسعد منه حقا  
أكثر وفرا

وقد أسست في العصر العباسي أول جامعة عربية لدراسة  
العلوم والفنون . بناها المأمون في بغداد وأسماها بيت الحكمة .  
فاشتغل فيها فطاحل العلماء ومنهم يحيى بن منصور وبنو موسى  
وعيسى بن بترجمة علوم اليونان التي كان من بينها العلوم الموسيقية .  
وسمح الخلفاء بعده على منواله فشحجوا الفلاسفة والعلماء لاستقراء  
كسور العلوم اليونانية والوقوف على أسرارها وترجمتها . وقد طهر  
أثر ذلك جليا في المؤلفات الموسيقية للكندي والشارابي وابن سينا  
كما سنذكره بعد .

ومما يسجل لهذا العصر بالبحر أنه ظهرت فيه عناية خاصة  
بإثبات قواعد الموسيقى العربية ونظرياتها وكان الخليل بن أحمد  
أول من عني بهذه الناحية من التأليف بعد يونس الكاتب الأموي  
الذي سبقته الإشارة إليه فوضع كتاب "النعم" وكتب الإيقاع .  
فكان بحق أول مؤلفات عربية في الدولة العباسية . واستكمل إسحاق  
الموصللي هذه المؤلفات ثم جاء بعدهما من برهما في هذا النوع من التأليف .  
وهو إسحاق بن يعقوب الكندي فكتب ما يربى على سبعة مؤلفات  
في العلوم الموسيقية ونظرياتها وجاء بعده أبو نصر محمد الفارابي  
فكان من أكبر فلاسفة العرب دراية بعلوم اليونان ، وكان موسيقيا  
صليحا يحب العزف بالعود . وقد وضع كثيرا من الكتب في هذا الفن

أشهرها ، كتاب الموسيقى الكبير ، وفيه أوضح التارافى أسرار  
الموسيقى العربية وقواعدها بما تدين له العصور المتعاقبة .  
ومن أساطين من اشتهروا من الموسيقيين فى ذلك العصر  
، حكم الوادى ، وده ابراهيم الموصلى ، وده رزق ، وده فليح بن  
أبى العوراء ، وده محارق ، ومن المعنيات ، بدل ، وده دناير ،  
وده مقيم المشامية .

وقد لب بعض علماء الموسيقى إلى العرب إهمالهم تدوين  
الحنانهم مسندين فى ذلك إلى عدم ذكر شئ عن ذلك فى كتاب  
الأغانى الكبير . غير أن هذا مخالف للواقع ، فإن دقة الكندى  
فى تدوين الموسيقى بالحروف فى كتابه ، رسالة فى خبر تأليف  
الألحان ، وما أورده صلى الدين عدالمز من الأرموى من طرائف  
التسوين فى كتابيه الشرفه والادوار لا كبر دليل على عناية كتاب  
العرب وعماهم به . الناحية وأسقيهم لمعاصريهم . بل إن كتاب  
الأغانى نفسه الذى يتهم بهذا ويوجد الإعمال فيه حجة عليه ليورد  
فى أطوائه ويبين فى ثانيا أجزائه ما يدحض كل حجة ويبطل  
كل تزيف .

وفى ذلك العصر الذهبى احتيرت مائة الصوت اختارة ، فقد  
كلف هارون الرشيد ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وفليح  
ابن أبى لعوراء أن يختاروا له من ألحان العرب كلها مائة صوت

ثم أمرهم أن يختاروا عشرة منها ، ثم أمرهم أن يختاروا ثلاثة من  
العشرة ، فكانت تلك الأصوات الثلاثة لحماً لمعبد من حفيف الثقيل  
الأول ، ولحماً لابن سرح من الثقيل الثاني ، ولحماً لابن محرز من  
الثقيل الثاني .

ولقد تأثرت الموسيقى العربية في العصر العباسي بالموسيقى  
الغربية تأثراً بالغ العافية ، ودخل عليها الكثير من أسماؤها  
وإصلاحاتها ولم يكن ذلك في الواقع مقصوداً على الموسيقى  
وحده . بل شمل كثيراً من العلوم والفنون .

# عَصْرُ الْأَنْدَلُسِ

(١٢٨ هـ ٧٥٦ م — ٤٢٢ هـ ١٠٣١ م)

أبشَقَ ثَمَرُ الْمَدِينَةِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَمَا فَتَحَهَا بُو أُمَيَّةٌ ،  
وَسَطَرَ الْعَرَبُ لَهَا عَلَى صَفَحَاتِ السَّارِجِ آيَاتَ مَحْدٍ طَلَتْ مَضْرَبَ  
الْأَمْثَالِ ، وَتَوَجَّهَتْ رَأْسَ الْعُلُومِ وَالْعُقُودِ بِخَيْرِ بَيْحَانِ الرِّقَى .  
وَطَلَتْ عِنْدُهَا تَقْيِصُ بَنُورِهَا عَلَى أَوْرُبَا الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَعْدَ قَدِ افْأَقَتْ  
مِنْ سَبَاتِهَا الْعَمِيقِ ، فَكَانَتْ قَرِطَةُ حَاضِرَةِ الْأَنْدَلُسِ مَوْطِنًا  
لِأَسَاطِينِ الْعُلَمَاءِ ، كَمَا كَانَتْ إِشْبِيلِيَّةَ أَكْظَمَ مَرْكَزٍ لِلْمُوسِيقَى وَالشَّعْرِ  
وَصِنَاعَةِ الْأَلَاتِ الْمُوسِيقِيَّةِ .

قَالَ ابْنُ خَلْدُونِ : « حِينَئِذٍ كَانَ يَمُوتُ عَمٌ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ وَيُرَادُ أَنْ  
تَبَاعَ كُتُبُهُ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ تَرَسَّلَ إِلَى قَرِطَةِ ، وَإِسْمُ مَاتِ مُوسِيقِي  
فِي عَاصِمَةِ الْأَنْدَلُسِ كَالْوَايِرْ سُلُونِ لِأَنَّهُ الْمُوسِيقِيَّةُ وَمَحْطُوطَاتُهُ إِلَى  
إِشْبِيلِيَّةٍ الَّتِي نَمَتْ فِيهَا الْمُوسِيقَى وَرَالَعَ بِهَا أَهْلُهَا أَشَدَّ الرِّوَالَعِ . »

وَكَانَ اِهْتِمَامُ خُلَفَاءِ الْأَنْدَلُسِ بِالثَّقَافَةِ عَظِيمًا ، وَكَفَّهِمُ بِالْعُلُومِ  
شَدِيدًا ، حَتَّى أَنَّ الْحُكْمَ الثَّانِي جَمَعَ فِي عَهْدِ خِلَافَتِهِ مِنَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ  
مَا يَرَبِي عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ مَحَلَّةٍ . وَلَقَدْ كَانَتْ الْمُوسِيقَى فِي طَلِيعَةِ هَذِهِ

موسم والغنم التي عني بها خلفاء الأندلس ، فارتقت وذاع  
إشارها ، حتى أنها لم تعد مقصورة على فئة خاصة ، بل غدت ثقافة  
عامة يشترك فيها جميع طبقات الشعب .

ونقل العرب إلى الأندلس كل ماسبق لهم معرفته من الآلات  
الموسيقية ، ثم أفتنوا فيها ، وادوا عليها ، فأصبح لديهم منها عدد  
حم . إذ استعملت الأندلس من الآلات الوترية : العود القديم  
دا الأوتار الأربعة ، وعود الكامل دا الأوتار الخمسة ، وأشهرود  
وهو نوع من العود ، والطنبور . والقيثارة ، والمزهر ، والكنارة .  
والتنوير ، ولهره ، والرب ، والكنجه ، والسقرة  
( أو المشقر ) ومن آلات النفخ : المزمار ، والسرند ( أو السرند ) ،  
ولسى ، وشابه ، وإيراع ، والإمارة ، والتصبة ، والموصول ،  
وصندقة . ومن الآلات الحسية : الهى ، والتمير . ومن آلات  
"تمر" المدفوف ، والهربان ، والسبيج . والخصوح ، والكاسات ،  
ومصغفات ، والقضيب ، والندرة ، والقصة ، والخلل .

ويمكن إجمال العرب في الأندلس مقصوراً في الموسيقى على  
آلاتها من أفتنوا في التأليف الموسيقى وبواعه . وسأروا بها  
الترانم في مدارج المدينة فاستحدثوا الجديد فيها . من ذلك  
« الوبة » ، وهي أهم أنواع الموسيقى ولغناء في الأندلس . وكانت  
تؤلف أولاً من أربع قطع لكل منها اسم خاص ثم صارت فيما بعد  
حسباً . كذلك ابتدعوا الزجل والموشحات .

وليس عنده من رب في ن الموسيقى هي ينبوع الصافي  
الذي انبثقت منه تلك الألوان الحديثة من التأليف الشعرى التي  
كانت في طبيعتها وفي أشهرها الموشحات . فإنه ما كادت الموسيقى  
تدروا في وتوسع نطاقها في تلك البلاد الحصراء حتى احتاج الناس  
إلى أوزان تعبر تعبيراً جديداً عما تشده الموسيقى... أوران يتحال  
ويها الفنان من تلك البحور المحدودة والقوافي الضيقة المحدودة التي  
درج عليها الشعر وشب وترعرع وطلق قروناً وأحقاباً لا يتغير  
إلا من حيث الفكرة أو الأسلوب ، وبقي معدولاً في تلك الأصناف  
من الأوزان والقوافي

ولعل الفصل في هذا الجديد والابتكار راجع إلى طموح  
الاعلام العباقرة من الموسيقيين أمثال رباب ، فقد تطلب منهم  
الوثائق هذه راسعاً من الحرية ومحالاً فيسبحاً من التقدم المتطرد .  
ومحارة ذلك كانت تستدعي طبيعتها أن تعاقض ضرباً جديدة من  
النشعرى التي في مقدمتها هذه الموشحات . ودلينا على ذلك  
أن أبوش حنبل كانوا يعتمدون المحن والموسيقى وتقصصون  
إلى العناء واللب ، هم يضرفوا أبواب الشعر وموضوعاته الأخرى  
كما صنعوا في تنصيد من مدح ورناء وهجاء وحكم إلى غير ذلك .  
كما أنهم لم يوسعوا ولم يطيلوا فيه ، وإنما تضمنوا هذه الموشحات  
فيما يلائم الموسيقى والعناء فكانت في الأعم الأغلب تهدف إلى

ال عاطفة وتسكن إلى الطبيعة وتجنح إلى رقة الألفاظ وقصر الفقرات  
وجمال التصوير . ولهذا فهي من ناحية أخرى لا تتحدد بأبحر  
الشعر المعروفة في على العروض والقافية بل هي تخضع لمطلب  
الموسيقى ، ولكل وشاح طريقته ولكل بيئة ذوقها .

وكان من أقدم السابقين إلى ابتداء هذا الفن في الأندلس  
مقدم بن معامر من شعراء الأمير عبد الله المرواني ، ثم تبعه أحمد  
ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، ثم عبادة القزاز شاعر المعتصم  
صاحب المرية من ملوك المماليك ، وكذلك الأعمى الطليطلي  
و"عريب ابن باجة الذي نسب إليه ألحان كثيرة اشتهرت في  
أغاني الأندلس .

ومن أمثلة الموشحات التي حارت قصب السبق وسأرت  
العصور في تصوير جمال الأندلس قول عبادة القزاز في موشحة  
تعتبر أقدم ما يتغنى به اليوم :

بدر آه • شمس سخا • غصن نقا • مسك شم  
ما آه • ما أوضعا • ما أورقا • ما أنم  
لاحرم • من نحا • قد عشقا • قد حرم

وكذلك قول الأعمى الطليطلي :

ضاحك عن جمان • مسافر عن در  
ضاق عنه الزمان • وحواه صدرى

وقول أبي الحسن سهل بن مالك :

كل الدجى يجرى • من مقلة الفجر • على الصباح  
ومعصر الهر • فى حلل خضر • من البطاح  
وانتقلت هذه لأنواع إلى بلاد المغرب فى شمال إفريقيا وإلى  
مصر وبلاد العرب . وأحد الأبناء يتناقلونها عن الآباء . ومن أول  
المحسنين فى هذا الفن من المشاركة ابن سناء الملك ، وله الموشحة  
المشهورة التى لا يزال ينسبها إلى اليوم :

كللى يا سحب تيجان الربا بالخلى واجعلى سوارها من عطف الجدول  
ومن أتم من اشتهر من الموسيقيين فى الأندلس زرياب وابن  
باجة وعبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب وولادة بنت  
الخليفة المستكنى وهند حاربة أبى محمد عبدالله بن مسلمة الشاطبى  
وقد كتب إليها أبو عامر بن نبق يدعوها للحضور عنده بمودها :  
يا هند هل لك فى زيارة فتية سدا المحارم غير شر السلسل  
سمعوا البلابل قد شدوا فذكروا نعمات عودك فى الثقل الأول  
فكتبت إليه فى ظهر رقعة :

يا سيداً حاز العلا عن سادة شم الأنوف من الطراز الأول  
حسبى من الإسراع نحوك أبى كنت الجواب مع الرسول المقبل  
ولقد ظلت الأندلس رهرة أوربا اليانعة طوال خمسة قرون  
تنشر عليها أريج من كل علم وفن . وأرست أوربا إلى جامعتها

بأبعوث لارتشاف العلوم العربية ودراستها على أئمة العرب  
وأساطين عبائنها . وكان أكثر الكتب ديوعاً في الدراسة كتب  
الفارابي وابن سينا وابن رشد التي ترجمت جميعها إلى اللاتينية ،  
وانتشرت في جميع بلاد أوربا ، كما ترجم غيرها من كتب العرب .  
كذلك نقلت أوربا عن العرب كثيراً من مؤلفات اليونان  
الأقدمين التي ترجمت إلى العربية .

وكانت الموسيقى أولى هذه العلوم والفنون التي وفدت  
البعوث لدراستها وترجمة كتبها إليها بعد . ومن اشتهروا من أعضاء  
البعوث إلى بلاد الإسلام وصاروا أعلاماً في أوربا بعد عودتهم  
إليها : جربرت وهرمان كنراكت وجين الإشيبلي وقسطندي  
الإفريقي وقد تعلم في تونس ومصر وبعثوا وقد نقل هؤلاء  
وملاؤهم الكثير من كتب العرب في الموسيقى كمؤلفات الكندي  
وذهب بن قرة وركريز الرازي والفارابي وإخوان الصفا وابن  
سينا وابن باجة .

وبعد سقوط الأندلس طرد ملوكها المسيحيون محتضين في  
قصورهم بالموسيقين من العرب ، وإنما لئلا في أوائل القرن الرابع  
عشر أن هؤلاء الملوك قد ملأهم "شعف باستعلاء الموسيقين من  
العرب إليهم كما كانوا يدعونهم هم و"راقصات في أعيادهم وأفراحهم  
حتى أن بعض شعراء الأسبان كتب "لكثير من الأغاني العربية

لهؤلاء الموسيقيين والراقصات العربيات . كما انتشرت في بقية ممالك  
أوروبا ولا سيما البلاد الجنوبية منها آلات الموسيقى العربية ،  
وكثير من هذه الآلات قد انتقل إليها بأسمائه التي تم في اشتقاقها  
عن أصل عربي كالعود <sup>(١)</sup> والقيارة والقارة والرباب  
والطنبور . ومعلوم أن الآلات الموسيقية ، لا تنتقل إلا ومعها  
موسيقاها . وهذا هو الواقع فإن أوربا طلت تحت عرو  
الموسيقى العربية وآلاتها وفنونها وعلومها عدة قرون طوّه  
حتى بعد عصر الإصلاح . بل لقد ظل استعمال العود منتشراً فيها  
حتى القرن السابع عشر حيث قضى عليه ديوع آلة البيان لمناسبتها  
للموسيقى الأوربية الخديثة بعد ما تطور فيها علم الاسحام الصوتي  
( الهارموني ) وصار علما على تلك الموسيقى كذلك طلت أوربا  
حتى القرن الثامن عشر تستعمل التدوين الآلي على شكل حدودي  
( تابلاتور ) يبين مواضع عفق الأصابع على الأوتار وكمية  
العزف . وقد أخذت هذا النوع من التدوين عن العرب .

---

(١) وحسب أن سجل ما سمعته عود في ألعاب الأوربية الآتية وماهر منها  
جميعاً اشتقاقها من اللفظ العربي :

الاعلمنة Lute ، الهولندية Luit ، الدنماركية Lut ، السويدية Luta  
الفرنسية Luth ، اللاتينية Liuto ، الألمانية Land ، الهولندية Alande  
الألمانية Laute ، الروسية Ljutoja ، السويدية Lutnia ، الفنلندية  
Luutu ، الصربية Lutoja ، المجرية Lant .

أما شمال إفريقية فقد بقيت بلاده قطعة من الدولة العربية منذ  
ابتداء الدولة الأموية ، فعاقبت عليها عصور تلك الحضارات  
الزاهرة ، وحين اصبحت الأندلس وسقطت إشبيلية في منتصف  
القرن الثالث عشر هاجر من الأندلس ما يقرب من نصف ما يون  
من أهلها إلى شمال إفريقية وأقاموا بها ، ونقلوا إليها من كنوز  
الموسيقى ما كان في الأندلس . وعدت تلك البلاد ولا سيما تونس  
وارثه هذه الفنون . وإما ليراها حتى اليوم محتفظة بالكثير من  
هذا الفن الأندلسي ، كالإبقاعات المختلفة والنوبات الكثيرة التي  
لا تزال متوافرة لدى أهلها يحتفظون بها تراثاً نفيساً يتوارثه الأبناء  
عن الآباء ويماقله الخلف عن السلف ، مما لا وجود له البتة في بقية  
البلاد الإسلامية الأخرى .

القِسْمُ الثَّانِي

الله



الأعلى عصر صدر الله

وبني الأُمِّيَّة

من ابتداء ظهور الإسلام إلى سنة ١٣٢٥ هـ ٧٥٠ م



## سَائِبُ خَائِشِر

كان عبد الله بن جعفر حمى المعين ورائدهم ، ومنتجع  
الموسيقين وملاذهم . وكانت حياة سائب حائر قبل أن تتصل جبالها به  
حياة لا تسترعى الأنظار ، فهو مولى ولد في فيء كسرى وكان ولاؤه  
لبى ليث فاشتراه أو اشترى ولاءه عبدالله بن جعفر . وأى  
الأميرين قد حدث فإنه لا يعنيا إلا بقدر ما نعلم أن اتصال هذا  
الفنان بهذا السرى العلى المحمى الجناح كان اتصالا كتب لفنه البداية  
والحماية والخلود .

ولم يكن سائب محزوما للموسيقى في بداية أمره إنما كان تاحراً  
في القمح غالباً يبيعه بالمدينة ويشتره . وقد ربح وسعد . ثم كانت  
مدرسته العنانية بعد ذلك تبدأ في بيئة الناحات حيث يكاد الجو  
يخلو من المعين . فلم يكن من سبيل أمام أبى جعفر سائب خائِر  
، لا أن ينهل من أقرب المناهل إليه . وهذا هو الذى صبح غناه  
بذلك اللون الحزين كلما شدا بأغنية فيما بعد . وكان سائب بطبيعته  
ذا صوت عريض يملأ أجواز الفضاء حوله . وكان نقياً مشبعاً  
بالحمان وقوة التأثير بطبيعة نشأته الأولى .

وكانت نفس سائب عالية المتزع تطمح إلى السمو . ولم يكن  
يلقى بفنه لقمة سائغة ليد تلقفها أو أذن تتقبلها ، بل كان حريصاً  
على ألا يفنى إلا لمن هو في طبقة مولاه عبد الله بن جعفر من  
حليقة أو أمير .

ومع أن خلافة معاوية كانت لا تزال قريبة العهد بالتشدد في  
أمر الترفيه والتعزيب فقد استمع هذا الخليفة إلى سائب عدة مرات ،  
وهو في كل مرة يشتموه طرباً فسموه ذهباً .

قال ابن الكلبي : . إن معاوية بن أبي سفيان أشرف ليلاً على  
منزل يزيد ابنه فسمع صوتاً أعجبه واستحفه السماع فاستمع قائماً  
حتى مل ، ثم دعا بكرسي خلس عليه . واشتهى الاستراحة فاستمع  
بقية ليلته . فلما أصبح قصد إليه يزيد فقال له : يا بني من كان في  
مجلسك البارحة ؟ قال : أي جليس يا أمير المؤمنين ؟ وقد حاول  
الإنكار تهياً من والده . قال : عرفني فإنه لم يخف علي شيء من  
أمرك . قال : سائب حائر . قال : فأحضر<sup>(١)</sup> له من برّك وصلتك  
فأرايت بمجالسته بأساً .

ولقد استمع إليه معاوية مرة أخرى في المدينة وهو يتعي :  
لن الجففات الغريبيص بالصحي وأسبأنا يقطرون من نخدة دما  
فطرب وأصفى إليه حتى سكنت وهو مستحسن لذلك .

(١) نى الك .

وكان قبل ذلك قد وفد به عبد الله بن جعفر على معاوية ،  
فعرض عليه حاجة لسائب فقال معاوية : من سائب خاثر ؟ قال :  
رجل من أهل المدينة ليثي يروى الشعر . قال : أوكل من روى  
الشعر أراد أن يصفه ؟ قال : إنه حسنه . قال : وإن حسنه . قال :  
أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . فأنسبه بمحضرين إزاراً  
ورداء فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يعني : لمن الديار  
رسوما قفر . فالتفت معاوية إلى عبد الله بن جعفر فقال : أشهد  
لقد حسنه . وقضى حوائجه .

وسائب خاثر مع وملح ، يعترف أنه اجمع بطول الساع  
وباسبوع في الغناء والنح . وهناك عدتنا صاحب الأعراس ، أن معداً  
أخذ عنه غناء كثيراً فنحل الناس بعضه إليه . وأهل العلم بالغناء  
يعرفون ذلك .

ولا نعلو إذا قلنا إن سائب مفر حزبي انفس وليس استقامه  
لهذه القصيدة المنسوبة للحزوي واتى مسلماً :

لمن الديار رسوما قفر لعت بها الأرواح والقطر  
وحلاها من بعد ساكنها صحح مصير ثمال أو عشر  
والزعمرات على ترانها شرف به البسات والبحر  
ولقصائد أخرى تنتهي بك إلى هذا اللون من الغناء واللحن  
المشوب بالحن والألم . ما ينهض دليلاً على مقدار تأثيره بفن الناحات  
وما تركه من أثر في نفسه وخيعة في حسه .

على أن بيئة النائحات لم تكن هي التي سيطرت على كل حياة  
سائب خاثر الفنية ، بل كانت له مدرسة أهم شأنًا وأخلد أثرًا ،  
ولعلها هي التي أحلته هذه المكانة من تاريخ الغناء العربي . بل لعلها  
هي التي جعلته أول معلم مجدد مبتكر في هذا الغناء .

ورد على المدينة شيط الفارسي يحمل معه غناء بلاده  
بمصاحبة العود على العود ولما استمع إليه سائب — وكان من  
أصل فارسي كذلك — انفسح أمامه مجال جديد ، ورأى في موهبته  
تقدرة على أن يكون هو الوسيط للموسيقى والريد المترحم الذي  
يستطيع أن يعقد الذخيرة ويتعارف بين اللونين من الموسيقى  
الفارسية في عراقتها والعربية في بقاء فطرتها . فأخذ هذا الثوب  
الجديد من الألحان الفارسية وأجاد تفصيله وحياته على مصاحبة  
العود الرمان بعد أن كان الغناء العربي إلى وقته مقصوراً على  
مصاحبة القصبة الأجلش . ومن ثم كان سائب خاثر هو أول  
من غنى في المدينة بشعر عربي غناء متنق ، الصنعة ، وأول من  
أدى ذلك بمصاحبة العود ، وأول من استعار فناً لفظاً وغناء لغناء ،  
وأول من قام بالتعليم وأصبح له بالمدينة من تلاميذه من تسنموا  
فقه المجد في الغناء العربي ، وفي مقدمتهم أعلامه الأربعة عزة الميلاء  
وابن سريح وحميلة ومعد .

وقد استهدف سائب لنهاية محزنة لعله هو الذي انشرد بها دون  
أعلام الفن الآخرين . فقد كانت الفتنة في عهد يزيد بن معاوية .  
على ما يعلم الناس من شرها المستطير . وقد أقبل جيش يزيد على  
المدينة وأريق الدماء أنهاراً ، وكان طبيعياً لإححاد الثورة أن يظلم  
أناس وتزهق أرواح ، وشامت الأقدار أن تصيح سيوف أهل  
الشام بأجمل مزمار في أحس حنجرة . في أول معلم مبكر محتد  
هو سائب حائر الذي كان لهم فيه هو الخاسر لو استطاع عقده في هذا  
العهد وفي وقعة الحرة عام ٦٤ هـ ( ٦٨٣ م ) .

## ابن مسجح

هو أبو عثمان سعيد بن مسجح ، مولى بني حمح وقيل مولى بني  
 محزوم . أسود ولد بمكة . ومعن من فحول المعن في صدر الدولة  
 الأموية . سمع غناء الفرس وهم يبنون المسجد الحرام ونقله إلى  
 شعر عربي . ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم ، ثم إلى بلاد  
 فارس فأخذ بها غناء كثيراً ، وتعلم العرف واللات مختلفه . ثم عاد  
 إلى الحجاز وقد أخذ بحاس النعم واحجار من السنين ليوناني  
 والعارسى أحمل ما فيهما من أصوات وأهمل ما استقبله من الثرات  
 الموحودة في غناء هذين الشعبين مما لم يتفق وذوقه العربي ولا مع  
 ضاع غناؤه ، وبذلك أصبح له في الغناء مذهب خاص وطريقة جديدة  
 اتبعها الناس بعده . وهو الذي علم ابن سريج والعريض ومعبد .  
 وكان ابن مسجح فطناً ذكياً فأعجب به مولاه مد حداثة سنه .  
 وما يروى عنه أيضاً أن مولاه سمعه يوماً يتعنى بشعر  
 ابن الرقاع العاملي :

ألم على طل عفا متقاد      بين اللبكيك وبين غيب الناعم  
 لولا الحياء وأن رأسي قد عسا      فيه المشيب لزرت أم القاسم

ودعا به مولاه فقال له : يا بني أعدد ما سمعت منك على .  
فأعاده ، فإذا هو أحسن مما ابتدأ به . ثم سأله : أنى لك هذا ؟  
فأجاب . سمعت هذه الأعاجم تنغى بالفارسية فتقفها وقلبها في  
هذا الشعر . قال له : فأنت حر لوجه الله .

ودفع إليه مولاه بعبيد الله بن سريح وقال له : يا بني عليه  
واجتهد فيه . وكان ابن سريح أحسن الناس صوتاً ، فتعلم منه ثم تفوق  
عليه حتى لم يعرف له نظير .

وقد قال اسحق بن إبراهيم الموصلي وفد عاش في أول القرن  
الثالث الهجري . . إن أول من غنى في مكة العناء العربي كما يسمع  
حتى اليوم هو سعيد بن مسجح . . وهذا ما يذكره أيضاً علي بن هشام  
أحد الموسيقيين المعاصرين لإسحق إذ يقول : . . بن سعيداً  
ابن مسجح هذا هو أول من وضع العناء العربي في جزيرة العرب  
الإسلامية وهو أول من نقل العناء الفارسي إلى العناء العربي . .

وحدث دحيم الأشقر قال : كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان  
فمضى إليه أن رجلاً أسود يقال له سعيد بن مسجح أقصد فينان قریش  
وأنفقوا عليه أموالهم فكتب إلي أن أقبض ماله وأسيره (١) ،  
ففعلت . فتوجه ابن مسجح إلى الشام . فصحبته رجل له جوار  
مغنيات في طريقه . فقال له : أين تريد ؟ فأحبره خبره . وقال أريد

(١) أنى عسرته وبعده

الشم . قال له : فتكون معي . هل نعم . فصاحبه حتى بلغا دمشق  
فدخلوا مسجدها . فلما من أحسن الناس بأمير المؤمنين ، فقالوا :  
هؤلاء النفر من قریش وسوء عمه . فوقف ابن مسجح عليهم وسلم  
ثم قال : يا فتیان هل فيكم من يصيف رجلاً غريباً من أهل الحجار ؟  
فنصر بعضهم إلى بعض وكان عددهم موعداً أن يذهبوا إلى قينة يقال  
لها برى الأمانى . فلقوا منهم قال : أه أصيبك . وقال  
لأصحابه انتدبوا ثم واصل مع صبي . ورا لا لى تحى أنت  
وصيبت . فذهبوا جميعاً إلى بيت تيمه . فماتوا به عشاء قال لهم  
سعيد : إنى رجل أسود وليس فيكم من يقدرنى وما أجس وآكل  
وحية . وقاموا وسحبوا منه وبعثوا إليه بما آكل . فماتوا إلى  
"أثراب قال لهم من ذلك ففعلوا به . وأخرجوا حاريتين فخلستا  
على سرير قد وسع لهما فبعثتا إلى العشاء فدخلتا . وخرجت حارية  
حسبه الوجه والهيئة وهم معها فحست عن "سريه" وحسنا أسهل  
مها عن يمين السرير وشماله . فقال ابن مسجح ممثلاً بهذا البيت :  
فقلت أشمس أم مصابح يعة . بدت من حلف السحف أم أنت حالم  
فعضمت الحارية وقالت : يصرب هذا الأسود لى الأمثال ۱۱  
فنظروا إليه نصراً منكراً . ولم يرالوا يسكونها . ثم غنت صوتاً  
فقال ابن مسجح : أحسنت والله . فعصب مولاها وقال : أمثل  
هذا الأسود بدم على جاريتى !! فقال لى الرجل الذى كان يبنى

عنده : قم فانصرف إلى منزلي فقد ثقلت على التوهم . فذهبت  
أقوم . فتذمه (١) . فوالى : بل أقم وأحسن أدبك . فثقت .  
وغنت احارية فقلت : احذات والله يا فاحرة وأست . فاندفعت  
فعينت الصوت . فوثت خرية فقالت لمولاه : هذا والله  
أبو عثمان سمع بن مسجح . فثقت أنى والله أن هو . والله لا أقيم  
عديكم . فوثت ترشيون . فثقت أحدهما يكون عدي . وقال هذا  
بل عدي . فقلت والله لا أقيم إلا عند سيدكم (٢) . ثم سأوه عما  
اقرعه فاجبرهم الخبر . فثقت له صاحبه : إني أسمر اليه مع أمير  
المؤمنين فهل يحسن أن عدو ؟ قال لا ولكن استمع هذا .  
قال : منزلي يراجه دار أمير المؤمنين فإن وافقت منه طيب نفس  
أرسلت إليك . ومضى إلى عبد الملك فباراه طيب النفس أرسل  
إلى ابن مسجح . وأخرج هذا رأسه من وراء شرف القصر ثم هذا :  
إنك يومعاد يابن الأفصل إن رزول الأقدام لم ترزول  
عزدين موسى والكتاب المنزل تقيم أصداق القرون أنيل  
للحق حتى يتحوا للأعدل

فقال عبد الملك لمقرسي : من هذا ؟ قال : رجل حجازي قدم  
علي . قال أحصره . فأحصره له . ثم سأله : هل تعنى غناء الركبان ؟

(١) تذمه : ذم .

(٢) سيدكم : سيدي .

قال نعم . قال عنه ، فتعنى . فقال له : من تعنى العلاء المتقن ؟ قال  
نعم . قال عنه ، فعنى . فاهتز الخليفة ضرباً ثم قال له : أقسم أن أدك  
في ثقبه لاسماً كثيراً ، من أنت وبك ؟ قال له : أما المظلوم ،  
المقبوض ماله ، المسير عن وطنه . سعيد بن مسجح ، فقبض مالى  
عامل الحجاز وشافى . فتسلم عبد الملك ثم قال له : قد وضع عمر  
قتبان قریش في أن ينفقوا عليك أموالهم . وأمه ووصه ، وكتب  
إلى عامله رد ماله إليه وألا يمر ص له سوء .

وعاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام  
الوليد بن عبد الملك ، وقد مات في حكم الوليد حوالي عام ٩٦هـ (٧١٥م)

٥٥٢

هذا هو الرجل الذي حرر منه . أو هذا هو الرجل الذي حرر  
النس بعقريه وموهبه . تحمل في سبيل إشباع هوايته عبث الضال  
ومصادرة الأموال . واسعى كل سعى صادفه فروى غمام العمل .  
واستمتع في معاصرة تلك الطبقة من بناء كعبة أن يصيف إلى  
الموسيقى العربية دماً حديداً . مارال به حتى نمته وعداه من كل  
ما حوت مدينة الروم ومدينة الفرس وما استطاع أن يصل إليه  
منهما . وحسب ذلك الأسوة في يدعص صحيفة العلاء العربي في بداية  
إنشاء المدرسة الحديثة ونكوير نطقه في سيكون على رأسها

معبود ، ممن اتسمت لهم بعد ذلك رقعة الحياة وامتد عليهم ظل  
المدنية والتساح .

إننا لنرى في ابن مسجح الشجاع المناضل عن فنه ، الذي حمل  
المشعل أمام القافلة فلفت إليه الأنظار ، وتبعه كل مطرب ومطربة  
وقد رأينا في قصة حياته المفاحات التي تدل على كرامة نفس وعزة  
قلب وإيمان بالفس . وحسبه ذلك قدراً ، وثرورة من التاريخ ،  
ومثلاً أعلى للفتان الشجاع ، وللمعنى المصحى ، وللرقيق الذي حرر  
فنه لحرره فنه .

---

— ٦٢ —

## عِزَّة المِثْلَاء

نارت حلافة عثمان رضى الله عنه بدياه عصر فى حبيب أنسج  
 بيد الألقى بحافة لمطلعها المستشرقة إلى بقى المدينيات وألوان الترف  
 من الزمى ساحة على أثر ما شأ على التوح والانتصارات من  
 تلاح وتراج ، وإدمج وقعت فيه أسرار عرب على وجوه لم  
 تسمعها ومن لم يعرفوها وقبور رقيقة اقتبسوها وجنوا أطايبها ،  
 و... أعياها من شخصيات... بية ما أسبغ عليها الكيان المستقل  
 داسع الحصر المميز .

هكذا كانت حلافة عثمان تبدأ بأسس تتجددون فى كل  
 شىء . وهامى السبته تتنق فيها الدور من تقصور الشاهقة . وهامو  
 العقيق وقدم وحواس أخذ تحمل بالعمز والمالى الجديدة ، وتعرس  
 فيها السباين نصرة ، وقد امتلأت بالأنوف من حدم وحشم  
 وحوار وعبيد . وإن ملك المنظر كلها لحديره أن تفقد كل طلاء  
 من أحمال والرويق مالم يتنح لها فى بصور محاسنها ويترجم عن  
 بهجتها وترقب . فما السباين التى تحلو من طيورها العردة إلا قيعان  
 وفقار ، ولو كانت لسانها من الفضة والنضار . فكان لا بد إذن

للطبيعة أن تستنكس ربها وأن تفي لمرية برائتها المعينة وأن تعد  
لها تسيده بارعة وراوية فتية ومؤدية قادره ومعينة حاكمه بل وهما  
مبتكره . وتلك هي عزة ميلاء .

ولقد أتيح لأهل المدينة . من ولأهل الحجاز حميه أن يستقبوا  
لصوتهم الجديدة ، فما كان أحوالهم إليها في تولى من الدين المرامية  
التي كانت تموج بها تيارات سياسية متعارضة في المدينة والحصرة  
والكوفة ومكة واليمن ومصر ، فما من أحبه لمرسه وهي في طعمه  
مجدها ، فكان هذا العناء ترويحاً لتلك التومس المتعبة لمناصه ، من  
كان تحقيقاً لذلك الانسجام لتستكمل أسوة الجديدة حاجتها من  
الفن وسحر العناء .

وإذا قيل عن العصر الأموي شيء عن المدن والسحر في  
العصور لا تولد طفرة ولا حق دمه . وإنما كنت إنشاء وتطور  
غرساً ونماء . وقد كانت بداية هذه الحضارة في مدن الحجاز ،  
لا في دمشق في عهد الأمويين ، ولا في بغداد في خلافة العباسيين ،  
ولا في الأندلس وغير الأندلس ، وإنما سطع هلالها الأول من  
أولئك الدين سادوا يحملون راية الفس في عهد ثالث الخلفاء  
الراشدين .

وأي القدر إلا أن يكون على الجلس اللطيف من هذه الرسالة  
وأداؤها هذه . ائتمه تلاوها عزة ويعقبهما جينة وغيرها . إلى عدد

كثير من مغنيات ربما اكتفى التاريخ بحفظ أسمائهن وإلى أن انتقل  
الشأن إلى الرجال في قصور الخلفاء والأمراء والدعوات العامة لم  
يرل هذا السرب التاريخي من المغنيات محتفظاً بالقيمة الأدبية لربات  
الحدود وحواري القصور . وإن امتد الرجال بعد ذلك بالصناعة  
وتأليف وتدوين . ووضع القواعد والأصول فقد كان لتلك  
المغنيات "عزادات" فصل منهود في الأداء الحلو والعم الخذاب  
الذي يستوى الأقدمة .

كانت عزة الميلاء مولاة لبعض بيوت الأنصار . وأطلق  
عنها لقبه الميلاء لما كان يبدو في مشيتها من ميل واحتيال . وقد  
رغم العصر أنها نكت بذلك بسبب لئسها الملاء . والصواب أن  
الميل من الصفات المناسبة لأمثال عزة فقد عرف عنها أنها كانت  
من تحمل لسان عصرها وحياً وأحسنهن قواماً

وحدثوا عنها أنها كانت تعرف على جميع الآلات المعروفة  
في عهدها من وترية ونفخية . وحرفت بحرف بالعود . وكانت  
مطوعة على العهد الحمير . نعتي "عناء" تقديماً من سلفها من القيان  
أمثال سيرين ودرست وحوه والرباب . وقد أبيع لها أن تأخذ  
انفس المدرسي عن شيط وسائب حائر في المدينة . وقد أنشأت على  
أحدهم انمارسيه صوغاً عرياً استولى على قلوب أهل المدينة وقت  
ألباب رجالها وعواطف نسائها .

ولعلنا لم نكن نستطيع أن نقدم صورة صادقة لعزة حين تغنى  
وتعزف أبع من تلك صورة العجبة التي رسمها كتابات الزبير حين  
يتحدث عنها فيقول : « إنه وحدث مشايخ أهل مدينته إذا ذكروا  
عزة الميلاء قالوا لله درها ما أحسن غناءها ، وأمد صوتها ،  
وأندى حلقها ، وأحسن ضربها بالمراهر والمعارف وسائر الملاهي ،  
وأجمل وجهها ، وأطرف لسانها ، وأقرب مجلسها ، وأكرم حلقها ،  
وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها » .

كانت عزة الميلاء مدرسة ذات طابع خاص ، يؤمها الغنائون  
ويقصد إليها المعنون ، ويقطعون بوادي شاسعة وأودية سحيقة ،  
ليحدوا في فيها متعة هوايتهم ، ويتخرجوا على يدها وفي مدرستها  
أساتذة جديرين بأن يكونوا أعلام الفن وأبواق المطربة في أرمي  
عصر للدولة الأموية . وهؤلاء الأساتذة قد سجلوا في اعترافهم  
بفضلها شهادة التاريخ لمدرستها .

فهذا ابن سريج ، أحد أركان الغناء وأعلامه في العصر الأموي .  
كان في حداثة سنه يتحشم الأسفار من مكة إلى المدينة ليستمتع  
إلى غناء عزة ، وينقل من فيها وموسيقاها . وما سئل عن عزة  
إلا كان جوابه تعريداً بجزاياها وإشادة بمكاتها . فإن قيل له من  
أحسن الناس غناء قال : « مولاة الأنصار المفضلة علي كل من غنى  
وضرب بالمعارف والعيدان من الرجال والنساء » .

وهذا امر محرز في مثل مكانة ابن سريج وفي مقدمه القبيح ، كان  
يقضى ثلاثة أشهر بمكة حيث بيته ويقامته ، ثم يقضى منها بالمدينة  
ليستقي العناء من عزة . وكما قسم حياته قسمين أحدهما لعنه  
وهو ابيه والآخر لمعاشه وأسرته . وما هيك هذا فصلا ودليلا على  
ما كان له من الحرية المارة من غزارة ومقدرة مستحقا من ابن  
محرر ان يهتم بشئ من حياته

ولم يترك ابن سريج والوثائق عن قبه بالعبه بل اهدت  
إلى التنبه احسنه . وهي ان نظرا قصة لندن حقيقته ، وكل من  
لا يسلمد وحده من سته وهو جدير بأن يفقد مكانه ومزونه .  
وكان عزه كان في سراج حقة . ان تكون معنية تشأ في عصر  
الراشدين من الحلاء . ان لتجلى في عدها وفي مها وفي حلقها بما  
هو لائق مقامه . العصر وميراثه المديبة لرفيعة .

وكان ضويس معنى كبير "تردد على منزل عزة دائم الاتصال  
بها خيرا لخصتها وسحابتها . فاستمع إليه يصف عزة ويقول :  
وهي سيدة من غنى من تساء . مع جمال بارع . وخلق فاضل .  
والسلام لا يشوبه دس . أمر بالخير وهي من أهلها . وتنتهي عن  
السوء وهي محاسة له . ما هيك ما كان أنبلها وأنبل مجلسها ، وكانت  
إذا حسنت خلقا دائما فكان الظير على رموس أهل مجلسها ، من  
تكلم أو تحرك يقرر رأسه .

وقد أتيج لمعد ألسنه يشهد به . عند سماع إلى عزة يوماً  
عند حمية ، وقد تقدمت بها لس . وهي تعنى على معرفة :  
عدلى وعدلا صاحباً واستيف من المروى رينا  
فتان : ما سمع السامعون بشئ أحسن من ذلك وإذا كان هذا  
غناؤها وقد ست فكيف بها وهي شابة !! .

ما تعبير الفضة الدية يتجى في شاعر القصص العاطفي في ذلك  
العصر عمر بن أبي ربيعة . فقد سمعها يوماً تعنى شيئاً من شعره فم  
بتمالك صوابه وشق ثيابه ، وصاح صيحة ست رشده ووعيه ،  
فما أوفى قال لقوم : لعيرك أهل يا أبا الخطاب . فتان : إني سمعت  
والله ما من أملك معه لا نسي ولا عقى .

وكذلك كان الإقرار بفصلها يتوقع لتعير عنه والإشادة به .  
وهذا حسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر المحرم ، الذي لبث  
في الجاهلية والإسلام عمراً طويلاً ، وحلب الدهر أشطره ، وزدم  
ملوكاً وأمراء في الجاهلية . وحضر أحداثاً ومواقف في الإسلام .  
ومدح وأثنى . وشبب وهج في "عصرين" . . . هذا حسان يستمع  
إلى عزة وهي ما تزال فتية في كنف أستاذتها رائقة ، فما يكاد  
يسمعهما حتى يسك الدمع العزير . ويذكر أيامه الخوالي في قصور  
بني غسان . فقد روى أن بدأ بن ثابت الأنصاري أقام وليمة  
احمى له فيها المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة ، وحضر

حسان بن ثابت ، وقد كف بصره يومئذ ، حتى إذا فرغ الطعام  
أتوا بحاريتين إحداهما رائقة والأخرى عزة ، فجلسا وأخذتا  
مرهمهما وصربتا ضرباً عجيماً ، وغتا بقول حسان :

أبصر حليلي بياض خلقه من تبصر دواب البقاء من أحد  
فسمع حسان يقول : قد أراني بهما سمية بصيراً ، وعيناها تدمعان  
فإذا سكسا سككت عه البكاء وردا غتا بكى . ولما عاد حسان إلى  
داره استلقى على فراشه وقال لابنه عبد الرحمن : لقد أدكرتني  
رائقة وصاحبتها أمراً ما سمعته أدناى ، بعد ليالى جاهليتنا مع حبة  
اس الأيهم ( أمير عسان ) ثم جلس وتبسم وقال : لقد رأيت  
عشر قيان خمس روميات يعين بالرومية بالربط وحسن يعنين  
علاء أهل الحيرة وأهدهن إليه إيس بن قبيصة ، وكان يفد إليه  
من يعينه من "عرب من مكة وغيرها ، وكان إذا جلس للشراب  
فرش تحته الآس والتبسمين وأصناف الرياحين وضرب له العنبر  
والمسك في صحاف الذهب والفضة ، وأتى بالمسك الصحيح في  
صحاف الفضة وأوقد له العود المندى إن كان شائياً ، وإن كان  
صائفاً بطل الثلج ، وأتى هو وأصحابه بكساء صيفيه ينفصل  
هو وأصحابه بها ، وفي الشتاء الفراء الفخك وما أشبهه ، ولا والله  
ما جلست معه يوماً قط إلا طلع على ثيابه التي عليه في ذلك اليوم  
وعلى غيرى من جلساته ، هذا مع حلم عن جهل ، وضحك وبذل

من غير مسألة مع حسن وجه وحسن حديث ، ما رأيت منه حتى  
قط ولا عريضة .

وقد ذاع شأن عزة وضيق صحتها الآفاق . وأقبل الناس عليها  
من كل مكان حتى فزع ذلك بعض المعاصرين من أنصار الصرامة  
والمحتطين ، فمجهوا بالشكوى إلى الأمير سعيد متهمين عزة بأنها  
فتنت أهل المدينة وفسدت المؤمنين بنسب معرق قد نهى عنه الإسلام .  
وأوفد الأمير إليها رسولا بأمرها بترك العناء متضرعين بأنها فتنت  
رجال المدينة ونساءها . وكان قد قصد إلى دارها وقداك عبد الله  
ابن جعفر ، من أشرف الناس مؤنداً ومكافئاً وأوسعهم ثراء  
وجاهاً . فقال للرسول : إرجع إلى صاحبك فقل له عني أقسم  
عليك إلا ناديت في المدينة أيما رجل فسد أو امرأة فتنت بسبب  
عزة إلا كشف نفسه بذلك لعمري ويظهر لنا ذلك أمره . فسأدى  
الرسول بذلك فما أظهر أحد نفسه . وقال ابن جعفر لعزة : وابن  
أبي عتيق معه ، لا يهولئك ما سمعت وهاتى فديننا . فغنته شعر القمامى :  
إنا محوك فاسلم أيها الظلال      ويا ليت وإن طال بك العيش  
وهكذا استمرت عزة في طريقها إلى مطمئنة على تشييد محدها  
ومعد الغناء العربي معها ، حتى قضت نحبها حوالي عام ٨٦ هـ (٧٠٥ م)

## جميلة

فانه العروبة وممنية الحجر ورافعة راية الطرب في العصر  
 الأموي الراهر . . . فما كان أحوج هذا العصر إلى مثل حميلة . فقد  
 استعربت فيه الأحداث . واشبكت لمذاهب الإسلامية في صراع  
 عنيف . و . . . في مصكمات فانكاد الهدنة تقوم بينها حتى  
 بدأ حرب شعواء جديدة بين شيعة أهل البيت وأبصار الخلافة  
 الأموية من جهة . وبين الخوارج والحنيفية من جهة أخرى . ثم بين  
 السعوية وعربية من جهة ثالثة . حين يتقدم الخلاف المذهبي  
 وتشتعل النيران بين خلافة أبي بكر . وينشر أغصانه الوارفة . ويبحث  
 في الأحواء أخذه السيرة . وبدا بتلك العريس المكدودة تفر  
 من ذلك لأنوار المستعبر يرى في نفس عراهاها وسلوتها . فما كان  
 شباب الخلافة الأموية يدهر حتى كانت موسيقى « جميلة » نشيده  
 " . . . وترحمه الساحر السبع .  
 وهي في الأصل حارية . امتارت بالبراعة والدكاء والقدرة  
 على الحكاية والتقليد وصحة الأداء . ثم الابتكار بعد ذلك . وقد  
 نقلنا لأولها من أبي سليم إلى بني هز .

عاشت ببلديه حتى أعتقت ، ثم تروحت من أحد موالي  
الحريث بن الخزرج وأقامت وزيد بالسج بن قصر مشيب وحاشية  
وحدم كثيرين . ثم انتقل إليها ولما روحها بالشهرة فلقبت  
بمولاة الأنصار

وتعد حميلة علماً من أعلام العناء تعرف على الإسلام . بل هي  
مدرسة الموسيقى وأستاذتها لأولى في ذلك العصر الإسلامي المتقدم .  
وقد تخرج في مدرستها بك منحة 'استاذة' التي حملت راية الفن العربي  
وتأمت برسالته من أثر الخلافة الأموية إلى أن تم بوضعه في  
الخلافة العباسية وقصور بغداد . وماضت سنته يكون تلاميذها  
نجوم العناء العربي في أزهي عشرين من عصور الإسلام . من مثل  
معد وابن عائشة وحباية وسلامة القس وعقبة العتيقية وحليدة  
وربيعة .

أما مقامها اغنى حسنا فيه شهادته معاصرها ، وإقرارهم بفصلها .  
قال الحسين بن يحيى : « كانت حميلة أعلم خلق الله بالعناء » .

أما شهادة معبد لها فهي وثيقة إمام العناء العربي وفارسه المحلى  
في ذلك العصر ، والاسم الذي لا يسبق في ميدانه ولا يلحق في  
مكانته ومكانه . قال عنها : « أصل العناء حمية وفروعه نحن ،  
ولولا حميلة لم نكن نحن مغنين » .

أما أن تكون جميعه هي اصل الغناء العربي و مر مقطوع به  
 من قوله معد . و لأنه لم يعرف عن أحد من معي العرب أو فيانهم  
 سبقها إلى مثل مكانتها العائيه . ولكن لا بد للأصل من أصل .  
 و من مدوحة للحدود عن عنصر جديد . فليس من الميسور  
 الانتقال من حداء الروادى إلى فن الحصاره بعهده و تراكيه دون  
 مدرج و تطور . فإن من يعثر تباحث على المصادر الأولى لفن جميعه ؟  
 لعلها هي قد نولت الإجابة عن هذا السؤال حين سألت : أنى  
 من هذا الغناء ؟ وهو سؤال يحمل كل معانى التعجب والاستفهام  
 والاستعجاب . وقد أجابت تنوفاً .

و الله ما هو إلهام ولا تعليم . و لكن أنا جعفر سائب حائر  
 من ألسنا حاراً و كنت أسمعته بغيرى و بصرت بالعود فلا أؤبهه .  
 فأنصت منك التهمات فبيت عليها غنائى فجاء أجود من تأليف ذلك  
 الغناء فعبت وألقيت فسمعى مولى باقى وأنا أعنى سرأ ففهمنى ،  
 ودخلنى عني و همس . قد عدنا فما مكسينا . فأقسم على رفعت  
 صوتى و غنيتى شعر رهير بن أبى سلمى :

وما ذكرتك إلا نحت لى ضرباً إن احب بيعص الأمر معذور  
 ليس احب كس إن شط غيره هجر الحبيب وفى الهجران تصوير  
 فيشند ظهر أمرى وشاع ذكرى . فقصدنى الناس ، وجلست  
 للتعليم . فكان الجوارى يتكاوسننى . وربما انصرف أكثرهن ولم

يأخذن شيئاً سوى ما سمعنى أضرح لغيرهن . وقد كسبت لموالى  
ما لم يحظر لمن يبال . .

وأنت تشف من هذه القصة الصغيرة تاريخاً كاملاً إذا  
استطعت وربما شئت . فها هي ذى فتاة قد أرسلت نفسها إرسالاً  
إلى موسى أحمدة عنها ، وإن كانت قرية منها . ثم تراها وقد  
حذقت ما سمعت وحفظت على ما حفظت . ثم إذا أتت عمية  
المصمم الفنى عملها . بدأ دور الابتكار والإحراج والاستاديه .  
وهي لعمري دراسة عميقة في بدايتها ، ثم تقوم على بحر دائلتين والحفظ  
وللمراحة والمعارضة والتحصيل والسقل في درجات فنية ، ولكنها  
إصغاء ووحى وإخلاص واستمرار كل ذلك اجتمع بليلة مع  
ما توفر لها من قوة الاستعداد فكون منها ملك الشخصيه العجيبه .  
لوه تحكى شخصيه حميه ، في أحل مكان من الامتياز  
والنفوذ النادر ، ما أتيح لها أن تنقل فماً أحمداً . ثم تعربه ، وتطعمه  
بطائع بيدها ، وتعنى به عنه عرياً وأيباناً حاشلية في لعنها ، عصرية  
في فيها . ويرى حميه بعد أن تقوم بهذه العمىات كلها من دراسة ،  
واستيعاب ، وخلق وانتكار . تنشئ المدرسة وتجلس للتعليم ،  
وتحرف نفس نفسه .

وهنا يجب الإلماع إلى أن هذه القصة القصيرة لا نغنى قصر  
المدة التي قصتها جبهة في التعليم . بل هي تشف في ثاياتها عن أمد

طويل نالت فيه أبا حنيفة سائب حائر ، وقتلت شهر آ بعد شهر ،  
وربما سنة بعد سنة . ويتحلى هذا بوصف إحداث كراماته العناء  
الفرسي الذي لم تفهمه حميه في بداية الأمر . ولا بد من زمن ،  
والم غير قصير ، لكي لا تنبع تلك الصور من أصلها  
الأممي . تستخلصها إلى معرفة الأصلية لتوبة . ولا شك أنها  
كانت قديمة موهوبة ذات . . . وعقوبة تحت لها أن تترجع  
على عرش الموسيقى وهي في الشربة بمصر عن حروب الحدل  
أو حروب الدماء في السحرة ، ومواضع وميادين الأحرار .

وهذا لا ياقص ما هو معه ، وفي الآثار العربية والروايات  
التاريخية من أن سائب حائر هو أول من حاكي العناء الفرسي بعناء  
عربي في المدينة ، وأنه تآثر بشيخ فارس المسمى ولعل ما طفته  
حميه عنه فارسيا كان عربيا استعجمت مدح ، وحروفه حلف  
ستار من الألحان الفارسية الحكيمة في التلبية . وهي عملية فنية  
مألوفة في عصور الاستبداد ، ولحاوت التي بين المدينت والتفاعل  
بين الحضارات .

كانت حميه قبة العناء في المدينة ، يؤم دارها المغنون والشعراء  
من مكة وسائر أقاليم الحجاز . والمراجع العربية حافلة بوصف  
لياليها الساحرة ، وأغانيها الساحرة ، واستقبالاتها الفخمة ، وصيورها  
وروارها من أعلام الإمارة والثراء والفن ، يضربون أكباد الإبل ،

ويقطعون الأعوار والأعوان على ظهور لصاعات الجهاد . يستمعوا  
إلى غناء لم يسمعه . وسعدوا بشئ لم يأنسوا به .

ذكر من بيت أبيه في حمية لكر . عبادة . حمر  
نحت فيها مع حميد . و . و . و . و . و . و .  
الأرهار . وليس من خ . و . و . و . و . و .  
واحد . و . و . و . و . و . و . و .  
هنا سمع . و . و . و . و . و . و . و .  
العدد الوهم من أصوات لمعاف . و . و . و . و . و .  
المعجزة المأثور قال . و . و . و . و . و .  
وحقاً إن ذلك لما عتق به القلوب ونصرت به الخواص .

وكانت دار حمية لبوہ الجامعة يتصد إليها أعداد  
المعيس . كما يتصد الخدمون إلى أهل العذب . وقد ورد في المدينة  
ابن سريخ ومعد ومالك وسواهم من مشاهير الموسيقيين ليستنوا  
فن الغناء في مدرسه حميه . فكانت لهم الشهرة البدعة والأسماء  
اللامعة طوال العصر الأموي .

وكانت في كدير من الأجداد يعني معهم . وكانت حميه تعني أنس  
فيكررونه حميه بعد ما مصاحبين لغناء بصوت العبدان . ولكن  
في وصف تلك الاختلافات الثابتة قول معد : ما مررت . من  
تلك الأوقات . ولا عند خليفة من أجداد .

ويبدو لنا أن حمية كانت تحتوى نفسها على خلق فنان ، وتضم  
بين صواعبها قلب موسيقية رحيمة ، لا تنص بالعيب المدرار من  
فها عرى لصامتين إياه والمتلهمين عليه . فها هو ابن أبي عتيق وعمر  
ابن أبي ربيعة وذا حوص بن محمد الأنصارى يقصدون إلى دارها  
فتألفهم بالخفاوة والترحاب . وما هو إلا أن قال عمر لها : إني  
قصدتك من مكة لسلام عيت ، حتى قالت : أهل العصل أنت . .  
قال : وقد أحبت أن يفرغى لنا نفسك اليوم ونحى لما بحسبك ،  
فت : أفعل . . ودعت بالعود وغنت حتى سمع نبت رلرله وللدأر  
همهمه واستحسب العناء أحلام تقوم فصفقوا بأيديهم وضربوا  
أرطليم ، وأمالت الشوه روههم وهم يقولون : نحن فداؤك من  
السوء ووفائك من المكروه . ما أحسن ما غنيت وأحسن ما قلت . .  
ثم دعت بأبواب الأشرية فشربوا ما طاب لهم . ثم غنت أبيات من  
"سعر لعمر فخرج العناء من وعبه وصاح وبلاه ، ثم غنت إلى  
جيب قميصه فشقه إلى أسنمه ، فمالبت أن صار شميمص قماء . وقال  
له : تقوم . قد أصابنا كآبدى أصابت وأحسى علينا . غير أما  
فارقناك في حريق الثياب . فدعت حمية شيب خيمتها على عمر  
فقلها ولسها . ولما انصرف تقوم إلى منارها وجه عمر إلى حمية  
بعشرة آلاف درهم وعشره أثواب فقستها حمية . وعاد عمر إلى  
مكة معتبط برحمته .

وإن المرم ليأخذه العجب حين يقرأ القصة التالية عن جمية  
في دهبها إلى الحج وعودتها منه ، وكيف كان تقدير أعلام المدينة  
ومكة لها في المضي وفي الأيام ، وكيف صحبها الخور الحسان  
والفئات البارعات من الخواري والقبائل ، وكيف أحاطت بها  
مواكب ووددت إليها أفواج ... يجرى ذلك كله في صدر  
الإسلام وفي بحر الدعوة ، والأمة تحبش الحبور وتعرف الأمصار  
بين الأندلس غرباً والهند شرقاً لسان الأمل وأخيرة الإسلامية  
الأممية حتى إن الحيوية إذا سرى ديبها في الأمة امتد إليها إلى  
الشرايين حتى تشمل العم والنس والحدك والسياسة ، دون أن  
تظني ناحية على الأخرى ، بل يكون كل عنصر ممدداً للعنصر  
الأخر ومقوياً له .

فما نحن نرى جميله "فداء المعية في ضيقها إلى حرم الله" وهو  
دليل ساطع على ما كانت سجلت به معنية ذلك عصر من الله  
والإيمان وتعظيم شعائر الله

قصدت جمية إلى الحج مصحبتها من شيوخ المعين هيت وطوس  
والدلال ونومة المصحى وغيرهم ، ومن شباب المعين معبد ومالك  
وابن عائشة ونافع بن طبوره وغيرهم ، ومن نساء المعينات غرة  
الميلاء وحابة وعقبة وسلامة وحيدة وأشماسية ونبلة ونبدة لعين  
وسعيدة والرفقاء وغيرهم ، وكثير من الأشراف والنساء . وحج

معه من ثياب كبريات بعتها بقرها . وحقق ٣٠ دية حمسين  
وينة . حمسين . ١٠٠ من ثيابهم فأعطوهن الفقراء وحموهن عن يدين  
في الهواجر و ثياب وغير ذلك . عرفت حمية . من واحدة منهن  
درهم حتى . حتى .

ووجه معهما من رجال المدائن غير من سمينا هذه ثلاثين  
سنة . وانه يروى في אחד أنواع الناس له حبيب شريف .  
بينهم من كان له من حبيبه إنهم ما رأوا مثل ذلك مع سقراً  
صداً وحيداً ودرجاً .

وهذا ما رواه ابنه بلقيس من سلاء المدائن . ١٠٠ سعيد بن مسوح  
روى عن رجل من أهل مدائن عمر بن عبد عليم من شعراء كوفهم  
ابن أبي ربيعة . وروى في حبه وغيره . ١٠٠ . فدخلت  
حمية مكة وما حرك من مدائن . ١٠٠ . فإني لا أقيم معها .  
وخرجت ما كان من مكة من الرجال وساء يضطرون إلى جمعها  
وحسن هيتهم . فوجدت حجاباً من السكينة أن تجعل لهم محسناً  
فقلات . ١٠٠ . فإني لا أقيم معها . ١٠٠ . فإني لا أقيم معها .

وروى أنها تب أن جلس للقاء في مكة . حتى قال عمر بن  
أبي ربيعة . أقسمت على من كان في قلبه حب . ١٠٠ . فإني لا أقيم معها .  
إلا خرج معها إلى المدينة فبني خارج . فعزم ستون من سمينا ثم  
كلهم عن الخروج . فحدث حمية في جمع أكثر من سمينا بالمدينة .

فيما قدمت إليه تسعة هجاء وأسراجه من حمار و نساء ،  
وحرج جميع من بيوتهم يشرون في جميعها من نقد بين هجاء  
فيما دحيت مرطها ، تقوى مع زنى ما رزقه . ومن أنس دكة من  
أقاربهم وحوانهم ، وجاهدوا من هجاء هجاء . ثم مضى تسعة  
عشرة أيام خلست لعناء . ثم كان يوم ثلاث عشر اجتماع  
الأمم فصربت ستاره ، وخلست أخواري نهي ، فصر  
وصربت حمية فزلزلت الدار .

وبلما أدركما في بحرى هذه قصصه و آخر . وهو صاحب  
الثقافة حمية حين قتل أهل مكة عن الحسن بنى . سونه مها  
أنعناء هو أم الحديث . ولعل حديث هجاء من الحديث أن  
الشريف ، فقد يكون حديث الأدب في بنوهم ومشوره ، وحيات  
الرواية والأساس وأيام العرب وحرورهم . وكذا كان تسعة  
في عصر غيرة والمحد لا يثق بهم الأمر عن ما يقرءون من  
مطلوبات يلقونها في مواضع كسب العيش . وإنما كان الأمر نفس  
وإلى جانبه علم واطلاع بمصالح الحياة وحاصرها .

وكان من أحبار حمية أن استهدفت لحالة نفسية مما يعرض  
كثيراً للشاعر فيقسم أنه سيرك الشعر . أو يمدحى فيعتره ترك  
العناء . ولكن هذا الأثر لم يبق طويلاً . بل مضت حمية على  
ما يبدو من الرواية نفسها مواصلة لعناء . معبرة أنها ابداً  
خدا اسمها وتريتها . قال المؤرخون

فعدت حملة يوماً على كرمي لها وقالت لآدمتها لا تحجني عنا  
أحدأ ليوم واقعدى بالباب فكل من يمر به فاعرضى عليه مجلسي ،  
فغضب حتى غصت اندار بالساس . فما تعالى النهار واشتد الحر  
استسقى الناس الماء فشرب من أراد ، فتألت أقسمت على كل رجل  
ومرءة دخل مرلي لا سرب . ثم قالت لهم إني رأيت في مامي  
شئ أفرعني وأزعني ولست أعرف سبب ذلك . وقد حدث أن  
يكنى قرف حتى ، وليس ينبغي له لا صاح عني . وقد رأيت  
أن أترك الماء بخلافه أن يلجئني به شيء عذري . فقال قوم منهم  
وفقت الله . وحدث عرومك . وقال آخرون بل لا حرج عليك  
في نعمه . ومن ثم قاله شخ منهم دوس وعلم وفقه وتحرية :  
« مشر أحمر من الماء عني نكت . ويريد في القور ،  
ويسر . ويفصح في . أن . ويتبر به العسير ، ونفتح به  
حمد من . ويرى . أخيراً . ويرى لمريس ومن مات قلبه  
رسقه ونصره . من نكت به كل ساء ومن فاره كان جاهلاً ،  
أنه لا يرى أرفع ، ثم أنجس منه . مما كيف يستصوب تركه .  
وشر به . وعدت ما فلت ووقع من نكت ما ذكرت ؟ قالت  
حي وأن . أستعبر أنه قد رآها فاحتمى بحسن وهرق جماعتنا بصوت  
فقط . نكت حتى دنا . أن . استمدته السبي لم يفرق جماعتنا عني  
إس من الماء زود حو نسيبانه . وسلام عير ورحمة الله يا حمية .  
وتوفيت حوائ ١٠١٥ ( ١٧٢٠ م ) .

## ابن محرز

هو أبو الخطاب مسلم بن محرز من موالى عبد الدار من قصي .  
وهو فارسي الأصل ، كان أبود من القامنين على سدانة الكعبة .

وقد عرفت الموسيقى العربية في مثل هذا العصر رجلا  
كابن محرز تفضل بين حاصرتي الحصار يتعمم موسيقى عزة المسلم  
بالمدينة أشهر أ ثم يعود إلى وطنه مكة فيقيم بها أشهراً يستمتع من  
أساده ابن مسجح ومن غير واحد من أوفاد المعين بأم القرى .  
فإذا لم يجد بالخاصرتين ما ينقع غنمه صر في الآف بسم الحبيد  
من الفن الفارسي ببلاد فارس أو الالحان الرومية بالشام التي بقيت  
آثارها بعد جلاء جيوش الروم على أثر الفتح الإسلامي

على أنه وهو يداول بين تلك الغنم فارسية ورومية لم يكن  
يريد أن يحلها على شعر العرب ، وإنما أراد التحير والانتحاب  
والانتفاع بكل ما هو حديد طريف .. وهكذا يصنع الفنان البارح  
حين يلتقط المآثر الفية والثمار الحسنة فيعتصرها ويهضمها ويخرج  
من عصارته منه الخالص ، فيه شخصيته الفردية وطابعه القومي ...

وهكذا صنع ابن حجر كما صنع أستاذه ابن مسجح . حيث  
سج على مواليه ، وسار على دربه ، وجاء بما أدهش الناس من  
آثار رحلاته راحل الخربة ثم ربه وحارحها من بلاد فارس  
وإفراق وشهد حين استحسن من بيت الموسيقىات خير ما فيها ،  
واسمع منها ما سوعه سمع عربي وطابع موسيقته .

ولما رآه في الموسيقى طوي عيره ، صاح له : كما لقب  
الاعشى من دلت عره عدا حه لمر .

وكان ابن حجر يكتب في أسبوعه من راحل بعينه الصمد  
والاستقام ، بل كان من دلت عجا مدعا بحره . وكان مما جده  
في الأخوان نورة هذه التسمية : ما من يوم يكن أحد قد سبقه إليه .  
وقد كتب هذا التسمية أن يحدث في الحجة العربية دحا طولا  
من أرض بعد صرحه وان بلغ مكانه رفعة من دسحسان حتى  
يقه مع فارسي في يوم . ثم استحسن حها لان حجر فنقله إلى  
الغارسه وعنه

وإلى جانب أسكارة الرمن فقد أمتن في مدح حيث لا يكتب  
لمن واحد يد مع كارتيت . بل كان أول من غي بزوح من  
الشعر واقتدى به ثم من بعد ذلك . وقد قال : الأفراد لا تم  
بها الأخوان .

وفد تلتذ لآب سحج كما سلما . وكما أخبر هو عن نفسه .  
ولأمر ما لم يكن يحفظ الناس . ولم يشهد مجالس الخلفاء فقد كان  
مرض الرص وهو لعة التي تصيب بها خديرا لا يدع به صاحبه  
إلا جارية لأحد أصدقائه كاتب نالعه وتحفظ عنه وهي التي روت  
غناؤه وأصبحت حنجرتها سجلا لصوته وأخاه . فكم عاد إلى مكة  
قدم ما بيده من المال إلى صاحبه . سيد تلك الجارية ، فبدأ يصف  
المال جهزه وقال له إذا شئت فزحل . وكذب يمضي ابن محر  
ويعود .. ومارا بين حينه وذهب حتى ذهب من هذه الدنيا  
في عهد الوليد بن عبد الملك .

على أن ابن محر وإن لم يعيش مجالس الخلفاء . ولم يحفظ بمدامه  
الأمراء فقد اعرف له بالعص كبار أعلام الغناء . وكان من  
المقدمين عند إسحق الموصلي . كما أقر له بأسق اعقل بن يحيى  
ابن خالد البرمكي .

وإن القصة التالية لدليل على مكانته الرفيعة التي كان يحسده  
عليها معاصروه من المعين :

قالوا شخص ابن محر مرة يريد العراق فلقبه حنين الخيري  
وهو حينئذ أكر أعلام الغناء بها فقام له غنى صوتا من غنائات  
فغانه يبتين من شعر عمر بن أبي ربيعة . فقام له حنين : كم أملت من  
العراق ؟ قال ألف دينار . فقال له : هذه خمائة دينار ومعها نفقة

السفر في الحضور والعودة خذها وانصرف واحلف ألا تعود..  
ولما شاع ما فعل حين لأمه أصحابه عليه فقال : والله لو دخل  
ابن محرر العراق لما كان لي معه فيه خير آكله ولسقطت إلى  
آخر الدهر .

وكم من حين اعترضه ، لاني طريق العراق ، بل في طريق  
الشهرة . ولكنه غم ذلك كله . ورعم العنة المنفرة التي حجته  
عن الناس ، فقد اجتاز منه الشام والعراق ، وطبقت شهرته المملك  
والآفاق .

## ابن سريج

هو عبيد بن سريج مولد بن نوفل بن الحارث بن عبد مناف .  
هكذا التقت الروايات وتآمرت على هذا الولاء الذي كان  
من العوامل في رفع شأنه حيث سمي إلى تلك الشجرة الطيبة  
من فريش ، وإن كان البعض يرده إلى غير هذا الولاء من  
اليوتات والقبائل

كان ابن سريج قد جمعت له الحياة بين صلاح وورع ، وبين  
حماها وقبح . فهي حين تدعت في حمرة خلعت منها مرماراً  
من مزامير الفن الخالد أبت إلا أن تحرمه من كل ما هو حميم  
في مظهره وصورته ، فأخرجته دنيا ، في عينه حول ، حتى قد رضى  
أنفسه أن يلقب بوجه الباب . ولم يكن له به حين يعنى من أن  
يستتر بقناع يوارى فيه دمايته حتى لا يتوه قبح منظره حمال غناه .  
وكان مولده في أحرىات خلافة عمر بن الخطاب ، وطال عمره  
حتى بلغ الخامسة والثمانين . حيث كانت وفاته في خلافة هشام  
ابن عبد الملك ، على أشهر الروايات وأقربها إلى الصحيح المقول .  
وكان ابن سريج يجمع إلى الدمامة في خلقته ملاحظة في خلقه

و قد نسي وعذوبته في منطقه . فقد كان يتى بلسان ويردلف  
إليهم من حيث يحبون . فكان لا يعنى أحداً إلا بالمراسلة يلائم  
مدته . و حديث بعض كانت الحبيب فيه بين المذاهب السياسية  
دائمة الأشهر . و لكل من أصحاب تلك المذاهب دعاة وشعراؤه .  
و هو يمكن أن سرى مع هذه الحيدة الأدبية الحسنة ، عارف  
بمختلف المذاهب فيها . ما كان له من سبل إلى إرضاء الجميع  
في وقت . و من فيه واحد عن الآخر . حتى كان حديراً بأن يصنع  
أمره ، حتى يحب من غيره . و له . و إنه حلق من كل قلب  
هو من أجل . و يستهين .

كان ابن سر في مائة عهده بانمر يوقع على قضيب بيده ،  
ثم اتخذ له عوداً على غرار عود ن العز من حيث سلك هو وأستاده  
ابن مسجح هذه الطريقة . فكانوا من الأعاجم ممن قدموا  
مكة لبس الكعبة . فكانوا من أسدع نوع "عناء المنقش في مكة .  
وداع شأن ابن سر في هذه الطريقة الجديدة حتى أصبح  
أحد أعلام أربعة أشهر و بالثناء بالحجاز في هذا العصر الأموي .  
و يفر في ذلك . سحق الموصل : و الغناء لأربعة ، مكيان و مكيان  
و مكيان ابن سريج وابن خنيز و المديان معبد و مالك .

و قد اعترف له بالثقة و سبق غير واحد من أنداده و بطرائه .  
و حبيه أن معبداً كان إذا أحس من نفسه الإجابة قال أه اليوم

سريحي ولما علم وهو في المدينة ، بوفاء ابن سريحي . لأن  
أصبحت أحسن الناس عطاء . فقيل له : أوم تكن ككسك ؟  
قال : لا حيث كان ابن سريحي حياً . ومن عرف قيمة معبد  
لم يحبل قيمة ابن سريحي في هذا الاعتراف انتهى يؤيده قول هشام  
ابن المرية وكان محروماً معمرأ واسع الخبره بالعناء وقد سئل عن  
أخذق المعنين فقار ما حق الله بعد دود النبي عليه الصلاة  
والسلام أحسن صوتاً من ابن سريحي ولا صبح الله عز وجل أحداً  
أخذق منه بالعناء .

وكان ابن سريحي قد لعن بصطنع ياحيه وعاش بأخا يندب  
الموتى من كيار القبائل وكرام العشائر مدته خمسة .  
وقد بعثت سكينه بنت الحسين رضى الله عنهما إلى ابن سريحي  
شعر يصوع فيه لحماً يباح به ، وهو هذا البيت :  
يا أرض وبحك أكرمي أمواتي فقد طمرت سادق وحمق  
فأجابها إلى ما سألت وصنع لها الحسن بصادق به نجاحاً بعد  
أهل الحرمين ، وقد موه على جميع ، مانحين في مكة والمدينة والصف  
ولك أن تستخلص من هذا أن اللحن كان يتصد إليه . ويصع  
خصيصاً لبعض الأشعر . ويصع موضع الرعاه والاهتمام . كما  
تستخلص أيضاً أن الياحة كانت لوناً موسيقياً متداولاً بين  
الألوان الهامة في العناء العربي القديم . ولقد يتبادر إلى الذهن أن

هذا عصر من عصور المجد السياسي الجدير بالتعجب والثناء  
لا بالنواح والثناء . ولكن ليس الأمر كذلك ، فقد كان إلى  
حسب تعظمة في "نوحات والانتصارات والطرب الذي يعمر  
الحدود وقصور ألوان أخرى من الآلام والفتنات التي حلفتها  
الحروب والثورات الداخلية ، وأصاب أهل البيت وبني هاشم  
والأنصار والمزيريين وأشياعهم ما حص لهذه النياحة رواجاً  
إلى حين .

وروي أن مكينة رضى الله عنها وجهت إلى ابن سريج بعد  
ذلك تملوكاً لها يدعى عبد الملك وأمرته أن يعينه النياحة ، فأقام على  
تعليمه مدة طويلة ، فلما توفي عنها أبو القاسم محمد بن الحنفية وكان  
ابن سريج يشكو مرضاً عصبياً فقد به عن القيام بالنياحة . قال  
لها عبد الملك : أوح لك نياحة نسيك بها نوح ابن سريج . فقالت  
له : أو عسى ذلك ؟ قال : نعم . فأمرته ففاح ، وكان نوحه قد بلغ  
الغاية من التأثير ولا سيما في قلوب النساء حتى نادى فائلات إن  
هذا نوح غريب فكأن ذلك سبباً لأن يعرف عبد الملك بعد ذلك  
بالعريس<sup>(١)</sup> . ولما برأ ابن سريج من عنته بعد ذلك وعلم نبأ وفاة ابن  
الحنفية سأل عن نوح عليه ، فقالوا عبد الملك غلام مكينة . فقال  
وهل أساع الناس نوحه ؟ قالوا : نعم ، وقدمه بعضهم عليك . فأقسم

(١) العريس : نومي للناس من كل شيء

ابن سريج لا يجد نصيباً من "يا حبة بيا"، ووعده إلى العناء .  
ولكن من ير نفسه ؟ إن الثمن في الواقع لا يكون دائماً ملك  
نفسه . أو يقول بغير تحرر إن كل ما عند الفنان من الألوان عرصه  
لاستحرجها وإرغامه على الظهور بها مهما حاول كبتها والإعراض  
عنها . فتدح ابن سريج بعد هذه التوبة عندما مانت حماه وكادت  
قد أخذت منه وأحسنت إليه . ثم صاح بعدها على يزيد بن عبد الملك ،  
ثم لم يعرف عنه أنه صاح على أحد بعد ذلك .

وكان ابن سريج يضيف إلى جمال عنائه جمال السجاية . فهو  
رقيق الشبائل ، راحب النفس ، تمتد الأفق ، يرى محادثه فيه من  
خلقه محاسن لا يقل فيها عن فنه . ولقد يكون في بعض أيامه عليلاً  
أو مرهقاً أو متناً ثم هو مع ذلك يلبي رعه كل من يطلب منه  
العناء ، ولا يجيب معيش إلى فنه بن يرده ريان شاكر آ . وقد  
قصد إليه يوماً جماعة من فتيان بني أمية وهو مريض فلما دخلوا  
عليه قالوا : نحن فتبان فريش أتيناك مسلمين عليك وأحسننا أن  
نسمع منك . ثم قال من ابن سريج إلا أن أمر حاربه بإحصار  
جلابه وعوده . وأخذ نقاباً أسدله على وجهه وغام ، حتى إذا  
اكتفوا ألقى عوده وعاد إلى الفراش .

ولعل هذه الحلال النذلة فيه التي اشتهرت عنه هي التي حمت  
الوليد بن عبد الملك على استدعائه لمجالسته ، فقد كتب إلى عامله

بمكة أن يشخصه له . ثم جاءه من توليد . وحدثه عبيد قد دعي  
عنه ما حملني على الوفاة بث من كثرة أدبك وحرودة اختيارك  
مع طرف لسلك وحلاوة محاسنك .

وكانت براعة ابن سريج العمانية تتجلى بصفة خاصة في إيقاع  
أرمن ، فقد بلغ فيه "عبارة" أن قصر عيره دون ماوغيا .

وما أسننته فقد عرفت . بمكة من مسجح . على أنه قد تفوق  
عليه وبلغ "السؤال" الذي يد له سادة "سورة" بنف عبد هذا  
من شكرت رحلته إلى "السيرة" فأخذ بها من صويس في مجلس  
"عناء" التي كانت بقمها عرة الميزان . وم يفه أن يقيد في فته من  
سائب حائر

ويرى المطلعون أنه لم يقصر عماؤه على لون واحد بل كان  
يخلق في كذا أفق حتى قد إبراهيم الخوصي عنه . "عناء" على ثلاثة  
أصرب فصر من مطرب يرك ويسجح . وصر له شعي  
ورقه . وصر ثالث هو حمة ويتقان صنعه . وكل هذا بمجموع  
في عناء ابن سريج .

وصفاته الفنية هذه هي التي جعلته يحرق فصب السبق ويظفر  
بالجائزه الأولى في ماراة عمانية أقامها سليمان بن عبد الملك .

وقد تميز فيها سيف أن العريض أدى عن ابن سريج الياحة  
وهو عيل . ولما حشى ابن سريج أن يجد فيه المنافس القوي أدى

يقض مضجعه أحيى له حور ثياحه وتفرغ بمضاء . وهذا يفي  
العريض إلا أن راحته حشر كان ، ثم أكد ابن سريه عن سريه  
حتى يعارضه ثم يمس مع راحة قوية حميت ابن سريه عن أن  
حقده عليه ونساق بمكاه درء . وكما اشتد به الأمر روح يدكر  
الألحان ويتدع فيها الجند ذو الخديعة ، حتى تفت عن هذه المرافعة  
حوار غنائى فى دار ككأت تجمعها بعض أطراف مكة وكل  
مجمع حيث يجمع إليهم جمهور حافل . ويدد دأى يحسن كى  
منهما على كرسى منادى العمام وذو قصائه . وما رأى ابن سريه  
أن خصمه كان يبع بألسان مستمعه حين يمزج عمامه بالياحة  
التي حذفا دى ، ذى يده وحافظ على صبيقتها ، وأحد يستميل  
العواطف ويسير بها بذلك الأسلوب . بدا له أن يأخذ طريقه  
إلى الأهرج والأرم . وما لبث أن استحتمها لتس خدتها  
وقرب تناولها ، فتنبه لعريض إلى هذه المواجهة الخديعة ، وأراد  
أن ينال من خصمه وأستاده فقال له : يا أبا يحيى قصرت العمام  
وحرقته وأفسدته . فقال له ابن سريه : نعم يا محنت ، تقول  
هذا ، والله لأغنين غناء ما غنى أحد أثقل منه ولا أخود .  
ثم أخذ فى غنائه .

وقد تنافس الناس أسماء ابن سريه وأصفوا عنها من العرابية  
ما تخللوا معه ، ثم مر الطير كانت تهبط عند سمع صوته ، وهذا

بين مكة وعرفة في جمع من شباب حين فروا منهم وسموهم من  
تصديق نافع بن علقمة الذي نادى بتحريم الماء واليد

ثم هذا ابن الربيع على شدة وعنفه يسمع صوت ابن سريج  
فيعود مأخوذاً للـب لا يدري كيف يعبر عن حقيقة رأيه، وكل  
ما في الأمر أن يقول: سمعت صوتاً إن كان من الحسن إنه لمحب  
وإن كان من الإساءة فما انتهى منها شيء.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يسمع ابن سريج فيقول:  
«لله در هذا الصوت لو كان باقراً».

وخير ما في هذه الروايات أنها تصور لمكانة ابن سريج  
وإشادة بمقامه العناني الممتاز الذي دفع أب نافع الأسود آخر  
غلته وأحذقهم وأحسهم صوتاً إلى أن يقول: إذا أعزك أن  
تطرب القرشي فعنه غناء ابن سريج، في شعر عمر بن أبي ربيعة  
فإنك ترقصه.

ولعل من أخير التاريخ ابن سريج في مناسبة اقتران اسمه باسم  
عمر بن أبي ربيعة أن يروي هذه القصة.

حج عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام ومعه عبيد بن سريج  
فخرجوا من مكة بعد العصر يريدون منى، ثم قال عمر لابن سريج  
«يا أبا يحيى إني تمكث في رحوة عنا مع عسيبة إلى مكة مع  
كثرة الزحام والعمار وحله الحاج، فهل لك أن تزوج

رواحاً طيباً وتعلل في عثيتنا ونستريح على كتيب أي سحره ؟  
قال ابن سريج طيب والله يا سيدي . فمر بعض خدمه أن  
يدهبوا إلى داره بمكة ويعودوا بسفرة وشراب إلى الكتيب ،  
وهو على حصاة أميال من مكة مشرف على طرق المدينة ونشام  
ولمراق . فصارا إليه فأكلوا وشربا . ولما انشيا أحدا ابن سريج  
سوف فتره وجعل يعنى وعما ينظران إلى الخراج . وما أمسيا . فع  
من سريج صوته يعنى فسمعه الركبان فخلعوا نصيحون به . صاحب  
الصوت أما تنبى الله قد حسنت الناس عن ما سلكهم !! فسكت هربا  
في إذا عصا ارفع صوته فوقف آخرون . إلى أن سرت . ثم  
من الناس . فأقل عليه رجل على فرس عرفى عنق بأص  
الكتيب وثى رحله على قريوس سرحه نادى . يا صاحب الصه  
أيسهل عليك أن ترد شيئاً عما سمعته ؟ قال نعم . وعلى ما شاء .  
فقال له الفارس بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال حيك الله .  
وهذا عمر بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال حيك الله يا أبا الحسن  
فقال له وأنت حيك الله قد عرفتنا فمرنا نفسك . قال لا يمكنني  
ذلك . فعضب ابن سريج وقال والله لو كنت يريد بن عبد الملك  
لما راد . فقال أناي زيد بن عبد الملك . فوثب إليه سمر فأعظمه و .  
ابن سريج إليه فقبل ركابه ، فقال له لو لا أنى أريد وداع الكعبة وقد  
تقدمى ثقى وغماني لأطعت المقيم معك ولزلت عندكم ولكي

أحرف أن تنطق بحسب . ولو كان ثقل على ما رصيت به يؤيد  
وساكن حذمتي هذه وحاشي ولا تخزع عنهم . برأه من التثنية  
وخمسة ثمانية . ومنه بر كص حتى الحق .

وكانه . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر .  
وكانه من هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مع البديهة والارادة  
ثقة بما تحس صوته من الأثر وإنما كان أكثر من . . . مستمداً  
من . . . بأسرار فيه . ودرأته أو ثيقه . وثيق صناعته . وقد مش  
مره عن قول "لنفس فلا يصيب" ويحسن وفلا . على "أويس"  
فقال . لمصيب المحسن من المعنى . و"أويس" يشيع الألحان ويملأ  
الأحاسيس ويحسن الأوزان وينحرف لأشفاط ويعرف لصواب ويقيم  
الإعراب . وسنوي . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر .  
ويصيب أحاسيس الأيقاع ويحسن موافقة . بر . بر . بر . بر .  
في الصلوات من التمرات . فعصر ما . بر . بر . بر . بر .  
في . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر . بر .

ولما شعر بدنو أحبه نظر إلى الله في تأثر وهي فبكي  
فبكي ، وقال إن من أكره هي أبي أحشى أن نفسي لتي .  
فقال لا تخف فما غيت شيئاً . لا . و"أويس" . فقال هاتي ،  
فأجبت تعي أصواتاً . وهو مصع إليها . قال . قد أحدث  
ما في نفسي وهويت على "مراك" . ووجهها من ابن مسعود الهذلي

الذي روى عنه أبيها وأحد ينتسب إليه . و . . .  
وفاة ابن سريج عام ١٠٧ هـ ( ٧٢٦ م )

ولم يكن الوارث لنفس ابن سريج ابنه "الناصكية" ولا روي  
المنتحل دون سواهما ، بل لقد اشرك معهما في ميراثه الكثيرون .  
وأخذ هذا التراث الفني يختار العصر تحتل بقيمته وقوته حتى م  
يستطع العصر الذهبي في الخلافة العباسية أن يقلل من شأنه .  
كان يزداد حنا كلما تقادم به الزمن . وحسب ابن سريج أن  
يكون أحد ثلاثة هم المختارون من كل عصر بني أمية يوم ضف  
هارون الرشيد إلى أعلام عاه عصره أن يختاروا له مائة صوب  
هي خير ما في لعاه العربي ، ثم يختاروا منها عشرة ، ثم من عشرة  
ثلاثة ، فإذا بابن سريج أحد أصحاب بيت الأحسن حتى حدث اسمه  
على مر الزمان .

## العريس

هو أبو زيد أو أبو مروان عبد الملك العريس مولى لسكينة بنت الحسين رضي الله عنهما ، وهو من مولى البربر ، بدأ حياته حائكاً للثياب ، ثم غلب الفس على الحرفة والمهنة على الصناعة والموهبة على كل ما عداها ، وصحبه ائمان من جميع نواحيه ففسح حوله حاشية منسقة الوشي ثمالاً به حتى صنع من حنجرته من ماراً يرس السحر صوتاً وعناء . كان حسن الوجه جميل المنظر طريف الخلق والخلق ، ولهذا دعى بالعريس وهو أرميق اللين من كل شيء .

وعمرت به مولاته إلى ابن سريج لتحريره . وما أن لمخ فيه أستاذ بحبل نجاهه في الفس وإلى حبه مسرّاً وحد ومظهر جذاب حتى ثارت ثورة الحق في نفسه عبه وترده وصارده ، ولم تفلح الشفاعات بينهما فتعلم العريس مما آثره من النواح ، وتخرج فيه على أمه البكيات لتأديبات ، والمآسي يومئذ على أشدها ، فقد جمع أهل البيت مجمع متوازية ولم تنقطع ما دام بنو أمية أحياء يحاولون استئصال هذه شجرة الهاشمية من الدنيا ، وكلما جفت

دموع على شهيد بدا دثم حديد . ومن هنا وحـ العريس انفسه مكان  
حصية فكان يحجب عن النساء ثم يطلو لنفسه لعدن فينوح نوحاً  
يقطع نياط القلوب . وأصبح واحد دهره في دلت بما حمل ابن  
سريح عني أن يلتمس لنفسه المخرج من هذا المفاقر الخطير بابتكار  
لون آخر من الغناء .

وسع "عريس مكانة ابن سريح" هذا حريز بقول : كان  
العريس أحرق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريح . وما زال  
أصحابنا لا يفقدون بينهما في الغناء . وهذه سكية رضى الله عنها  
تقول عندما استتمت إلى العريس وابن سريح يعنى كل منهما  
( عوحي علينا ربة الودج ) : والله ما أفرق بينكما وما مثلكما  
عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعماق الخوازي الحسان  
لا يدرى أى ذلك أحسن

والحق ما نقله المؤرخون من حكم بعض أهل بصيرة بالنس  
في ذلك العصر . وهو أن العريس أشهى غناء وأن ابن سريح  
أحسن صنعة وإتقاناً

وكان الجميع يسمعون "عريس يعنى في الغناء والمعتقدات  
الصعراوية أو على رموس الجبال فيقفون الركب مشدوهين وحين  
ويقول بعضهم لبعض : لعل هذا صوت بعض الحجاج من  
مؤمنى الجن .

ولقد ثبت "عريض" وابن سريج ومعبد يوماً أن يس فادر  
على أن تتحكم في ماضية أمير فيحمله على تعيين قرار أصدره . فلما مر  
م أراد أمير مكة . مع بن عتمة بنى أولئك المعنيين فاجتمع هؤلاء  
العرس لثلاثة فوق أقي قيس آخر لينة قبيل رحيلهم وأطلقوا  
ثلاثة من بلح من تأثيرها . جعلت سكان مكة يصرعون إلى  
الأمير منصور حين ومستشعير ، وغير قراره وقر بإقامتهم .

وينتجبت . عن "عريض" وأنه قام برحلة من المدينة  
إلى مكة ليستمع في عتمة في قول جميل :

وما أنس من الأشياء لأنس ساد . عيك ملكه لا أسير مدامعه  
فما وصل إلى مكة ودل على داره آخر يطرق بابها على  
"عريض" فم يحبه أحد . وعرفه بعاء خنجرته ، بدلا من دق بده  
وقرع عصاه فلم يسمع . وكاد ينصرف يائساً لولا أن صائحاً نادى  
به واستدعه . وما هو إلا "عريض" يعي :

وما أنس من الأشياء لأنس قولها . وقد قررت نضوى أمصر تريد  
ول معبد . فلقد سمعت شيئاً لم أسمع أحسن منه وقصر  
إلى نفسي . علقت فضيلته على بما أحسن من نفسه وقتت إليه لخرى  
بالاستتار من الناس تترها لنفسه وتعطيها لغيره وإن مثله لا يستحق  
الابتداء . ولأن تساويه الرجا . وأردت الانصراف إلى المدينة  
راحاً عنها كنت عر لعبد إذا لصاح يصيح في يا معبد أنظر أكلك

فرجعت فقال لي إن عريض يدعوك فسر عي نرحبك من  
الباب فقال لي أتج الدعول فقلت وهن إلى ذلك من سبيل  
ففرع الباب ففتح فقال لي أَدْخُلْ وَلَا تَنْطَلِ الْخُوسَ فبَدَأَ  
شَمْسَ طَابَعَةٍ فِي بَيْتٍ مَسْتَفْرِدٍ سَلَامٌ قُلْ حَلَسَ ، هَذَا  
النَّاسُ وَأَحْسَنُهُمْ وَحَمَّ وَخَسَنًا وَحَلَقًا . فقال يا معبد كيف طرأت  
إلى مكة ؟ فقلت جعلت فداك وكيف عرفتني ؟ فقال بصوتك فقلت  
وكيف وأنت لم تسمعه قط ؟ قال لما غنيت عرفتني به وفقت إن كان  
معبد في الدنيا فهذا . ثم قال لي يا أ. عباد لولا ملائمة الحديث ونقص  
إطالة الجلوس لاستكثر منك فاعذر . خرجت من عنده وبه  
لأجل ناس عندي . ورجعت إلى المدينة فنحدثت بحديثه ونجحت  
من فطنته وقيافته فارأيت إنساناً لا وهو أحسن منه في عبي .

وها أنت تنس معنا في هذه القصة حقيقة لامرية فيها وهي أن  
ما كان يتوقعه ابن سريج من بياضة العريض وعلاو شنه قد أصبح  
أمراً واقعاً . مريراً أو حواً على حد سواء . وحسبك أن معبد  
علم اعناء في التاريخ العربي يحج إليه في مكة ، ثم هو يتدلل بعد ذلك  
ويتحى ولا يطيل الجلوس معه . ويحاضيه في احتصار واقتصاد ،  
كل ذلك ومعبد يرى فيه ملك العن أسى يحق له هذا التمتع وهذا  
الدلال ولا يجد في نفسه عيبه ولا يحقد . وهن نقص معبد من  
شده أن يقوم برحلة يفيد منها ويستريد بها . ثم يعترف بعد ذلك

بالفصل لأمه في غير مواربة ولا حدود ؟ ألا فيك كذب  
العين آخر العليق ، الذي يتمسح حوهر لفس من كل بحر ، وثماره  
في كل روص ، ولو كان الذي يلتمسه عنده أقل منه شهرة  
أو أدنى شأنًا .

والئن كان معبد قد صنع هذا وترك لما حده العبرة فما كان  
صاحبه العريض بأقل منه شأنًا في هذا الباب . فقد استمع ليلة  
إلى رهبان في دير وقد أضاقوا لأنفسهم العنان في تزييناتهم وتراويلهم  
فأعجبه الموسيقى وأضربه المرح ، فأصغى إليه حتى حفظه ووعاه  
ثم سح على منواله في شعر عربي هو :

يا أم بكر جبك البادي لا تصرمبي إبي عاد  
حد الرحين وحتى صهي وأريد إمتاعاً من الزاد

وإنما يصنع العريض ومعبد مثل هذا ، فيأخذ كل منهما عن  
صاحبه أو يأخذان عن غيرهما ، لأن الأمم في أوج قوتها تأخذ  
من كل جديد بنصيب حتى تقتبس كل منافع الدنيا وتجمع كنوزها  
وترحب بالإصغاء إلى كل ما يحدد فيها دون أن تعلق الآذان  
عن هبات الطبيعة وثمار الحضارات ، وهي بعد هذا الإصغاء  
والاستماع مطلقة الحرية في أن تأخذ بما يصلح لها وما ينهص  
بشأنها .

وقد نه شأن العريس حتى غي بحضرة الخليفة الوليد بن  
عبد الملك . ويلوح لنا أن الحياة بمكة تدافعت به في جزرها ومدها ،  
ولم يأمن الإقامة بها في جوار نافع بن عقيقة ، ولم يشفع تأمينه إياه  
على أن يقيم بمكة مطمئناً ، فرحل إلى اليمن ، منفلاً معاً بأمراض  
عصية ، كما يبدو لنا ، وكانت فيها نهايته إثر نوبة أصابته في حفل  
غنائى صمت بعدها إلى الأبد .

وكانت وفاته في عهد ساجان بن عبد الملك

## معي

هو أبو عباد معبد بن وهب مولى عبد الرحمن بن قطن .  
نشأ بالمدينة وانتسب إليها . ولع معبد في سماء الشهرة ما لم يبلغه  
مستهم ولا متأخر . وأصبح متلا يصرب في الشبيه والنظرف  
و بناء على كان معبد النية في مه فيقال معبد رماه وقد يكن  
صرب لش أو المدح من لا يعرفون عن معبد أكثر من اسمه .

ونشأنا في نشأة معبد بمائة بادرة مكشف عن ناحية من  
و حتى تعلم في مثل هذه الشخصية الكبيرة . حدث معبد عن  
نفسه قال : كنت علامة بمونا لأن مولى بني مخزوم . وكنت  
نبتى العم بطير الحرة . ولا وانجارا أمانح لهم انجاره في ذلك ،  
و في صحرة بالحررة مناة - بالليل - فاستد إليها . فأسمع وأنا  
بأنه صوتا يحرى في مسامعي فقوم من النوم فأحكيه ، فهذا كان  
مبدأ عناق . .

هذا هو الإيحاء الذي الذي يكشف عن الميس الطبيعي في  
القبائل . وعن الموهبة المتعلمة منذ الصبا إلى الخال الصوق والراحة  
فيه . فهي من دلت على شيء فهي على أن معبد كان بليغه في طليعة

أرباب الغناء وأعلام الموسيقى . وقد كانت خواطره تهجس في المنام بما تطمح إليه آماله في اليقظة . وهذه البدايات الباكرة والبادرة الأولى تجري كثيراً في حياة الموهوبين على اختلاف ألوان نبوغهم . وهكذا كان معبد أستاذ نفسه أولاً ، يروى عن فطرته ويقلد وحيها في اليقظة بعد أن يتحيلة طيفاً في المنام . ثم أتبع له بعد ذلك أن يتصل بنشيط الفارسي وسائب حائر يأخذ عنهما مادته الأولى . على أنه منذ مطلع فجر الصب قد زاول مهنة الغناء ودل بإجاده على ما ينتظره من مستقبل بعيد المدى .

حدثوا أن ابن عتيق عاد من مكة إلى المدينة ومعه ابن سريج من فحول المعنين فأسمعوه غناء معبد الصبي إذ دأب وسأله رآيه فيه فقال : إن عاش كان مقى بلاده . وقد صدقت فراسته .

كان والد معبد أسود اللون أما هو فكان حلامياً (١) . وكان في خلقته مديد القامة أحول . وقد نبين آنفاً أنه نشأ في العبودية والعدم ورعى العنم ، فما كان شيء من ذلك ليحول دون نمو موهبته وتجلي نبوغه وابتسام الحظ له حتى يسمعه الأمير والخليفة وينقل التاريخ محاسنه من عصر إلى عصر ، وذلك شاهد بأن العبقريّة من صنع الله لا شأن لها بأحداث الزمان ولا تفاوت الأنساب والأعراق .

---

(١) الحلامي أود من أبوين أسود وأبيض .

ولم القصص لانيه توصلح اب كيف كان لصب في حياة معبد  
يسب عن عبقرية منتظره بحثها اكر مغنين في عصرهم ويحسبون  
عد حسابا . فقد خرج ابن سريج والعريص إلى المدينة ينشدان  
مبروف هاهنا يسمعون في دعه احياء ورغد العيش . وكانت  
مخاتهما العناية غير محبوة فلما دنوا منها تقدما يرتدان منزلا  
عند المغسلة التي كانت تغسل فيها "تياب" فرأيا غلاما ملتجئا يزار  
وقد انقى طرفه على رأسه ويده حباه يتصيد بها الخير ، وهو  
يتحنن بها البت .

القصص فاجل وسم بينهما

نهي من نفس من أبواب حير

وم يكن عما للعلام لا مع . فسمعه ابن سريج والعريص  
ماذا يراه و استغراه أعيت . فسمعهما "سمي" شيئا يعرف  
ما عن سماء ، وكما لم يسم به من قبل . فسم احدهما صاحبه :  
هل سمعت نايوم قط ؟ . لا والله ثمارك ذوق ابن سريج  
هنا . عزم يصيد "ظير" خارج المدينة فكيف بمن فيها ثم دعى  
على ودمته بالكل إن لم يرجع . فكرر احعين .

فدا كانت هذه حادثة معبد فكيف إذن كان شبابه وكهولته؟  
من الخير ما أن يمضي قدما مع الدين عاصروه وتحدثوا عنه ،  
وفي طلبتهم المنعون أنفسهم الدين حدثونا عنه في مختلف أطوار

حياته ، وكانوا أقرب إلى نعمان في تشييد فيه وتنويم غناؤه . على  
أن معبداً كان أسبق الجميع إلى الإيمان بما حباه به الله من موهبة  
لم يبيع فيها أحد شئوه . فلو حاول أحد أن يمتدحه بما هو دون  
قدره عند ذلك صراً من الانتقاص والاعتزام .

قال معبد : قدمت مكة فذهبت إلى القرشي إلى العريض فحدثنا عليه  
وهو مصبح<sup>(١)</sup> فأنبته من صبيحته وقعد فسلم عليه القرشي وقال له  
هنا معبد قد أنبتك به وإن أحب أن تسمع منه . قال هات . فعنيت  
أصوات فقل لك يا معبد للبح الغناء ، فأحفظني<sup>(٢)</sup> ذلك فحدثت  
على ركبتني ثم عنيت من صنعتي عشرين صوتاً لم يسمع مثلاً قط  
وهو مطروق وأحم قد تغير لونه حسداً وحجلاً . فإن صحت هذه  
الرواية كانت هذه البركة مكة مسبوقة بذلك القصة الممثلة التي  
أما في حد العريض

وفد . من الرواة معبداً وابن سريج فحدثوا أن معبداً كان  
حارحاً في مكة في بعض أسفاره فسمع في طريقه غناء في د بطش  
مر ، على مراحه من مكة . فنصد إليه . فإذا رجل جالس على  
شاطئ بركة مراح شعره حسن الوجه والهيئة عليه دراعة<sup>(٣)</sup>  
قد صبغها برعنرا وهو يعنى :

(١) مصبح . . . . . (٢) أحفظني غصني

(٣) . . . . .

حنّ قلبي من بعد ما قد أنابا      ودعا الهمّ شجوه فأجابا  
ذاك من منزل لسلي خلاء      لايس من حلّائه جلبابا  
فقرع معبد بعصاه وغى :

منع الحياة من الرجال ونفمها      حذق ثقلها النساء مراض  
وكان أفتدة الرجال إذا رأوا      حذق النساء لنسبها<sup>(١)</sup> أعراض  
فقال له ابن سريج بالله أنت معبد ؟ قال نعم . وبالله أنت  
ابن سريج ؟ قال نعم . قال ابن سريج والله لو عرفتك ما غنيت  
بين يديك .

في هاتين القصتين معاً ترى كلا من الغريص وابن سريج يشهد  
لمعبد ، إلا أن شهادة أولهما لم تكن بلغة الإفصاح والتعير ولكنها  
كانت بلغة الهزيمة والحسد وقد ترجم عنهما امتقاع اللون واصفرار  
الوجه ، أما الشهادة في القصة الأخرى فهي واضحة قد أفصح فيها  
التجاوب وأبان عنها ثناء ابن سريج على صاحبه وأنه ما كان ليعنى  
بين يديه لو علم أنه معبد . وهكذا ترى ابن سريج لا يمتعه مقامه  
في السن والفن والتقدم من الصراحة والإقرار لدى الفضل بفضله .  
وكذلك كانت الفنون خليفة بالحياة ، في عهد كله قوة  
وحياة وصراحة .

ولما بلغ معبد النضج الفني ، وكان الغناء العربي قد استوى على  
سوقه وتجددت نواحيه نوعاً ما فامتزجت الطبيعة العربية بما وصل

(١) النل : اسهام .

إليها من ثقافة فنية ، أصبحنا نرى في معبد مغنياً ومعلم عام وموسيقياً  
ومدرسة موسيقى ، يقصد إليه المتعطشون إلى المورد الغني من  
هذا الفن ، كما يعمد إليه الإشراف والسراة بتعليم الحواري  
وتحريجه . وأثبت معبد أنه ناجح في مهنته التعليمية موفق فيها توفيقه  
في صناعته . وهكذا كان يغلب إليه المعنون من كل حدب  
يأخذون عنه ويتعلمون منه ، فيلتقاهم منشرح الصدر ، طوق المحيا ،  
مخلص الية في إرشادهم ، صادق النزعة في تخريجهم ، لا يخل على  
قصاده بهن يحبده وعلم يتقنه ، بل لقد كان يتحمل المشقة في هذه  
السبيل راصياً مرة حاً .

كان معبد قد عم جارية من حوارى الحجاز العام تدعى طيبة ،  
وعنى بتحريجها فاشتراها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة  
وباعها هناك فاشراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها ودهبت  
به كل مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة  
من الزمان ، وأخذ حواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبتة إياها  
وأأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأبن مستقره ، ويظهر  
التعصب له والميل إليه والتقديم لعنائه على سائر أعاني أهل عصره  
إلى أن عرف ذلك منه ، وبلغ معبد آخره ، فخرج من مكة حتى  
أتى البصرة ، فما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك  
اليوم إلى الأهواز ، فاكثرى سفيته ، وجاء معبد بنسب ستمنة

ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرحى وليس يعرف  
أحد منهما صاحبه . فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر  
السفينة ففعل . وانحدروا . فبنا صاروا في فم نهر الآله <sup>(١)</sup> تغدوا  
وشربوا . وأمر حواريه فعين ، ومعبدا ساكت وهو في ثياب  
السفر وعليه ثرو وخزان غيظان . وزى جاف من زى أهل  
الحجاز . إلى أن غنت إحدى الجوارى من غناء معبد :

بانت سعاد وأمسى جلها انصرما

واحلت العوز فالأحراع من رضا <sup>(٢)</sup>

فلم تجد أدامه ، فصاح بها معبد : يا جارية ! إن غنامك هذا  
ليس بمستقيم . فقال له مولاهما — وقد غضب — وأنت ما يدريك  
الغناء ما هو ؟ لم لا تمسك وتلزم شأنك ؟ فأمدت معبد ثم غنت  
الحارية أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت ولا يتكلم حتى غنت  
من أصواته :

هبة الأردى ولي كئيب      مستهام عدها ما ينيب  
وقد لاموا فقت دعوى      إن من تهون عنه حبيب  
إنما أبلى عظامى وجسمى      حبها وأحب شيء عجب

(١) دالة على شدة الجفاف

(٢) العوز : لا من عيشته وأخرج ربه . ساكن لا وسوة فيها

وصدود حل بهامة وهو يدعى به .

وَحَلَّتْ بَعْضُهُ ، فَقَالَ لَهَا مَعْبُدُ : يَا حَارِيَّةُ ! لَقَدْ أَحَلَّتْ بِهَذَا  
الصَّوْتِ إِحْلَالَ شَدِيدًا . فَعَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ  
وَالْعَنَاءُ أَلَا تَكْفِ عَنْ هَذَا الْفُضُولِ ؟ فَأَمْسَكَ مَعْبُدُ ، وَغَى الْخَوَارِي  
مَلِيًّا ، ثُمَّ غَنَتْ إِحْدَاهُنَّ مِنْ غَنَائِهِ :

خَلِيلِي عَوْجًا مِنْكَ سَاعَةً مَعِي  
عَلَى الرَّبْعِ تَقْضِي حَاجَةَ وَبُودَعِ  
وَلَا تَحْدَلِي أَنْ أُمَّ سَدَمَةٍ  
لِعِزَّةٍ لَاحَتْ لِي سَلْقَاءُ بَلْقَعِ  
وَقَوْلَا لَقَبْتُ قَدْ سَلَا . رَاحِعَ الْهُوَى  
وَلَعِينِ . أَذْرِي مِنْ دُمُوعِكَ أَوْ دَعِي

فَمِ تَصْنَعُ فِيهِ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا مَعْبُدُ : يَا هَذِهِ أَمَا تَقُومِينَ عَلَى  
أَدَاءِ صَوْتٍ وَاحِدٍ ؟ فَعَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : مَا أَرَأَيْتَ تَالِيًا هَذَا  
الْفُضُولِ بَوَاجِهِ وَلَا حِيلَةَ ! أَقْسَمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ عَاوَدَتْ لَأَحْرَجْتُكَ مِنَ  
السَّفِينَةِ . فَأَمْسَكَ مَعْبُدُ ، حَتَّى إِذَا سَكَتَتِ الْخَوَارِي انْدَفَعَ بِعَيْنِي  
الصَّوْتُ الْأَوَّلُ حَتَّى فَرَعَ مِنْهُ . فَصَاحَ الْخَوَارِي : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ  
يَا رَحْلَ فَأَعَدَهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَا كِرَامَةَ . ثُمَّ انْدَفَعَ بِعَيْنِي شَيْئًا .  
فَقُلْتُ لِسَيِّدَتِي : وَيْحَكَ ! هَذَا وَاللَّهِ أَحْسَنُ النَّاسِ عَمَاءَ فَسَلَهُ أَنْ  
يَعِيدَهُ عَلَيْنَا وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً لَعَلَّ نَأْخُذَهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنْ وَفَّيْنَا لَمْ نَحْذَرِ  
مِثْلَهُ أَبَدًا . فَقُلْتُ : قَدْ سَمِعْتُ سَوْدًاءَ عَيْبِكُنَّ وَنَا حَانَفَ مِثْلِكُنَّ

منه . وقد أسلفناه إبساة فاصبرن حتى تداريه . ثم غنى معبد  
 الصوت الثالث فزلزل عليهم الأرض . فوث الرجل خرجه إليه  
 وقب رأسه وقال : يا سيدي أحنأنا عليك وم نعرف موضعك .  
 قال : فبك لم نعرف موضعي قد كان ينبغي لك أن تتشت  
 ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أحنأت  
 وأنا أعتذر إليك بما جرى وأسألك أن تزل إلى وتحنط بي .  
 فقال أما الآن ولا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل :  
 من أحدث هذا العناء ؟ قال : من بعض أهل الحجر ، من أين  
 أحبه جواربك ؟ فقال أحذنه من حارية كانت لي ابتاعها رجل  
 من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت من أبي عماد معبد  
 وعنى تحريكها فكانت تحل مني محل الروح من الحسد ، ثم استأثر  
 الله عروحل بها . وبقي هؤلاء الجوارى ومن من تعيمها ، فأنا  
 إلى الآن أتعصب لمعبد وأقصه عن المعين حيماً ، وأفضل صنعة  
 على كل صنعه . فقال له معبد : أفترى ؟ قال : لا . فصل معبد  
 يده صنعه ثم قال : وأنا والله معبد ، وإليك قدمت من الحجر  
 ووافيت البصرة . نزلت السفينة لأقصدك الأهواز والله لا قصرت  
 في جواربك هؤلاء ولا جعن لك في كل واحدة منهن حلفاً من  
 الماضية . فأكب الرجل والجوارى على يديه ورحيه يقبونها  
 ويقولون كتمتاً نفسك حتى جفوناك في المحاطبة وأسأنا عشرتك

وأنت سيدنا ومن تمنى على الله أن يلقاه . ثم غير الرجل ربه .  
وحلج عليه عدة حلج ، وأعطاه في وقته ثمانية دينار وطيباً وهدايا  
بمثلها . وانحدر معه إلى الأهواز . فأقام عنده حتى رضى حوائج  
جواريه وما أخذته عنه . ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز .

وإذا كنا نضفي على معبد حجة المعلم المربي ، فلقد كان حليقاً  
بوصف العالم الفنان الذي يحمل في نفسه من الخلق السليم ما يجمعه  
أهلاً لهذه القمة الأدبية . فالعالم طالب علم من المهد إلى اللحد ،  
فهو يعطى ويأخذ ، ويعلم ويتعلم ، ويفيد ويستفيد ، دون أن يرى  
على نفسه غصاصة أو على مقامه هواناً . حين يظوف بالأقاليم  
ويتنقل من مكان إلى آخر ليأخذ من مدرسة التحارب ما يضيفه  
إلى مدرسته ، ويروي عن زملائه وينداده أحسن ما عندهم وخير  
مالديهم ، ويبادهم سحراً بسحر . وغناء بعناء ، ويقيم بينهم الأيام  
والليالي حتى يعتصر شجرتهم ، ويحصل ثمرتهم . ويعود غير محجود  
الفضل ولا مجهول المنزلة .

ولمعد في مثل هذا أساليب يحكى عنها في عبارة كريمة ميتون :  
غنيت فأعجبني غنائى وأعجب الناس وذهب لى به صدت ودكر .  
فقلت لا تين مكة فلا سمعن من المغنين بها ولا غنيتهم ولا تعرفن إيه .  
فابتعت حمراً ، فخرجت عليه إلى مكة . فلما قدمتها لعت حمارى  
وسألت عن المغنين أين يحتمعون . فقيل فى بيت فلان . فحنت

إلى منزله بالعلس<sup>(١)</sup> ، فقرعت الباب ، فقال من هذا ؟ فقلت أنظر  
عفاك الله . فدفن وهو يسبح ويستعيز . كأنه يخاف ففتح فقال  
من أنت عفاك الله ؟ فقلت رجل من أهل المدينة . قال ثم حاجتك ؟  
قلت أنا رجل اشتى العناء وأرغم أنى أعرف منه شيئاً ، وقد بلغنى  
أن تقوم يحتضمون عندك . وقد أحببت أن تنزلى فى جانب  
منزلك وتخلطى بهم فإنه لا منوبة عليك ولا عليهم منى . فلوى شيئاً  
ثم قال اترلى على بركة الله . فقلت متاعى فنزلت فى جانب حجرته .  
ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد ، حتى اجتمعوا  
فأكبرونى وقالوا من هذا الرجل ؟ قال رجل من أهل المدينة  
جاء يشهى العناء ويترى له . ليس عليكم منه عناء ولا مكروه .  
فرحبوا به وكلمتهم ثم استسوا وسمررو وغنوا . فجعلت أعجب بغنائهم  
وأظهر ذلك لهم ويسحبهم منى . حتى أقبل أياماً وأحدثت من غنائهم  
وهم لا يدرون — أصواماً وأصواماً وأصواماً . ثم قلت  
لابس سرى إلى قديتكم أمسك على صوتي :

فمن خبى وترها تبى شحط<sup>(٢)</sup> النوى غدا  
من حردى فضلتا ست لى مسهدا  
قال أو تحسن شيئاً . قلت نطر<sup>(٣)</sup> وعسى أن أصنع شيئاً ،  
وأندفع فعيبه . فصاح وصاحوا وقالوا أحسنت قاتك الله . فقت

(١) العلس صفة لرجل يسير على العلى .

(٢) شحط صفة لرجل يمشى على أصابعه .

(٣) نطر صفة لرجل ينظر .

فأمسك على صوت كذا ، فأمسكوه فعبدته ورد دواغما وصياحا .  
 فما تركت واحدا منهم إلا غنيته من غناؤه أصواتا قد تغيرتها .  
 فصاحوا حتى عنت أصواتهم وهرفوا و ( ) لأن أحسن نداء  
 غنائنا عما منا ، قنت فأمسكوا على ولا تضحكوا بي حتى نسمعوا  
 من عناق . فأمسكوا على فعبدت صوته و آخر فوثوا إلى وقالوا  
 نخلع بابه إن نك صيت واسم و ذكر آ . ومن ثم فيما هما لهما  
 عطيا من أنت ؟ قنت معبد . فقبلوا رأسي وقالوا لفت علينا وكنا  
 تهاون بك ولا نعدك شيئا وأنت أنت . فأقت عندهم شهرا أخذ  
 منهم ويأخذون مني .

وكان معه سمح الطباع كريم السجايا ، رحيب النفس ، وهذا  
 هو الذي بلغ به الشهرة الطائفة والخصيت البعيد في كل له من في  
 ربيع ثلاثه الاحلاق وحاشيته الشماش الرقيقة ، ومعارفه مجموعة  
 المكارم والفضائل التي بوائته منادمة الملوك ، يستدعيه الخيمة على  
 الريد ، ويستشرف إليه البلد البعيد ، وينبئه خطوة والولي  
 ولا يعود إلى وطنه إلا وهو مليء بالثراء ، غني بموфор العطاء .  
 وكم نادم والى المدينة وعناه . وما زال يدعو به الجند حتى أصبح  
 ربحانة العناء في دولة بني أمية ونديم الخليفة الوليد بن يزيد .  
 اشتاق الوليد إليه يوماً فوجه ليريد إلى المدينة فأق به . وأمر

(١) هرف به مدح حتى حاور القدر في الشتاء والإحراء

الوليد بركة قد هئت له ثلثت ماء ورد خلط بمسك وزعفران .  
وأتى بمعبد فأمر به فأجلسه والبركة بينهما ، وبينهما ستر قد أرخى ،  
فقال له غنى يا معبد :

لحنى على فتية دل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاموا  
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب اندهر عداء  
فعماء إياه . ورفع الوليد الستر ، ورفع ملاءة مطيية كانت عليه  
وقدوف نفسه في "بركة" فعاص فيها ثم خرج فاستقبله الجوارى بثياب  
غير الثياب الأولى . ثم شرب وسقى معبدا . ثم قال غنى يا معبد :  
يا رباع ما بك لا تحجب متبا قد عاد نحك زائراً ومسلماً  
جاءتك كل سحابة هائلة حتى ترى عن زهرة متبسما  
لو كنت تدري من دعاك أجبتك وبكيت من حرق عليه إحد دما  
فعماء فدعاه خمسة عشر ألف دينار فصحبها بين يديه ، ثم قال :  
انصرف إلى أهلِكَ واكنم ما رأيت .

وما زال معبد بين عدوة وروحة إلى قصر الخليفة حتى بلغ  
منه الكبر وصعب صوته وأدركه الإعياء ، فنقله الخليفة إلى قصره  
وأشرف على تمريضه . فما فاضت روحه شيعه الخليفة مع أحبه  
والحنارة بهما في تكريم وتوديع مؤثر من القصر إلى مشوى القبر .  
وقد شاء الله أن يضيف إلى مواساة الحيفة رثاء الفن  
ودموعه حين قامت سلامة النفس بحق الفنان على الفنان فاشتركت

بقلبها الحزين ودموعها الهامية ونواحها البليغ في تأبين علم الغناء  
وسراجه المشرق في دولة بني أمية .

ولدع المجال لابنه كردم يصف لنا ذلك كله بلمعته وعبارته  
الموجزة قال : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ،  
فمنظرت حين أخرج نعشه إلى سلامة القس وقد أضرب الناس عنه  
ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تبكي أبي وتقول :

قد لعمري بت ليلي	كأخي الداء الوجيع
ونجىّ الهلم مي	بات أدنى من ضجعي
كلما أبصرت ربعا	غالياً فاصت دموعي
قد خلا من سيد كا	ن لنا غير مضيع
لا تلنا إن خشعنا	أو همنا بخشوع

قال كردم وكان يزيد أمر أبي أن يعطى هذا الصوت فعلها  
إياه فندبته به يومئذ . ولقد رأيت الوليد بن يزيد والعمر أحماء  
متحدين في قيصين ورداهن يمشيان بين يدي سريره حتى أخرج  
من دار الوليد لأنه تولى أمره وأخرجه من داره إلى موضع قبره .

\*\*\*

كان معبد عظيم الاعتداد بنعمة الله عليه في فنه . وكان يعتقد  
أن أداء ألحانه ليس من الأمور الهيئات ، ولا من اليسر بحيث  
تخلو من التراكيب التي تحتاج إلى الدقة والعناية . وفي هذا يقول :

ولقد صنعت ألحاناً ، لا يقدر شعان يمتى ولا سقاء يحمل  
قربة على "لزنه" بها . ولقد صنعت ألحاناً لا يقدر المكيء أن يترنم  
بها حتى يقعد مسوفاً (١) ولا القاعد حتى يقوم .

ولعمري لم تكذب عليه نفسه ولم يخطئه حظه . فقد تقدم  
إلى مسابقة فنية في دار ابن صفوان بمكة ، ولكن بعد فوات  
الموعد ومع الحاجب إياه من الدخول ، ثم كان ذلك ليمعه عن  
أن يرفع عقبرته بالعماء ولو من حلف الدار ما دام قد منع  
من أن يأتي البيوت من أبوابها ، فدخل صوته امدار بلا استئذان ،  
وعرف أنه معمد فخرت الخائرة إلى من لم يدخن .

أما طريقته في وضع ألحانه فقد أحاط سائليه عنها بقوله .  
"لعل قعودي وأوقع بالقصيب على رحلي وأترنم عليه بالشعر  
حتى يستوي في صوت" .

شخص معمد مره إلى مكة واشتد عليه الحر والعش في الطريق  
فانتهى إلى حاء فيه رحل أسود وإذا بجرة ماء قد بردت فقال  
إليها ، وقال "الأسود استقي من الماء يا هذا" فقال لا . فقال له  
أتدري في الكفن ساعة ؟ فقال لا . فأناخ معمد ناقته ولجأ إلى ظلها  
فستر به وأحد يترنم بصوته ( القصر فالنخل فاعماء بينهما . . . )  
فما سمع الأسود ذلك حتى وثب إليه واحتمله إلى داخل الحباء .  
وسقاه حتى ارتوى ، وأقام عنده إلى وقت الرواح . ولما أراد

(١) سقاه في نفسه .

الرحيل قل له الأسود بئى أنت وأمى الحر شديد ولا آمن عليك  
فأذن لى أن أحمل معك قربة من ماء على عنقنى وأسعى بها معك  
فكلما عطشت سقيتك صحناً وعنقنى صوتاً . فقال معك داك لك .  
وما فارقته حتى بلغ المنزل . هذا يسقى وذاك يعنى .

وهبط إلى معبد كيف حصل من الموسيقى سحابة رحمة ، تحي  
موات القلب لكود . وتد يد البعير الشحيح فتحمله سمحاً كريماً ،  
وتحنى رأس الأب المستعصى ويحميه عبد سقاء نسقى المطرب ماء  
ليسقيه المطرب عشاء . ولكن أى الشرايين كان أعذب وأبقى !! إن  
معبداً لم يسق الأسود وحده فى طرق الصحراء بل سقى مذبذبه العصر  
الأموى فى صحراء الحياة التى حتم قصته فى ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) .

٥٥

لقد انتلوا ديوان معبد فى عالم العدم معنى بذكره أمثال  
البحررى وأبى تمام من لشعراء . وقد حلف المعبديات ، تراث  
لتلاميذه وفى طيقتهم ابن عائشة ومائث وسلامة القس وحيدة  
ويونس الكاك وسياط .

ولئن كانت تلك الألحان الساحرة لم تستطع أصداؤها أن تعيش  
على أسهر فقد بقى اسم صاحبها ليكون مصرب الأمثال . وحدث  
للعصور والأجيال .

## حِينَ الْحَيْرِ

هو أبو كعب بن بلوع الملقب بالحيري نسبة إلى الحيرة عاصمة العراق العربي في العصر الجاهلي . وهو مسيحي مختلف في أصله ، من قائل إنه عبادي من تميم . ومن قائل إنه من بني الحرث ابن كعب . ويقول ثالث إنه ينتمي إلى أسرة من بقية من طسم وجديس نزلت في بني الحرث بن كعب فانتجت إليهم ونسبت لهم . وكان حينئذ شاعراً ومعنياً من حول المغنين . وله صنعة مأثورة مشهودة فيها . وكان مسكنه الحيرة ، يكرى جمالا إلى الشام وسواها . وما يذكر من عائلته مارواه إسحق الموصلي من أن حينئذ غني هشاماً بن عبد الملك وهو سائر إلى الحج :

صاح هل أبصرت بالخب	تين من أسماء نارا
موهنا شبت لعين	مك ولم توقد نارا
كتلال البرق في المز	ن إذا البرق استطارا
أذكرتني الوصل من سع	مدى وأياماً قصارا

وقد قيل لحنين أنت تعني منذ خمسين سنة ما تركت لكريم  
مالاً ولا داراً ولا عقاراً إلا أتيت عليه . فقال : بأبي أتم ، إنما  
هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلومني أن أغلي بها الثمن 11 .

وهو لعمري جواب طريف يليق بفنان ويحدر بموسيقار ،  
ويصلح أن يكون تعبيراً للمعنى يشعر بقيمة نفسه فيقدرها قدرها .  
وكثيراً ما يستكثر الناس على الفنان ما ينال من تقدير وما يحوز  
من ثناء ، وقد نسي هؤلاء أن المعنى لا يمنحهم حنجرته ، ولا يهبهم  
صوته فحسب ، وإنما يقسم عليهم أنفاس العمر وومضات الحياة ،  
فإذا أسدوا إليه شيئاً من المادة فهو صئين أعطى في حيل . ويسير  
منح في كثير ، وتقود هي وإن عظمت فما أهون بسنها إلى ما بذل  
الفنان من الكفاح في إحراج ثمرة فيه مقطعة من شجرة وجوده  
وعبقريته . وحين نقول هذا إنما نعني الفنان الأصل المتبحر الذي  
يكدر القرينة ، ويحصل التراث ، ويستجمع الأساليب ، ويحس  
الموازنة والمقارنة ويعرض على الناس متعاً روحية حادثة .

كان حنين في حداثة سنة يحمل الفواكه والأزهار بالحيرة .  
وكأنما عكست عليه حلاوتها وعطرها ، فهو بارع التحية ، حلو  
الدعابة ، جم الطرف ، وصي الحيا . فيه حاديه ورشاقة جعلته  
محبباً إلى مياسير أهل الكوفة ، وبخاصة أصحاب القيان والمطربين .  
وكانت حياته معهم المدرسة التي تلقن فيها دروس العناء والتدريب  
على الأداء . فكان يستمع إلى العناء ، ويلتزمه ، وتقى نفسه فيه .  
وكان السماع يستغرق نواحي نفسه ، ويسيطر على جميع مشاعره  
فلا يكاد يرد على مسلم ولا يتحارب مع متكلم ما دام على تلك

غان ، حتى حفظ أصواتاً وألحاناً ، فأخذ يلتقيها على الناس .  
وكان بفطنته موهوباً حسن الصوت ، فظهرت مزية الغناء فيه على  
بقية مرأياه الأخرى وقد رحل إلى عمر بن داود الوادى ثم إلى حكم  
الوادى فحفظ عندها الكثير حتى أصبح من أعلام هذه الصناعة  
المعدودين وأقربها المرموقين . وقد أسعده الطالع فلم يكن بالعراق  
من يساميه . فتمرد بالبعث ، فكان واحد عصره وبلبل إقليسه .

وبروى التاريخ من طرائف حنين ما يدلنا على ظاهرة علمية  
هية في وقت واحد . وذلك أن معاش السليم الرفيع في التواضع  
والمدن الكرى كان يتقابل في بعض البيئات والأوساط من لا يدين  
له بالقديم وتكريم . ومن لا يفهم إذا سمعه ولا يترك محاسنه  
في قلب ولا كثير ، وإنما ياتمس الخرب عند المرححين وخفاف  
المؤونة من تعميم الرقصه النافه والحواله القرية المدى . والتاريخ  
يحمد الله معنا على أن هذا الوباء من الصعف الصى بحيث لم تكن  
تنصره الكثرة العالة في تلك المدنات العربية التي تعثر بتقدمها  
وسمو الأذواق فيها وتقديرها للجيد العميق الرفيع من الآغاني  
ذات الفكرة الصائبة واللحن المصور والأداء المعبر . ولا يضيرنا  
بعد ذلك أمثال فتیان في حمص يحدثنا عنهم حنين فيقول :

خرجت إلى حمص ألتبس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه  
شيئاً ، فسألت عن الفتیان وأين يجتمعون فقبل لي عليك بالحمامات

فإنهم يجمعون بها إذا أصبحوا . جئت إلى أحدها فدخلته فإذا فيه  
جماعة منهم ، أنست وانبطت وأخبرتهم أنى غريب . ثم خرجوا  
وخرجت معهم . فذهبوا بي إلى منزل أحدهم . فلما قعدنا آتينا  
بالطعام فكلنا وأتيت بالشراب فشربنا . فقلت لهم هل لكم فى معن  
يعنيكم ؟ قالوا ومن لى بذلك ؟ قلت أن لكم له ، هاتوا عوداً .  
فأوتيت به فابتدأت فى هيات أبى عباد معبد فكأنما غيت للحيطان ،  
لا فكها العناني ولا سروا به . فلقد ثقل عليهم غناء معبد لكثرة  
عمله وشدة وصعوبة مذهبه . فأحدث فى غناء الغريض فإذا هو  
عندهم كلاً شياً . وعيت حفاف ابن سريح وأهراج حكيم والأعاني  
التي لى . واحتدت فى أن يمهوا . ثم يتحرك من القوم أحد  
وجعلوا يقولون : ليت أباً منبه قد حاماً . فقلت فى نفسى : أراي  
سأفتضح إليهم . أبى منه فصيحة لم يفتضح أحد قط مثلاً . فبينما نحن  
كذلك إذ جاء أبو منه . وإذا هو شيخ عليه حقان أحمران كأنه  
جمال . فوثبوا جميع عليه وقالوا : يا أباً منبه أبطأت علينا : وقدموا  
له طعاماً وشراباً ، وحنست <sup>(١)</sup> أنا حتى صرت كلاً شياً خوفاً من  
أبى منبه . فأخذ العود ثم اندفع يعنى :

طرب البحر فاعبرى يا سفينة لا تشقى على رجال المدينة  
فأقبل القوم يصفقون ، ويهللون ويطربون . ثم أخذ فى نحو  
هذا الغناء ( السخيف ) . فقلت فى نفسى : أتم ههنا ، لأن أصبحت

(١) خنس : تأخر

سالمًا لا أمسيت في هذه البلدة . فلما أصبحت شددت رحلي على  
ناقتي ورحلت متوجهاً إلى الخيرة وقلت :

ليت شعري متى تحب في السا قة بين السدير والصنين  
محققاً ركوة وجبر رفاق وبقولا وقطعة من نون (١)  
لست أنفي زاداً سواها من الشا م وحسي علالة تكفي  
فإذا أتت سالمًا قلت سحفاً ونصاداً لمعشر فارقوني ،  
وهناك أقصرصة سطى على دلالة لها أهميتها ، وذلك

أن تمت غناء يعفو الله عنه - عن حد تعبر عمر رضى الله عنه -  
حين يعيش في الجماعة ويتدين من روحها ويهدف إلى مشها العليا  
ويتزام بغاياتها المشودة ، فيعت في "نفوس حرارة الثقة والإيمان  
ويحمي فضيلتها وكرامتها ، أو يثير فيها وطنيه وأريحية أو نحوه  
في الدفاع عن الحى والدود عن الممار ... وعناء لا يعفو الله عنه ،  
وذلك حين يسمو إلى دنيات الأمور ، ويثارة دواعي العرائز ،  
والحرص على ما لا يلبق ، مما كان وجوده سبباً في ظهور آراء  
تهديد من الموسيقى والغناء بين العينة والآخرى في بعض الأقطار  
أو بعض العصور الإسلامية .

وقد أودعت الطبيعة في الموسيقى من المقدرة على تصويرها  
وتصورها وتحليلها ما لو عرف السانون طريق الاستفادة منه لأمكنهم  
أن يجعلوا من هذا الفن الرميع أداة إصلاح قوى ومصباح توجيه  
وتهذيب في أنفسهم وشعورهم .

(١) النون نوع من السكك

أما هذه الأقصوصة فهي ما ذكر ابن كناسة من أن حالداً  
ابن عبد الملك القسري حرم "عتاء بالعراق في أيامه . ثم أذن للباس  
يوماً في الدحول عيه . فدخل إليه حنين ومعه عود تحت ثيابه  
فقال : أصلح الله الأمير . كادت لي صاعقة أعود بها على عيالي  
فخرمها الأمير فصر دمت في وهم . فقال الأمير : وما صناعتك ؟  
فكشف حنين عن عود وقوف . هذا . فقال له حالداً : عي . فحرك  
أونذره ونغي :

أيها الشامت المعير بلدهم سر آلت المرأ الموهور (١)  
أم لديك العهد الوثق من الأيا م بل آلت جاهل معرور  
من رأيت المنه حدن أم من دا عليه من أن يضام خفيـر  
مبكي حاله وقال : قد أدت لك وحدك خاصة . فلا تحالس  
سفيهاً ولا معردي . فكان إذا دعي قال : أفياكم سفيه أو معردي ؟  
فإذا قيل له : لا . دخل .

وقد بلغ حنين من تفردده بالمربة الغنية الفضة . أن يشهد له  
إسحق الموصلي وأن يرى فيه الشمس الساطعة في سماء الخيرة .  
تحتقن عند ظهورها النجوم . فلم يكن بها غير حنين أما من عداه  
فلا شيء . وليس في أسمائهم ما يصلح أن يقرن باسمه .

(١) . . . من . . . ووفور هو . . . من . . .  
ولا من حاله . . .

ويحدثنا المؤرخون أن ابن سريج قدم الحيرة في ولاية  
بشر بن مروان للكوفة ومعه ثلثمائة دينار . فأتى بها منزل حنين  
وقال له أنا رجل من أهل الحجار ، من أهل مكة . بلعى طيب  
الحيرة وجودة ما فيها وحسن غنائك في هذا الشعر :

حننى حايات الدهر حتى      كفى حاس يدنو لصيد  
قريب الخطو بحسب من رآنى      ولست مقيداً أنى بقيد

فخرجت بهذه الدماير لأفتقها معك وعندك ، وتعاشر حتى تنفد ،  
وأنصرف إلى منزلى . ففسأه عن اسمه ونسبه فغيرهما وانتفى إلى  
بني محروم . فأحد حين الما منه وقال موفر منك عليك ، ولك  
عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ما نشطت للنتام عندنا . فإذا دعيتك  
نفسك إلى بلدك جهرناك إليهم ورددنا عليك مائت . وأسكنه داراً  
كان ينفرد فيها . فكث عنه شهرين لا يعلم حنين ولا أحد  
من أهله أنه يعى . فبى ذات يوم صائف انصرف حنين من دار  
بشر بن مروان مع قيام الظهيرة فصار إلى باب الدار التي كان أنزل  
ابن سريج فيها فوجده معلقاً . فارتاب بذلك ودق الباب ، فلم يفتح  
له . ولم يجبه أحد . فصار إلى منارل الحرم ، فلم يجد فيها ابنته  
ولا حوارها . ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج  
مفتوحاً . فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته . فلما دخلها رأى  
ابنته وجوارها . وقوفاً على باب السرداب وهن يومئذ إليه

بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت إلى إشارتهما لما تداخله ،  
إلى أن سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت :

وتركته جرد السباع بنشئه ما بين قفة رأسه والمعصم  
إن تعدني <sup>(١)</sup> دوف القاع فإني طب بأحد الفارس المستائم

فالتى حنين السيف من يده وصاح به ، وقد عرفه من عين  
أن يكون قد رآه ولكر بالنع والحدق : أبا يحيى جعلت فداك ،  
أبين بثلاثمائة دينار لتتفقها عندنا في الخيرة فوحق المسيح لا حرجت  
منها إلا ومعك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى  
ما حثت به معك . ثم دخل إليه فعاتقه ورحب به ولقيه بخلاف  
ما كان ياتقاه به ، وسأله عن هذا الصوت فأخبره أنه صاعه في ذلك  
الوقت . فسار معه إلى شراب مروان فوصله بعشرة آلاف درهم  
أول مرة ، ثم وصله بعد ذلك بثلاث . فلما أراد الخروج رد عليه  
حنين ماله ، وجهره ، ووصفه بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة  
إلى الخيرة . ورجع ابن سريج إلى أهله ، وقد أخذ جميع من كان  
في دار حنين منه هذا الصوت .

وهنا نشهد تبديلاً في حياة حنين ، فلم يعد ذلك الذي يشتري  
من المغنين صمتهم ، ويقصصهم عن وطنه كما صنع مع ابن محرر ،  
ولكنه أصبح رجلاً قائماً على قدميه واثقاً بنفسه مؤثراً بوجوده

(١) أعدت المرأة صبا رأسه

القي امسى لا يستطيع محوه ولا يخشى عليه خطر من المناصية . فع  
ما لان سريح من عظيم المكاة وبعد نصبت عنه لم يعمل على  
التحاش منه بن ذهب به إلى الأمير ورده بكامل ماله .

ثم هذه الروح الحية بين ثنائين التي جعلت ابن سريح يطلب  
المريد عنه . ويقوم برحله تتحشم فيها السكر والثقة ليستريد  
في فنه حبرة واطلاعاً مع ما كان في الحجار آتد من غزارة المادة  
العنيفة ووفرة نعلام هذه صباغة بها . وما يلبث أن نرى في حنين  
الأساذ ابن اقلب هو وأسرته بلاميد لابن سريح في تلك الأشعار  
دون ما حقد أو حسد أو استهجان . من رواية مصحوبة بالإحلال  
وسير عيش شذلاء تردهى لغصور وتورق دوحه لئس .

وحين يحدث عن نواصع في لئس واللبدل بين أعلامه  
ووسه يرى هذا المسهر يحيى . ما بين حنين وابن سريح تحسب ،  
بل من نعلام أحجار تلاته يشوقون صاحبهم الرابع بالعراف  
ويعترونها نحا عني بعد الدار . بل برثو لوحدته وبأيه  
فيستدعونه . إياهم ليسمحوأمه ويسمع ذهم . وبأحد أحجار عن  
العراق والعراف عن الحجار . وهي لعمرى رمالة ساحرة لها من  
الطرب في نفس ما نلغاه . ونفحة ومودة لها في التلب من المرقع  
والإبداع ما ليسبق نفسها من اللحن والإيقاع .

كن ذلك راء في النقصه سالية . وإن كانت نهايتها نهاية حنين

حيث يسدل الستار على حياته في المنظر الأخير وعلى مسرح فنه  
الذي عاش في خدمته أكثر من مائة عام .

كان المعنون في عصر حنين أربعة نفر . ثلاثة بالحجار وحنين  
وحده بالعراق . والدين بالحجار ابن سريخ والعريص ومعبد .  
فكان يسمعهم أن حنيناً قد غنى في شعر مطلعه :

هلا بكيت على الشباب الداهب      وكففت عن ذم المشيب الآيب  
فاجتمعوا فتذاكروا أمر حنين وقلوا ما في الدنيا أهل صناعة  
شر منا ، لنا أح بالعراق ونحن بالحجار لا نروره ولا نستريه .  
فكتبوا إليه ووجهوا له تفقة وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت  
وحدك وأنت أولى بزيارتنا . فشحص إليهم فما كان على رحلة  
من المدينة بنغم خبره فخرجوا يتلقونه . فلبس يوم كان أكثر  
حشراً ولا جماعاً من يومئذ . ودحاوا له صاروا في بعض الطريق  
قال لهم معبد صيروا إلي . فقال له العريص إن كان لك من الشرف  
ما لمولاي سكية بنت الحسين عطفنا إليك . فقال ما لي في ذلك  
شيء . وعدلوا إلى منزل سكية . فما دخلوا إليها أدنت للناس  
إدناً عاماً . فعصت الدار بهم وصعدوا فوق السطح . وأمرت لهم  
بالأطعمة فأكلوا فيها . ثم سألوا حنيناً أن يعينهم صوته أسمى أوله .  
هلا بكيت على الشباب الداهب ، فغناهم إياه . وكان من أحسن  
الناس صوتاً . فزدهم الناس على السطح ، وكثروا لسمعوه ،

فسقط الرواق على من تحته ، فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحاء ،  
إلا حينئذ فقد مات تحت الهدم . فقالت مكينة رضى الله عنها : لقد  
كدر علينا حين سرورنا ، انتظرناه مدة طويلة . كأننا والله كنا  
نسوقه إلى منيته .

وكانت وفاته حوالى عام ١٠٠ هـ ( ٧١٨ م ) بعد أن عمّر  
مائة سنة وسبع سنين .

## ابن عائشة

أحد أعلام الموسيقى في العصر الأموي . ومن انتهى إليهم  
الفن أو انتهوا إليه عن فطرة صادقة ورغبة كانت الروح فيها أقوى  
من المادة والاحتراف .

هو أبو جعفر محمد الملقب بابن عائشة . كان محول الآب .  
فلارم أمه وهو صغير فأخذت تنقل بين الدور والتصور مزاوله  
صانعتها كعائشة فكان يحفظ له نصيبه معها فيقال ارفعوا هذا  
لابن عائشة . فعلمت عليه هذه النسبة كما قال هو ذاك عن نفسه  
للوليد بن يزيد . وادعى ابن عائشة أيضاً أن أباه كان يدعى جعفر  
فاشتهر بهذه الكنية ، ولكن ذلك لم يثبت في نسب صريح .

وقد أجاد ابن عائشة فن الغناء وحذقه وبرع فيه . بعد أن تنقاه  
عن عليين من أكبر أعلام الغناء في ذلك العصر هما معبد ومالك . وقد  
اعترف لهما بفضلهما عليه . على أنه كان له طابعه الخاص وشخصيته  
النفادة إلى القلوب . وكان صوته فنة الأسماع وسحر الأرواح .  
فكلام الرواة عنه يضع أيدينا على عاطفة جياشة وقلب محترق  
مما يجعلنا أقرب إلى الصن أنه كان رقيق الصوت في معدنه ، ذواقا

لشعر ، قوى الإدراك للعواطف والأحاسيس التي تنص بها  
قصائد الشعراء الفزليين .

قليل إنه لم يكن يحسن الصرب على العود . وعرف بحسن  
الابتداء حتى بلغ في ذلك منزلة التي يضرب به المثل فيها ، فكان  
يقال لكل من أبدى براعة في هذا الباب : كأنه ابتداء ابن عائشة .  
وقد يدلنا هذا على أن أبو جعفر لم يحتفظ بتحقيقه الفني الرفيع إلى  
النهاية بنفس صفته التي كان يسهر عليها في البداية . وهذا مأخذ ينال  
الفنان في التصميم . وفيه خير للبداية أن تبدو كيف تكون على أن  
تعد سبأ يرقى إلى نهاية حمية مرتبة هي اندرودة العالية في الختام ،  
من أن تكون البداية غاية في القوة والسحر والحماس ثم تأخذ في  
الضعف حتى تهبط بالذات إلى ما دون منزلته . على أن هذا إذا  
كان هو تعبيرنا لمعصرى ورأينا في فنان اليوم فإن ذلك لم يفت  
انتماء أن يدركوه فقد قل يونس الكاتب ما عرفنا بالمدينة أحسن  
ابتداء من ابن عائشة إذا عني ، ولو كان آخر غنائمه مثل أوله لقدماه  
على ابن سريج .

على أن ابن عائشة تمتع في عصره بمكانة أكسبها إياه صوته  
العذب وغناؤه القوي . ولعل أهل عصره كانوا في الثقافة العنانية  
دوى مقدرة حصته يتسامون بقدر المعنى ولا يعتبرون حنجرته  
شيئاً عادياً مكوناً من مجرد لحم ودم وغضاريف وإنما فهموها

على أنها شيء ذو خطر ومعدن نفيس وجوهر قيم تجب به الحرمة  
والصيانة . والقصة التالية تضع أمامنا هذه الحقيقة في  
وضوح وجلال :

رأى ابن أبي عتيق عتيق ابن عائشة محدثاً فسأله من فعل بك  
هذا ؟ فقال فلان ... قصي إلى دار فلان هذا . ونزع ثيابه وجلس  
للرجل على بابه . فما حرج أحد بتلايبه وجعل يضربه ضرباً شديداً  
والرجل يقول له مالك تصر بي وأى شيء صنعت . وهو لا يجيبه  
حتى يلع منه ثم حلاه وأقبل على من حصر يقول : هذا أراد أن  
يكسر مزامير داود ، لقد شدد عني عتيق ابن عائشة حلقه  
ونخده حلقه .

أقام ابن عائشة في المدينة ، ولو قد أتاحت له مبارحة الحجاز  
إلى إقامة تدينه من البلاط الأموي في مصبحة ومساء لاستطاع أن  
يكون في ندماء الخلفاء لما له فوق غناؤه من حسن المحاضرة ، وسعة  
الاطلاع ، والاستيلاء بطرفه على المجالس التي يحبه .

قال صاحب بن حسان : لم يكن بالمدينة أحد بعد طويس أعلم من  
ابن عائشة ولا أطرف مجلساً ولا أكثر طياً وكان يصلح أن يكون  
نديم خليفة وسمير ملك .

وحسب ابن عائشة أن تقر له جملة بعاو الشأن في منزلته "فئة"  
إذ تقول : « وأنت يا أبا حفص مع الخلفاء تصلح أن تكون » .

يقول المؤرخون إنه كان ذا صلف وكبرياء وبه سوء خلق ،  
فإن قال له إنسان تعن قال ألمثلئ يقال هذا ؟ وإن قيل له أحسنت  
قال ألمثلئ يقال أحسنت ؟ ثم يسكت . فكان قليلا ما ينتفع به .

وهذا الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على طاهره ، بل هو نفس  
الدليل على تمكن الفن من نفس ابن عائشة ، وعلى أنه كان لا يعا  
بالمؤثرات . ولا ينحصر فيه للأوامر تنق إليه فيندفع إلى تلبيةها عند  
الطلب . ولكن كانت له مثبته الفنان وإرادة الشاعر الذي لا سلطان  
لغير شعوره وإحساسه على موسيقاه وألحانه (١) .

وقد يعد هذا سوء خلق في مقياس العرف وينبغي ألا يكون .  
غير أنه حين يصدر من فنان يحب أن يوضع في مقياس غير أقيسة  
الطبيعة . وحسب مثل هؤلاء الفنانين ما يلاقونه من حزاء وتبعات .  
وعلى التاريخ أن يكون أرفق بهم وأكرم .

ومع هذا فإن ابن عائشة كان لا يجد محيصا من تلبية النداء  
والإقبال على العناء إذا وجد نفسه على حافة بئر سيلقى في غيابتها  
إن أظهر التدلل والإياء .

---

(١) ولعل من المعاصرين لا يجيب عن ذلك أنهم أن أحد مشاهير مصر في  
مصر في مستهل القرن العشرين كان يفر بنفسه من العناء في ليالي الأفراح التي تربط  
مع أصحابها وعصى ليوم أحد أصدقائه من نومه فيصلى له حتى الصباح تاركا الجماهير  
تفصره ولكن هيهات أن يعود

حدث مرة أن مصى سعيد بن العاص إلى بئر وخرج ابن عائشة  
فيمن خرج من الناس إليها . وبيناهم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن  
ابن علي بن أبي طالب وحلفه علامان أسودان كانهما من الشياطين .  
فقال لهما امضيا رويدا حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة .  
ففعلا ذلك . ثم ناداه الحسن كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟ قال بحير  
فذاك أبي وأمي . فقال الحسن أنظر إلى جنبك فنظر ، فإذا  
العبدان . فقال الحسن أتعرفهما ؟ قال نعم . قال لئن لم تعنى مائة  
صوت لأمرتهما بترحك في البئر . ومن لم يفعل لأفطس أيديهما .  
فادفع ابن عائشة يعنى . وكان أول ما ابتدأ به صوتاً له هو :

ألا لله درك من فتى قوم إذا رهوا  
وقالوا من فتى لحر ب يرقبنا ويرتقب  
فكنت فقام فيها إذا تدعى لها تب  
ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت . وكان آخر ما غنى :

قل للنازل بالظهران قد حان  
أن تنطق فتينى القول تيانا  
قالت ومن أنت قل لي قلت ذو شعف  
هجت له من دواعي الحب أحزانا

وقد قيل في وصف هذا اليوم ما قيل من أنه قد احتشدت له  
جواهر الناس على غير سابقة موعد ولا انتظار حفل وأنهم كانوا

يهرعون إليه من المدينة فما سمعوا أكثر أصواتاً ولا أبدع غناءً  
عما أتيج لهم في هذا اليوم ، دون أن يشترك مع المغنى عازف  
ولا مررد .

وهل صحيح أن ابن عائشة غنى طيله هذا اليوم ، ونقل أهل  
المدينة من بيوتهم إلى تلك البئر استجابة لذلك الإكراه  
والقسر والقهر ؟ ..

ما أطل أن الضعط يخلق فناً ، أو يبسط الفنان للإبداع ، وإنما  
كان الأمر دعابة في ثوب إندار . فما كان للحسن بن الحسن بن علي  
أن يعتمد إلقاء رحن في "بئر لانه م يعى ، وما تدبغى له هذه السلالة .  
ولكنه المرح الرى ، ويطهار ارغبة في الاستماع إلى الفنان على  
صورة من صور التهذيب المصنوع اسى يحمل في ثاياه تقدير الفن  
ابن عائشة وتمسكاً بسماحه .

وهما قصة تدل مع يجارها وبساطتها على الكثير والكثير من  
مقدرة ابن عائشة في عاقبة احدى استقباله الناس في هانة من السحر  
والإعجاز . ونهيك بعنا يصل أمره إلى امتلاك الباب الوفود  
في موسم الحج حين لا يستطيع شيء أن يعطب هذه النفوس على  
رهدم وتشفها وهى في لباس الإحرام بين النبوة والتهيب ، فإذا بها  
في مثل لمح البصر توحذ بعناء ترسل معه القلوب قيادها وتمسك له  
الإبل أعناقها .

قالوا إن ابن عائشة كان قائماً بالموسم مستغرقاً في تفكير عميق  
 فمرّ به أحد أصحابه وسأله ما يقيمك في هذا المكان؟ قال أفكر في  
 شأن رجل لو تكلم لجلس الناس جميعاً ههنا فلن يذهب أحد ولن  
 يحىء . فقال له صاحبه ومن يكون ذلك الرجل؟ قال أنا . ثم اندفع  
 يعني مجلس الناس واضطربت المحامل ، ومدت الإبل أعناقها ،  
 وكاد الاضطراب أن يفسد على الناس شئونهم . فبيع أمره هشام  
 ابن عبد الملك فدعاه وقال له يا عدو الله أردت أن تفتن الناس .  
 فأضرب ابن عائشة عن العناء ، وكان بيت هارث المدني العيساني  
 وصل إليه منه . فقال له هشام ترفق في بيتك . فقال ابن عائشة  
 حق لمن كانت هذه قدرته على القبول أن يكون تاهاً . فصحك  
 هشام منه وتركه حراً يصدق بالعناء حيث يشاء

وكان ابن عائشة من أولئك الذين لا يسرعون إلى بدل ما لديهم  
 من الفس بمجرد إبداء الرغبات أو الإلحاح في المتعالة ، وإنما كان  
 يستدرج إليه استدراجاً . ويتعلق في ذلك تملقاً في غير تصريح .  
 وقد ثبت أن هذا من أخلاق عظماء الفنون في عصور مختلفة . فهم  
 كالمالوك لا يبتذلون ، وهم كالسحاب المعلوم يأتي متأخراً بطيئاً ،  
 فإذا ما فاض عمر لسهول والانحداد فكان من سحبة ابن عائشة  
 ألا يلي كل طالب ولا يزل عند رغبة كل راغب . وإنما كان  
 يثار للعناء إثارة ، وتستخرج دقائق وحدانه ودهش حنايا أشجانه

سعر حذاب أو غناء في ثلث. فلا يقال له غن كما يؤمر مغن رخيص .  
ولا يقال له أحسست كما يقال للمأجور بسيط ، وإلا غضب وثار .  
هنا أحسن الأدب التصرف ونجح في التقرب إلى نفس الفنان  
سمع منه كل بديع ضريب . وكانت هذه طريقة الناس مع ابن عائشة  
حين عرفوا الوسيعة إليه .

قال يونس الكاتب كما يومئذ منتزعين بالعتيق أنا وجماعة من  
عرب . مبدأ نحن على حال يد أقبل ابن عائشة يمشي ومعه عزم  
من بني أيت . وهو متوكئ على . ثم رأى جماعة وسمعي العبي  
حاشا قسم ، وحسن إليه وحدث معنا . وكاتب حياء . تعرف إليه  
وتدله وسرعه إلى العصب يداسش أن يعني . فبين بعضهم على  
بعض يتحدثون بأحدث كبير وحين وغير منا من الشعر .  
محاولين بدلا . ينظر يعني ، فلم يصيورا عنده ما كانوا يهدفون  
إليه . قال يونس . فقلت لهم لقد حدثني اليوم بعض الأعراب  
حدثا عجيبا من شتم حدثتم فيه . قالوا مات . فقلت حدثني هذا  
الرجل أنه مر بناحية الربرة فإذا صبيان يتغاطسون في غدير ،  
ويذا شاب جبين منهوك الجسم ، عليه أثر العلة ، والنحول في جسمه  
بير ، وهو جالس ينظر إليهم . فسلط عليه فرد على السلام .  
وقال من أين قدوم الفتى ؟ قلت من أحمى . قال ومتى عهدك به ؟  
قلت أمس . قال وأين كان مبيتك ؟ قلت بيت فلان . فألقى بنفسه

على طهره ، ونعم الصعداء نفسه صحت أنه احترق حجاب قلبه .  
ثم أنشأ يقول :

سقى لداً أمت سليمي تحله      من المزن ما يروى به ويشيم  
وإن لم أكن من فاطنيه وبه      يحل به شخص عني كريم  
ألا حياء من ليس يعدل قربه      لدى وإن شط المرار بعيم  
ثم سكن كالمعشى عليه . فصحت بالصبيه . وتوا بماء مصسه  
على وجهه وفاه وأنشأ يقول :

إذا صب الحرب رني حشو عني      ونفسي تزين بالخشوع  
ولي عين أصراً في التمدني      إلى الأجرع مطلقه الدموع  
إلى الحوات ينس فك قلبي      كما نس العرب إلى اجمع  
فاندفع ابن عائشه معني في شعري حياً ، وطرب وأطرب  
بقية يومه ، ولم يزل يبعثنا إلى أن انصرفنا

وقد نحي يوع من عائشة عند مافيه تشجيع الخلفاء الأمويين  
إلى المكاه لموقه نبي تحدر بفسان مثله ، ولا سيما في خلافه  
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد كان له معه في العناء صوته  
وحوته يقدم اما المسعودي طره منها في مروح الذهب حين يروي  
أن ابن عائشه لقرشي كان عند اوليد فقال له غني فغاه :

إني رأيت صبيحة النحر      حوراً نعين عزيمة الصر  
مثل الكواكب في مطالعها      عند العشاء أظفن بالبدر

وخرجت أبى الأجر محتسباً فرجعت موفوراً من الوزر  
فقال له الوليد أحسنت والله بأمر المؤمنين ، أعد بحق  
عبد شمس ، فأعاد . فقال أحسنت والله ، بحق أمية أعد . فأعاد .  
فجعل يتحلى الأحقاد من أب إلى أب وبأمره بالإعادة حتى بلغ  
نفسه فقال أعد بحياقي فأعاد . فقدم إلى ابن عائشة فأكب عليه يَمْطُرُهُ  
القبلات ، ثم جمع عليه من ثيابه ، ودعا له بألف دينار فدفعت له .  
وحمله على دابة وأرسله مكرماً معزراً .

وروى المسعودى أيضاً أن ابن عائشة كان قد غنى هذا الشعر  
في حضرة يزيد بن عبد الملك أبي الوليد فأطربته .

وكانت وفاة ابن عائشة حوالي سنة ١٢٥ هـ ( ٧٤٣ م ) في أيام  
هشام بن عبد الملك ، وقيل في أيام الوليد . وإن اختلفت الروايات  
في موعد وفاته فقد أجمعت على أن سببها هو سقوطه من سطح  
بعض الدور ، ترك وراءه سمعة تطوى مراحل الزمان باسمه الذي  
تذهب دونه القصور وهو خالد على نمر منصور .

## سَلَامَةُ الْقَيْسِ

لعل التاريخ تدول بالحدث حياة الحواري المغنيات في العصر  
الأموي . ولعل حديثه عن سلامة كان أعزّر مادة وأوسع بياناً  
من أحاديثه في سواها . ذلك بأنه عندما تناولها بالوصف لم يقدم  
إلى العصور مقيمة خشب إنما تحدث عن شاعرة ومعنية ونسابة  
ورأوية ومسامرة مهاكة نستطيع أن نلعب بالقلوب وأن تديرها  
حيث تشاء ، وتوجهها الوجهة التي تختارها ونهواها . يحدّ عدها  
العالم عليه ، والشحى طربه ، و"ياكي دموعه ، والمؤرخ أخباره ،  
والشاعر قصائده ، والمترن حدهاء وعماه . عاشت في المدينة ، وهي  
وإن كانت حاضرة الملك بمأى عنها غير أنها هي المدينة وكفى :  
دار المحدثين ، ومجتمع العلماء ، ومهوى أفئدة المسيبين من أقطار  
المعمورة وهؤلاء إذا حاءوا المدينة جاءوها ومعهم مواهبهم  
وثقافتهم ومعارف أعجم . . . وهكذا أتيح لسلامة أن تجد جميع  
أنواع الفاكة في بستان واحد ، وقد نهلت خير ما فيه . ولم تدع  
مزية من المزاه إلا كان ها منها حظ وافر ونصيب أوفر .

كانت سلامه مولاة لسهيل بن عبد الرحمن . ثم تملكها يزيد  
ابن عبد الملك في خلافة سليمان وعاشت بعده . وإن كان اسمها  
يدوي مصاف الإمام واخواري فلن يقدح ذلك في قيمتها ولن  
ينحط بها عن قدرها ، فقد اعز بها من كانت له اعتراضه بالخراند  
من كرائمه . وملك ليري في الأموال المبذورة في سبيلها . وفي  
الخامير القائمة لتوديعها . وفي الربات والجواهر التي تتنافس بها  
الأيدي في تحميمها ما يدرك عن أن سلامة إما كانت مضبوطة بها  
وبشخصيتها ، فهي بين الإمام اسما وسكها بين أعر الخرائر كرامة وقدر .  
وقد أقرن باسم سلامة في الشهرة والمكانة جارية أخرى هي  
حياة نشأاً معاً بالمدينة ، وتشابهت عرقاً وعناء ودماء حتى ورقة  
طع . وقد جمعت بينهما الأقدار في قصر الخليفة لأموى ،  
إحداً من عن يمينه والآخرى عن يساره . إلا أن حياة عن ما نقله  
إلى الرواة كانت تستمد من جمال صورتها مؤثراً نصفه عن غنائها  
بينما امتارت سلامة بأصاله فنه وقدرتها على الإبداع والابتكار  
وتفهم الشعر وفرصه بما أحبا المكاة التي لا تدانيها فيها حباة .  
وكانت لسلامة أخت تدعى رياء وهي على شاكلتها غناء وقفاة  
وإن لم تبلغ منزلتها وديوع اسمها .

وقد صادف سلامة التوفيق وواتها الأقدار مهدت لها السبيل  
إلى دراسة فنية غنية تشرف فيها أسماء أعلام منذ بن أمية في العناء .

فقد تنهدت في المدينة على حمية ومعبود وابن عائشة فاعتصرت كما  
هذه المواهب وأضافها إلى فطرتها وإلى عملها الكثير .  
وفي القصة التالية نرى في سلامة رسول السلام ، ومدة  
لحق وأسرتة :

لما أقبل عثمان بن حيان المري ولياً على المدينة أقمه بعض  
المؤمنين أن الأمر لي يستقيم له إلا إسعاد النساء . وحراح  
المؤمن من المدينة . فمر أهل تنبأ بإخلاء وأهلهم ثلثه أيام  
بدت وح . وكان رجل من أهل لفصل والصلاح هو ابن أبي عتيق  
عائلاً عن المدينة فلما حصرها أهمته سلامة الحر فتصد الوالي  
و ظهر له استحسان ما صنع من إحراح أهل نعماء والثناء . ثم قال  
به ولكن ما تقول في امرأة كانت هذه صابغة وكاتب تسكره على  
ذلك . تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والحق . فقال الوالي  
إني أدعها لك ولكلامك . فقال ابن أبي عتيق ولكن تأييدك  
وتسمع من كلامها وتنظر إليها من رأيت أن مثلها يدعى أن يترك  
تركها . فقال نعم . فجاء بها وقال لها اجعلي معك سحرة وتحشي  
فعلت . فلما دخلت على عثمان حدثته وإدا هي من أعم الناس ،  
فأعجب بها . وحدثته عن آباءه وأموالهم فقكه لذلك . فقال لها  
ابن أبي عتيق أفرأى بلأمر . فقرأت له . فقال لها إحدى له .  
لحدثت ، فكثير تعجبه . فقال ابن أبي عتيق للوالي كيف لو سمعته

في صناعتها ! ! علم يزل ينزله شيئاً فشيئاً حتى أمرها بالعناء فعنت .  
فقام عثمان من مجلسه فتعد بين يديها ثم قال : لا والله ما مثل هذه  
يخرج . قال ابن أبي عتيق : لا يدعك الناس ، ويقولون إليك  
أفرت سلامة وأخرجت غيرها . فقال الأمير : دعوهم  
جميعاً هتركوه .

هذا هو سحر الفن . استطاع أن يثبت أقدام أصحابه  
وينقذهم من نشر يد كان يهددهم ، لولا حيلة ابن أبي عتيق  
وراعة سلامة .

وسلامة هذه هي التي فتت العابد وتذله في هواها الزاهد ،  
فقد استمع إليها التمس وهو من هو في نيتة وورعه ، فما كاد يرن  
في سمعه صدى صوتها الساحر حتى حلق قلبه ، وما كاد يراها حتى  
دس به . ثم حرد إلى معانها مولاهما وهو مستمسك بورعه  
مردد ثم تلاها وتحدث كل منهما إلى صاحبه بما تكن له خواطره  
ويطوى عنه مشاعره من أحاسيس متأججة وهوى متبادل .  
وكيف كان هذا لشعور بينهما فقد كان حباً عفيفاً تصونه نبالة  
القصد وسمو العاطفة . ولقد عاد القس إلى نسكه ولكن تباريح  
صبايته لا منه وعاودته وأطلقته بالكثير والكثير . من ذلك :

سلام هل لي منكم ناصر أم هل لقلبي عنكم رحر  
قد سمع الناس بوحدى بكم فمنهم اللائم والعاذر

ولما قدم يزيد بن عبد الملك الحجار قبل توليته الخلافة رأى  
سلامة فراقه أن يشتريها وأمرها أن تعنيه فكان أول شعر غنته  
بين يديه مما نظمه القس في التشبيب بها ، وهو قوله :

إن التي طرقتك بين ركائب تمشى بمرورها وأنت حرام  
لتصيد قلبك أو جزاء مودة إن الرفيق له عليك رهام  
قد كنت أعدى في السفاهة أهلها فأعجب لما نأى به الأيام  
ولما طرب يزيد لما سمعه منها صمها إلى مواليه . فعنته من شعر  
القس فيها قوله :

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر  
وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر  
إذا أخذت في الصوت كاد حبيبها  
يطير إليها قلبه حين ينظر

ولما أكثر على يزيد من أعانى القس في وصفها والحنين إليها  
سألها عنه وعن فأنبأته بما كان بينهما فأعجب لغرامهما وروى لحال  
القس وبراءة حبه .

ولما أقبل رسل اليزيد لقمها من المدينة إلى الشام وقد نزل  
في شرائها عشرون ألف دينار أراد موالها تكريمها ولأن أمير  
أن يملوها عن الرحيل أي ما لتجهيزها فيها بما يليق بها من حلى وثياب  
وطيب وزينة فقالت الرسل هذا كله معنا لا حاجة بنا إلى شيء

منه وأمروها بالرحيل حتى نزلت سقاية سيمان بن عبد الملك  
وشيعها الخنق من أهل المدينة . فلما بلغوا السقاية قالت لمرسل قوم  
كانوا يعشونى لا بد لي من وداعهم والسلام عليهم فأذن للناس  
عندها فتنصوا حتى ملأوا رحبة القصر وما وراء ذلك . فوقف  
بينهم ومعه العود فغنتهم :

فارقوني وقد علت يقيناً ملأ داف منه من إيب

إن أهل الحصان قد تركوني مولعاً مؤعلاً بأهل الحصان

فم نزل تردد هذا صوت حتى راحت وانتحب الناس بالبكاء  
عند ركوبها فم يكن غير باك

وهذا من سلامة وفاء أي وفاء . وما كان أحرى مشها بالزهو  
والافتحار وركوب الثلف والاختيل وهي مصيبة إلى قصر  
وإمارة وأبهة منك . وأن نفسي كل شيء . لولا نفس عالية أخذت  
من كرامته الوفاء بخط عظيم . فعنت رجعت غنامها بكاء  
ومكاءها عمة .

ولما أعني الأمير الأموي يزيد بن عبد الملك عرش الخلافة  
نقاسمت كل من سلامه وحباة قلبه وتبع عتاجه وكان لكل منهما  
عنده اخطوة والمكانة . وإن كان قلبه إلى حباة أميل . إلا أن  
حباة عاقلتها المية ثانت عام ١٠٥ هـ (٧٢٤ م) بعد ثلاثة أعوام من

خلافة يزيد وأصابه حزن لم يزل به حتى فاض نحيبه . وقد يعيش بعدها  
سوى خمسة عشر يوماً .

أما سلامة فقد عاشت بعد يزيد ، . لكنه عدس لازمها فيه  
وفاءها . وقد رثته بم أبيك "تكون" ونسال ادموع وفتن  
الأسماع ، قالت :

يا صاحب قبر العريب	بالشام من طرف الكثيف
بالشام بين صفائح	صم ترصف بالحنوف
لما سمعت أيقينه	وبصكه عند المعيب
أقبلت أطلب طبه	والدواء يعصل بالطبيب

ومن هذا أيضاً يتبين لنا مقدرة سلامة على إجادته فن المراثي  
والنواح إجادتها لبقية ألوان العناء . وقد أسست الإشارة إلى هذا  
النوع من العناء الذي كان شائعاً متداولاً ، ومحجوباً بين عشائر  
الحجاز وقبائل العرب .

وكذلك شاء القدر أن تكون حاتمة يزيد وفاء لحبابة ، وحاتمة  
سلامة وفاء ليزيد فكانت في ذلك أوفى الجميع .

## مَالِكُ بْنُ أَبِي الْيَسَّعِ

أحد أعلام الغناء الأندلسي في ملك بني أمية الذي بلغ أوج  
حدود المدنية في الشرق والعرب . ولعلنا نجد في مالك هذا من  
دروس الأخلاق وعظائمه ومزايا العبقرية ومقوماتها أكثر مما نجد  
في سواه . سنجد فيه نعتير المتعفف ، والمكافح الصبور ، والصريح  
العييف ، والبار الوديع ، والفنان المعترف بكرامته ، والتلميذ البار  
بمستأذه ولو أدى ذلك إلى إثناء شخصيته ولتنارل عنها  
في مرصاة معلمه ومربيه . على أنه مهما حاول هو أن يبدل ما يبدل  
من ذات نفسه فإن هذه النفس حقها في البقاء ومكانتها في الخلود  
هو مالك بن حابر بن ثعلبة الطائي قد فرت به أمه مع أخوته  
الأيتام على أثر كارثة قذمت بهم من الجبلين الخامساً لضرورة الحياة  
في المدينة .

ولم ير الصبي بابا للرق إلا أن يطلبه استجدام . ولم يجد أوفى  
مكسباً ولا أربح صفقة من لزوم باب حاكم المدينة حمزة بن عبد الله  
ابن الزبير .

وفي تلك الآونة كان معبد مغني الأمير وببلبل قصره ، انقطع

للغناء له ملء ليله ونهاره . وهنا ترى الصبي المعدم مالكا برأى السمح  
يستيقظ فيه وعيه الموسيقى . وتنبه موهبته على سحر النغم الشجي  
فينقلب من مقبول إلى تليذ ، ومن طالب خبز إلى طالب فن ..

ها هو ذا ينسى مجاعته ومسغبة أمه وأخوته . ويقطع بياض  
نهاره لا يلم بشيء من حاجته الملحة وفاقته المريرة ، ولا يمر بأبواب  
المدينة ومزاراتها ليأبأ الناس . فقد ربطه النغم لسلسلة مسحوره  
على باب الأمير لا سبيل له إلى الفكك منها ، حتى ينصرف مع  
الليل إلى أمه حاوى الوفاص فتوسعه شتما وضرباً . أما هو فلا عيبه  
من ذلك فليتألم الحسد ما شاء أن يتألم ما دامت الروح ترفل في  
أثواب ضففاصة من نعمة الفن وجماله . فقد ترنم بالحنن معبد  
وحذقها دوراً دوراً في مواضع صيحاته وتجاوبه ويرانته ، دون  
أن يحفظ الشعر . وقد يكون ذلك لبدأوته البعيدة عن تناول هذه  
الأشعار . وقد يكون مرجع هذا أنه كان بالناب ومعد داحي  
القصر حيث يكون استيعاب أصوات النحس أيسر من تناول ألفاظ  
العناء . وقد يرجع السبب أيضاً إلى فقدان وضوح الالفاظ حيث  
يسيطر العناء بموسيقاه على مخارج الحروف الأصلية . وكيفها كانت  
هذه الأسباب كلها أو بعضها فقد دلت الواقعة على أن الأدوار  
كان لها ربط معين ولحن ثابت . وعلى أنه هو أيضاً كان متين  
الوعي ، قوى الذاكرة . موهوباً في موسيقيته ، مضيئاً في مستقبله

المرجوة له حيث لا تنجذب النفوس إلا إلى أشباهها وما يتصل  
بموهبا . وبأميك بصبي أعراقي ينسى نفسه الحائرة وأمه الغريبة  
وأخوته الجياع ليستجيب إلى ضموحه الروحي الذي يناجيه في  
أعاني معبد .

وكان حمزة يراه كلما خرج من قصره أو عاد إليه ، فاسترعى  
نظره أن يرى غلاماً أعرايياً يلام باب قصره . فلو أنه كان  
صاحب حاجة لا تقصت . ولكنه يأتى إلاتك الملازمة . فأراد  
الأمير أن يتعرف لها سبباً . فاستدعاه . وقار له من أنت ؟ قال  
غلام من طيء قد أخذنا أخته إليكم ومضى أم لي وأخوة . وبين  
له أن غناء معبد هو الذي حمى على ملازمة به . فسأله عما يحمله  
منه . قال أعرف أخاه كها ، ولا أعرف السمر . فقال حمزة  
إن كنت صادقاً إنك لفهم . وأمر معبد بالعناء ثم أشار إلى الغلام  
أن يعبد ما سمع فأدى نعمه بغير شعر ، وعلى أسلوب معاصريه ،  
فقد استوعب مائه وليانه وعظمائه ونراته وتعليقاه ، دون  
أن يفوته من ذلك شيء .

فطلب الأمير إلى معبد ، أن يتخذ تلميذه وراووته ويتعهد  
تربيته . ولعل معبد قد حشى أن تتجدد في هذا العلام قصة  
الفريص مع أستاذه ابن سريج حيث بدأ بتعليمه فكان له منه شر  
منافس وألد خصم ، ينازعه الفن والمجد والشهرة . فتردد معبد

بادى الأمر ولكن الأمير أقنعه وأرصاه وقال له من الخير  
لك أن تعبه فتصبح بحاسنه منسوبة إليك وإلا عدل إلى غيرك  
فكانت بحاسنه منسوبة إليه . ففتن معبد إلى هذه الحقيقة . وتقبل  
الغلام قبولاً حسناً .

وحدث الأمير إلى مالك يقول له . كيف وجدت ملازمتك  
لبابنا ؟ وهما نعد صراحة الفنان . أو صراحة الكريم على  
نفسه . بل صراحة الفرد من الأمة تقوية تحيده استى يحمل من  
حنينه طابع أمته حيث يتقون الحق غير هيب . وفي وجه  
أى إنسان ولو كان هو الأمير نفسه . مهذا أحب ؟

قال مالك : أريد لو قلت فيك من سطر غير الذى أنت  
له مستحق أكنت . صدى بذلك ؟ قال لا . من كذبت لا يسر  
أن تحمد بما لم تفعل . قال حمرة نعم . فقد مالك والله ما شبت  
على بابك شعبة قط ولا أتاب مع إلى أمى خير

فأمر له ولأسرته بمنزل ورائب وكسوة وخدم . وأذن له  
أن يجالسه وأن يطأرح معبداً جاء . حتى ارتفع اسمه وعلا نجمه .

وحرج مالك ذات يوم فسمع امرأة تنوح على قتيل ببعض  
آيات تحفظ الشعر وصنع له خنير . نحا فى أحدهما طريقة معبد  
أما الثانى فقد تأثر فيه بنواح ملك المرأة ورققه وجمع عليه حلة ضريفة  
من فنه . ثم مضى إلى الأمير وعرض عليه اللحنين بادياً بأولهما على

أسلوب معبد فاستحسنه ، وكأنه قد رأى فيه التليد الشاحح في تقليد  
أستاذه . فيما أسمعته النحس ثانی بلع ضرب حمزة مبلعاً جمعه يلقي عليه  
حقة فاحرة من ثيابه . وهنا يدخل معبد ويرى حقه الأمير تتلألاً  
بحوامرها اللمعة على نبيذه فينكر لهذا المشهد ويرى فيه ما لم  
يكن يدور بحسبانته . ولم يمه الأمير بل أمر الغلام أن يعينه .  
وهكذا بدأ ما نك تلك البداية السابقة فألقى النحس الجارى على  
أسلوب معبد فثارت ثورته وقال لقد كرهت أن أجد هذا الغلام  
فستم غنائى ويدعيه لنفسه . فقال له الأمير لا تعجل واسمع غناء  
صحة ليس من شئت ولا من غنائك . فعنى مالك الصوت الآخر  
فصرو معبد . فيما رأى الأمير منه ذلك أراد مواساته وعذبه ،  
ونصحه بالألا يصبق درعاً بالعلم وقال له ، والله لو افرد به  
مصادك ثم يتراد على الأيام وكل كبر ورا د شحت أنت وتقصت  
ولأن يكون منسوباً إليك أحسن . وما كان لمعبد إلا أن يدعن  
محياً بأن قد صدق الأمير . وترصاه حمزة بحمزة وجائزة .

وهنا تتجلى أمامنا فضيلة ثانية للمعبد الباشى الفنى هى فضيلة  
الاعراف والتقدير للأكرام والاعتراف بالأستاذ الأسبق والمعلم الأول .  
فإن مالكاً لم يكده يسلح في أساذه معبد صبغاً وازوراراً حتى تهض  
وفى ربه وقال له ، والله لا أعنى لنفسى شيئاً أبداً مادمت حياً ،  
ومن غببتى نعى فغيت فى شعر استحسنه لآلئته لا إليك  
فطلب نعتاً وارض غنى .

فقال له معبد أو تفعل هذا وتقي به ؟ قال مالك أي والله وأريد .  
وكان مالك بعد ذلك عند وعده وعهده فإذا غنى لحناً جميلاً  
واستحسنه الناس وسألوه عنه قال : هذا لحن لمعد ما غنيت لنفسى  
شيئاً قط .

وهكذا يضيف مالك إلى فضائله السابقة فضيلة الوفاء بالعهد  
ورعاية حرمة أستاذه .

أما منزلته في العناء فقد بلغ منها السروة الرفيعة ، وكاد يتقدم  
القافلة . حدثوا أن أمير المؤمنين الوليد بن يزيد تبرم يوماً بعلي  
العناء في عصره معبد وابن عائشه فقال للأول نقه أدنى ولولتك ،  
ولكني قد آذاني استهلالك ، فاطرا إلى رحلا يكون مذهبه وسطاً  
بين مذهبيكما ، فأشارا عليه باستدعاء مالك بن أبي السمع فاستقدمه  
مع سائر معنى الحجار المشهورين ولم يكتب لملك النحاح في الجولة  
الفنية الأولى فقد هاب الخليفة ومقامه وهو الأعز ابني البعيد عن قصور  
دمشق وحضارتها . ولما اتهم الإذن عليه مرة أخرى غناه شعراً  
لم يكن في مدح الوليد بل في مدح مالك نفسه . أرأيت مثل هذا  
اعتزازاً من الفنان بقيمته وشعوراً بشخصيته !! فبدل أن يغنى  
في وصف أمير المؤمنين غنى متفاخراً بقوله :

لا عرش إلا بمالك بن أبي الـ سـمـح فلا تلحى ولا تلم  
أيصر كالهدر أو كلما يلعب الـ بـارق في حالك من الظلم

ليس يعصيك إرشدت ولا يهتك حق الإسلام والحرم  
يصب من نية الكرم ولا يحسن أى الترخيص في العلم  
يرت ليل أنا كاشية الـ مرد ويوم كذا لم يدم  
نعمت فيه ومالك بن الـ سمح الكرم الأخلاق والقيم  
فنسى الوليد كل شئ إلا الرب ، ونهض واعتنق المعنى قائماً  
وأحزله له العنيد عبد الصرافه

كان مالك من أعلام شقة الأولى في العناء حتى كان إسحق  
ابن إبراهيم الموصل كسراً ما يتناول نوابغ العناء وبما مضى أربعة  
مكس ما من بحر وابن سريح ومدنيان صامعد ومالك  
ولقد كان وفاءه لمعد وسنة كل لحانه إياه يعرضه بذهمة  
في وه ودليعه أو أن يتحل أخى عبره نفسه وقد قام إسحق  
الموصلى لتاريخ هذا العناء فغيب هذه المزاعم حين قال : غناء مالك  
له سبب واحد لا ينسب وه ولو كان كما يقول الناس  
لا خفف عذوه .

وقد عمر مالك حتى بلغ الثمانين ، ووافته المنيّة عام  
١٣٦ هـ (٧٥٤ م) في أول عهد بني العباس .

# الأغذية عنصر الدولة العباسية

(١٣٢ هـ ٧٥٠ م - ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م)



## إبراهيم الموصلي

هو إبراهيم بن ميمون ، أوالفقي الموصلي . وهذه النسبة أطلقت عليه على سبيل الشهرة والتعليق . وإنما كانت حياته بالموصل حياة مغرب تارح فر من أهله وذويه ، ومن تزمت البيئة وقسوتها ، ملتصقاً في الفضاء ارحب الفسيح هوايته الموسيقية . فهو كوفي المولد . ولعل بيته الفارسي قد نزح من بلاد العجم إلى هذه المدن العربية عند بداية الفتح الإسلامي أو ما بعده بقليل .

ونحن نرى أن هذا النجم العالمي اللامع في سماء الموسيقى قد استقبلته الأحداث والكوارث المضنية منذ طفولته الباكرة . فها هي صدمة اليتيم الأليم تستزل الدموع على خده الباسم ولما يتجاوز الثالثة من سنه . وقد كفله بعد موت أبيه آخ خزيمه ابن حازم . وأقام مع أمه وأحواله حتى ترعرع .

كان إبراهيم يتنمي إلى شرف بيت مجيد من بيوتات فارس ، فلما أحب العناء وتطلعت إليه نفسه لتي حرماً ضروراً من أهله . ولما أودى في سبيل الفن لم يجد مناصاً من الرحيل عن البيت والقبيل إلى الحياة بالموصل ، وهي حياة مضطربة لا تجد فيها وحيّاً

من وجوه الراحة . ولا يبدو لك أنه أصاب بها الدراسة المنظمة  
والبيعة المشودة ولكنه على كل حال وجد الحياة الحرة . ووجد  
شيئاً من العناء والطرب عند الصعاليك الذين كانوا يعيشون الحرب  
على القوافل ثم يأخذون منها طوعاً أو كرهاً ما يعيشون به عيشاً  
هو المرح والنشوة والعناء ، غير خاضعين في شيء للتقاليد  
والأوصاع . وأما إبراهيم من معاصرة هؤلاء ، فقد يكون فيهم  
منه من صاقت عليه بلاده وصادته بيثته في تعلم لعناء ، فاقسم  
وجه الحياة في التمتع بحريته مع أولئك المتصليكين

رأى إبراهيم في نفسه أن الموحية آتية في النور والازدهار ،  
وأنه قد تفوق أولئك المعنن في الموصل ، وألا بد له من طلب  
المزيد ، هذا القدر من الموسيقى ليس بالذي يشبع رغبة طامحة  
بعيدة المدى . فبدأ يعرب ، وينقل ، وتراعى به المدن والأنحاء ،  
حتى انتهى به المسافر إلى الري ، وهي مدينة تشعل من التاريخ  
العباسي على وجه خاص جانباً غير قليل في حصارها ومدنيتها  
وعومها وسياسة الحكومة فيها انقسام وتنازع مع الخلافة .  
فبنى بها إبراهيم صفوة من الموسيقيين والمعين من عرب وفرس ،  
ومن ثم أخذ الغناء بنوعيه حتى مهر فيها وبرع . وطالت  
إقامته فتروح من دوشار ثم شاهك التي تنجب منها إسحق  
وبقية ولده .

وكان إبراهيم إذا لم يجد الشعر السليم التمس في تأليفه هو  
ثم لحنه . فكان المؤلف والملحن والمؤدى . ومن ذلك ما قاله  
في دوشار :

دوشار يا سيدنى يا عاتى ومنينى

ويا سرورى من جميع الناس ردنى سقى

وليس انا أن نمر بهذا مرور العجة دون أن تنوه بأن عملية  
التكوين والتكوين والحشد هذه ليست من الأوضاع السليمة  
إلا في الوقت الذي يكون الفس فيه سادحاً بسيطاً وغير ناصح في  
الأساس من نواحيه . وقراءة هذا البيت هذه تقسم لك الدال  
من صفته

وبما يحرم إبراهيم يسع في الأفق . وسبقته لعلبه وأشراف  
ثم الأمراء . فاستخلصه الأمير محمد بن سيان وأمر المهدي بعد  
ذلك بإشخاصه إليه بعدد .

وقد عابه المهدي على "شراب وحسه فكانت فرصة سعة  
أجاد فيها شراء وكتابه . ولكن ذلك لم يجده شيئاً إذا عد إلى  
الشراب ومناداة موسى وهرون ابني المهدي رغم منعه إياه من  
الدخول عليهما ، وقد أمر بضربه وقيدته وحبسه . ثم حاف المهدي  
على حياة إبراهيم فأطلقه بعد أن استخلفه وأحد عليه الموثق  
ألا يعود إلى الدخول على ولديه .

ثم مات المهدي . وكانما قد توارى معه إلى القبر العهد الأول  
من حياة إبراهيم . ذلك العهد المليء بالشؤم والتعاسة والأكدار ،  
عهد اليتيم والعربة و"شرد والاغتراب والصرب والتقييد والحبس ،  
ليرى عهداً سعيداً في مجالسة الأمراء ومنادمة الخلفاء .

كان عهد الخاوي بداية لسعادة إبراهيم . ولكنها بداية كاملة  
لم تسبقها مقدمات وم نحر على سنة التدرج . بل نثر الخليفة عليه  
النعم حتى كاد يعرف في لحته ، وحسبك من هذا أنه في يوم واحد  
أحاره بمائة وحمسين ألف دينار .

وكان أناس قبل إبراهيم يعنون جوارهم الغناء على قدر لياقتهم  
واسعدادهم ، وإن ذلك مقصوراً على السود وأشباههم . وقد  
رفع إبراهيم في هذه المدرسة فكان أول من علم الخواري والقيان  
الليس هندي ليس بجمع فن بين أسما من صرفيه : حسن المنظر  
وحسن الشدوي نعم . وذلك أعنى مكانه الموسيقي بقدر ما رفع  
من شأن الثيالي .

انتسب إبراهيم الغمان إلى متحرماهر دون أن تدثر موهبته .  
بل لمن هذه المتاحره وسك الأرباح بما شجعه على الاستزادة  
والابتكار . وهو مع ذلك شحيح صنين لا يزيده الكسب والثراء  
إلا رغبة فيهما وحرصاً على المزيد منهما . يشتري ثقبته بلثن البحر  
فيصيف إليها من بارع الغناء ما يجعلها حديرة باثمن الريح .

وحدثوا أن ضيعة إلى حواره أعجبه . ولديه من المال  
ما يشتري ضيعة ، ولكنه سخر الثمن للحصول على ثمنها ، فدرس  
تلميذه مخارقا وقد لقيه لحما في مدح الوزير يحيى بن خالد ثم مكى  
ليقبه بدوره إحدى حواريه . وقد سر يحيى بما سمع وأرسل إلى  
ابراهيم مائة ألف درهم ثمن الضيعة . ولكن ابراهيم أبى إلا أن  
يستمسك بالمال ويبحث عن ثمن الضيعة من جديد . فكرر قصه  
بعينها مرتين في الحزين قدم أحدهما لفصل بن يحيى والثاني لأخيه  
جعفر . وحصل ابراهيم على ستائة ألف درهم أمسه . ولتبيته  
مخارق على ستين ألفاً . ولم يشر ابراهيم لضيعة صناً منه بالمال .  
ولولا أن يحيى بن خالد قام بإشادة وحسن مشكاة بشراء الضيعة  
وإرسال صكها إلى ابراهيم لتمكنه وبيع نفسه وليس له فيه  
لصاعت بقية أموال الدولة في ضيعة ابراهيم .

وكان ابراهيم على هذا بصع العث والسمن من الأثخان .  
وينشئ العالى والرخيص منها . فهو ناجر لا تستوى عنده السمع .  
ويمكن القول بأن كل من ينشئ ليدع ويرج مستهدف لفقد  
الإتقان والإجادة في كثير من حالاته . ولن يكون إلتاحه على  
درجه وأحده .

قال إسحق الموصلى ابن ابراهيم لابنه حماد : صاع حدث  
تسمائة صوت . وأما ثلثائة منها فإنه يقدم فيها "ناس جميعاً" . وأما

ثلثمائة فشاركوه وشاركهم فيها . وأما لثلاثمائة لباقية فلهو ولعب . .  
 وكان إسحق يحاول إبعاد نسبة هذه الأصوات الأخيرة إلى والده  
 صدى بمقامه انتهى مكتفياً بأن ينسب إليه سجين ستائة صوت حسب .  
 كان إبراهيم كما قدما يعلم الحسان عن تبيان هذا الس يعو  
 بقصة الغناء في طمقة هؤلاء المقربات إلى كدر الأسر . وأقصى مرة  
 على أنه إسحق رجل من تلك السبقة المصدرة يريد تعلم الغناء . فأبى  
 إسحق لأنه شك في استعداده وقدرته . فأنته . إبراهيم وأوهم  
 الرجل أنه على صدى ما يقول إسحق . ولما خلا بولده إسحق قال :  
 " يا إسحق ما عسك أن يحزى الله مائة ألف من أمته . هؤلاء أغنياء  
 وما يك يبررونا بنعماء فدعهم يسمعوا مثل هذا الرجل  
 ليظهر قصدا . .

منا . . إسحق في محسن الرشيد على محسن حدث وقع منه  
 في تقسيم غنائى وأعلن ذلك . وكان إبراهيم بن الهادي حاضراً فذكر  
 أن يكون ثمة حدث قد وقع في الأداء . فاستحضر الرشيد إبراهيم  
 الموصى عسلاً حتى به محمولا على محنة ليكون حكاماً . فما أعاد  
 بحار في تمام حكم إبراهيم بما حكم به إسحق . واستكسبهما الرشيد  
 رقعتين بسجن موصع الخطأ فكان قولهما واحداً . وفي هذا  
 ما يدل على أن ربه الهوايه الموسيقىتهما بلعوا من الدقة  
 والمهارة والمعرفة وليس لهم أن يلعبوا درجه اخرى في التخصيصين

الدين وقبوا حبه دعى على قته . تصدر حياتهم ومادة وجودهم .  
ومن ناحية أخرى تدل هذه الحادثة على مبيع النعمة لنفسية . وأن  
الألحان قد بلغت من "نصوح مستوى رفيعاً من التنظيم والتنسيق  
والتحديد حتى ليسر الخلق في موضع واحد من إبراهيم وإسحق  
فيتمتع به قلوبهما وأبهما .

وقد لا يتحان فيقع الخوف وتقوم احصومته لعمية بينهما ، فيناقض  
الأب أبه . وسكتهما مع ذلك يتحان كل إلى نفس والعقل والبدن .  
هذا إسحق يحدث أن أبه لم يزل يلهو من أبي ربيعة فعاب  
صنعة أبيه فيها . وكان معقولا أن ينهر إبراهيم ولده إسحق فيقف  
الأمر عندها . ولكن حرية الرأي التي كانت من النصوح  
بحيث دعت إبراهيم إلى الصبر . فتحدثي وبه بخير ما عنده من  
الألحان إلى جانب هذه المقلوعة التي لم يرقه حبها . وتراضيا على  
التحان إلى أول ما بهما . وكان طريقهما اصحراء . فأقل عينهما  
رجل من النبط<sup>(١)</sup> يحتطب شوك على دابته ، فاحتكا إليه ، وأسمعه  
كبر منهما لحنه ، فكان لغور لإبراهيم .

أما أبيات عمر مهي :

ليت هندا أنجزت ما تعد	وشعت أنفسنا بما تجد
واستبدت مرة واحدة	إنما العاحز من لا يستبد
زعموها سألت جارتها	دات يوم وتعرّت تبترد

(١) - خط - ولد ساجية بالدمية

أما ينبغي تبصرتي عمر كن الله أم لا يقتصد  
فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود  
حداً حماته من أحبا وقد بما كان في الناس الحسد  
ولعل هذه الآيات على قصرها ، وقتها ، تشف عن نواة  
القصة في الشعر العربي . ونرى فيها إبراهيم ملجأً مسرحياً ، وإن  
كان في صورة يلائمها الإيجاز والاختصار .. ألا إنها قصة شاعر  
يتحدث عن حياته وهي تسأل جاراتها عن مقدار صدق الشاعر  
فيما وصفها به من الحسن

أما أغنية إسحق بن هبيل "بيتين"  
قل من صد عنا وأى عنك جانبنا  
قد بعثت مدى أردت وإن كنت لأعبا  
وروع من هذا وذاك أسبغ الفصح الأدبي والسني هذا  
المستوى من الشعر المتحرر و"فكرة المتفافة ، وأل يكون التقديره  
ميسوراً ومقدوراً أو حتماً يستطیع أن يحكم حكماً مسرحياً  
بين أعظم ما بين في أرمي عصور الدول الإسلامية .

وكان إبراهيم يحس الأولات ويجيد الحجة حين يضيق عليه  
الشرك ، أو حين يريد "الكشف عن حقيقة فنية يحجبها على ما يدعى لها :  
غنى اس حمع ثلاثة ألسان أمام الرشيد باعاً ، وادعى أنها  
من تراث الأقدمين . ولما سئل إبراهيم عنها قال لا أعرفها . وكان

ذلك خذلاً نأله . فوجه ابن الرف ، أحد كبار المغنين ، في اليوم  
التالي إلى ابن جامع يتظاهر بهنتته ويحتهد في أخذ تلك الألحان  
عنه . فنصحت الحينة وحفظها عنه إبراهيم . وبكر إلى الرشيد  
وأظهر أمامه أنه كان يعرفها من قبل وإنما تظاهر بالجهل بها تحشها  
واحتراما لميل الرشيد إلى ابن جامع ورغبته في مناصرته . ثم غناها  
صوتاً صوتاً . فأقسم ابن جامع بأن إبراهيم لا يمكن أن تكون له  
سابقة علم بها لأنها من صنعه ولم يجرحها لأحد . فكان ذلك هو  
الانتصار لإبراهيم لأنه ما كان يريد غير الوصول إلى هذه الحقيقة  
بين يدي الرشيد وهي بى التقصير عنه بنى كونها من التراث القديم  
الذى لا ينبغي لمثله أن يجمله .

على أن هذين العبقريين إبراهيم وابن جامع بلعا من المقدرة  
وسعة الإدراك وحدة الدهن ما تعد روايته من الإعجاز . ولكن  
الغربة يهون أمرها من مثلها إن كان لها مثل :

زار ابن جامع يوماً إبراهيم فأحرج إليه ثلاثين جارية فضر بن  
جميعاً طريقة واحدة وغير . فقال ابن جامع : في الأوتار وتر  
غير مستو . فأشار إبراهيم لخارئة من بين الجوارى وقال لها :  
شدّى مشاك<sup>(١)</sup> . فشده الخارية فاستوى . فحجب من حضر لفظة  
ابن جامع لوتر غير مستو في مائة وعشرين وترأ ، ثم ازداد عجبهم  
من فطنة إبراهيم للوتر بعينه .

( ) شئ لا ترصد من مود

وكان إبراهيم رجلاً صريح التعبير جريئاً . ومن الناس من يفعل  
الخبر ويسبك سبيل الفصيلة فيحوط نفسه بالكثير من الدعاوى ،  
بينما يصنع إبراهيم ذلك ثم لا يرى بأساً أن يصارحك بأنه صنع  
ما صنع خوفاً لا تعصفاً .

ومن حقنا أن نسال إبراهيم عن الحالة النفسية التي يستوحى بها  
ألحانه . وقد نحن نراه في حالة نعرها عن أمه - العياقرة ، يفرغون  
أنفسهم من شواغل الحياة ويصبحون في حالة استغراق وتوحد في  
محضر ، فإذا هم يتون بالمحب "عجاب" سنة الرشيد يوماً كيف  
يصنع إذا أراد أن يصوغ "الألحان" فقال : "بأمر المؤمنين أخرج  
الهم من فكري وأمثل "لرب بين عيني" فتفتح لي مسالك الألحان  
وسكها بدليل الإيقاع ورجع طائراً بما أريد .

وقد أراد إبراهيم أن يكون له شيطان يعلمه ويلهمه . وما دام  
لأولئك الشعراء في الجاهلية شياطين ، وما دامت الحزن في  
العيان (١) والكهوف "ثانية تلهم القصائد والمعلقات ، فليكن  
لإبراهيم واحد من أولئك . فالشعر والعناء متلازمان منذ  
قديم الزمن .

لقد حلا يوماً بحرمه وجواربه . وأمر خدمه وعلمانه بأن  
يعتقوا عليه الأبواب فلا يأذنوا لأحد . وبينما هو كذلك أقبل

عليه رحل وسيم تظاهر باخرة وراح يمتحن إبراهيم حتى استنفد  
ما عنده من من ومن صبر. ثم أحره هو العود فكاد ينطقه. ثم غي  
أبياتاً وأبياتاً حتى طر إبراهيم أن حدران المتزل وأبواه تتحاو  
معه من حسن عتائه. ثم قال له: هذا هو العناء المحوري فعمله أنت  
وحواريك. واضطى عنه ذات شيطان الذي زعم إبراهيم أنه  
إبليس اقتحم عليه داره والأبواب معققة. حتى ليقول له لقد هتف  
لى من بعض حوائب البيت أن لا بأس عليك يا بيا إسحق.  
أنا إبليس كنت جسدك ونريك ليوم.

ويبدو لنا أنه كان يحاول لتفوي على ألداده عند الرشد بمثل  
هذه المتكررات والمستحاثات. وما دام ابن جامع قد استباح  
أن يصطنع الخائن ويعزوه إلى تتسماء فم لا يمارحه إبراهيم عناء  
يعزوه إلى الشياطين الذين هم قدم من أصحاب ابن جامع وأقدر  
من أساتذته. وإنما يحمل المغنير على مثل هذا ما كان للرواية  
من قيمة عالية في ذلك العصر. ولهذا يقول الأصفهاني: لعل  
إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتفق<sup>(١)</sup> بها.

ولقد كان من الخير لإبراهيم ألا يصطحب الشياطين ليستعين  
بهم وينسب إليهم ما حبه به الطبيعة من من ساحر، كان ينزع به  
الخلفاء والأمراء من وقارهم وهيبتهم:

(١) تفت السلة: كثر طلابها.

كان إبراهيم بحضرة الرشيد يوماً في صفوة من الفنانين فعرف  
زلزل بالعود، وزمر برصوم بالناي، وغنى إبراهيم. فطرب هارون  
حتى وثب من مكانه وقال: يا آدم لو رأيت من يحضرني من ولدك  
اليوم لسرك. ثم استعاض هدوءه بجلس وقال استغفر الله.

وكان إبراهيم ما لكثيرين من الفنانين من الدواعي العاطفية  
تبي نير شجانه فحبه شاعراً ملحناً. وقد هام بجارية تعرف بذات  
الحال دبت من أحسن النساء وأكملهن. وكان لشعره وغنائه فيها  
الأثر الكبير في شهرتها<sup>(١)</sup>

أما آخر من صاعه في آخر شعره فله فهو داك :  
من وأمله ضيبي عن مقاساة الذي بي  
سوف أنمي عن قريب له ——— ووحيد  
قل ذلك حين طال علم المرص وانقشع عن خدمة الخليفة  
ولكن كان حسه أن يعود الرشيد في لخطاه الأخيرة. وقد سأل  
كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: والله يامولاي كما قال الشاعر :  
سقيم من مه أقرنوه وأسله المداوي والحميم  
فقال الرشيد: يا لله، ورح، فلم يبتعد حتى سمع الباعية عليه.  
ومات إبراهيم سنة ثمانية وثمانين ومائة هجرية (٨٠٦ م).

\*\*\*

كان إبراهيم نابغة عصره لا تنافسه على مكانته الفنية في العصر  
لعباس سوى ولده إسحق.

(١) راجع ترجمه ذات الحال في هذا الكتاب.

ومما قاله محمد بن الحسن عنه . كان لكل واحد من المنين  
مذهب في الخفيف والثقيل فكان معب يفرد بالثقيل وابن سريج  
بالرمل وحكم الوادى بالهزج ولم يكن في المنين أحد يتصرف  
في كل مذهب من الأغانى إلا إبراهيم الموصلى .

وقد جاءت حياة إبراهيم مصداقاً لسيرة يونس الكاتب فقد  
أدركه إبراهيم وهو في شيخوخته فعرض عليه عباده فقال :  
إن عشت كنت معي دهرك .

وكان إبراهيم وابنه إسحق من أنصار القديم والمتعصبين  
لنثرائق معبد وأسلوب المدرسة القديمة في العلم . وظلما بذلا  
الجهود في الدفاع عن مذهبهما ، بحصره الرشيد لمقاومة المدرسة  
الحديثة التي يتزعمها ابن حاتم . ويؤيدها إبراهيم بن المهدي  
أخو الخليفة بفسه وفؤده .

وأما ثروته المالية فقد بلغ بها الملايين ، وقد أحصاها ابنه  
إسحق بأربع وعشرين مليون درهم ، حازها من هبات الخلفاء  
والأمراء والوزراء . ومن ثم الثقيان وأحور تعليم الحوارى .  
ولأول مرة في تاريخ التربية والتعليم الموسيقى عند العرب نرى  
مدرسة نسوية تميزاتها ثمانون جارية بينهن نبوت من أصدقائه  
الدين وكلوا إليه تعليمهن . فكأن باكورة الثمرات لأول مدرسة  
موسيقية في الإسلام .

# زلازل

في نهاية القرن الثامن الميلادي وبداية القرن التاسع ، وفي قبة  
العصر الذهبي من ملك بني العباس ومدنتهم التي بسطت جناحيها  
على أعظم امراضورية إسلاميه ، طهر منصور رلزل الضارب —  
أى العارف في لغتنا — من سواد أهل الكوفة . وقد تسبب عار  
الشهرة الموسيقية في العرف حتى كان أشهر من وقع بالعود في  
دوله بني العباس وتمتع بمكانه فيه فيما أتتحت لعيرد ، وبن اسمه  
لامعاً إلى ر من طويل . و لزل حين تقدمه يدوانا في لون آخر  
غير أولئك لأعلام يدين تحدثنا عنهم في هذا الكتاب . فهو  
موسيقى عارف عالم مسكر . وكان عزفه بعضاً من عبه . واقترب  
اسمه ، سمي . بعض المقامات والعمات . فكانما أصبح اسمه  
بحثاً وعلماً .

وقد اخضع علماء زمانه في موضع عفق نعمة السيكاه على  
العود ، وكانوا يسمونها الوسطى ، فعرفوا لها موضعين أطلقوا  
على أحدهما الوسطى القديمة ، وعلى الثاني وسطى الفرس .  
فلما جاء زلزل استحدث موضعاً جديداً لاستخراج هذا الصوت

يتوسط الموصعين المتقدمين وعرف « توسطى زلزل » فيما بعد <sup>(١)</sup>  
 ولم يقف استكباره عند تحقيق نعمات لاسم الموسيقى والدقة البارعة  
 في أدائها بل امتدت بحوثه البعيدة المدى إلى تحسين صناعة العود  
 نفسها . قال إسحق الموصلي : إن زلزالاً أول من أحدث العيدان  
 الشبايط <sup>(٢)</sup> وكانت قديماً من عمل عيدان الفرس فجاءت عجباً من العجب .  
 ونأهيك بـرجل يبيع من المكانة أن يكون أستاذ إسحق في  
 العزف . فإذا كان هذا هو التميز فيما ارتقى إليه من شأو بعيد  
 فكيف بمعلمه ١١ وقد تمصب له إسحق وفصد بحضرة الواصل على  
 ملاحظته انتهى كانت له الرياسة على جميع الماويين الحاديين . وقد  
 أثبت زلزل « حري بها » تفصيل حدير بذلك لتقديم .

غضب الرشيد يوماً على زلزل ، وكان قدراً مقدوراً أن  
 يتجرع زلزل من الكأس المريرة التي يستهف لها كل عبقرى  
 يريد القدر به أن يكون شيئاً غير عادي . وقد دفعت به عصبية  
 الرشيد إلى السحق وبقى فيه مدة غير قصيرة ... ومن أولى ياتقد  
 الفنان من الفنان ؟

هكذا صنع إبراهيم الموصلي حين قام الرشيد في بعض شأنه  
 وإذا بإبراهيم يعنى في شعر فالة في حسن زلزل وهو :

(١) وتفسر توسطى زلزل « توسطى » من مصلى الويل

(٢) « شبايط » شوم « شديداً الشئ وشديداً » وهو سمك دقيق  
 اتخذ من لوصف رأس صعد رأس

هـ دهرنا بك راجع يا زل أيام يغينا العدو المبطل  
أيام أنت من المنكاره آمس والخير مسع عينا مقبل  
يا زل من فقد الإمام وقربه مادانه من ذلة لو يعقل  
مارت بعدك في المموم مردد أنكي بأربعة كفى مثل

ودخل الرشيد وهه في ذلك مجلس في محسه قال : يا إبراهيم  
أى شيء كنت تقول ؟ يا حيرأ ياسيدى . قال هاته . فتلکأ  
إبراهيم فعصب الرشيد وذل : هاته فلا مكروه عنك . فرد العمام .  
فقد نه أنحك أن تراه ؟ قال إبراهيم . ومن يشر أهل القبور ؟  
فقال الرشيد : هاتوا زلولا . فقاموا به وقد يتن رأسه ولحيته .  
فسر به إبراهيم . وأمر الرشيد زلولا فجلس يصرب وأمر إبراهيم  
فعى وصرب عليه فزللا الدنيا . وأمر الرشيد يا ضلأ سراح زلزل  
وأمرى جائره وردى عه وصره إلى منزله

أرأيت روع من هذا ؟ . . . . . ومن بعد عشر سنين  
أوخوها . وإذا نأ نرى زلولا ثم بدسه اخوات والميالى السوداء  
والسنون المتعاقبه . اعة المرف وحذف الصرب . ونرى بعد ذلك  
المن يعيد للبعى والعارف مكانتهما ويحزل في عظامهما ومكافأتهما  
وكم للهن من ثمار وثمار لو تعاون الثنائون في مودة وإحاء !!

وقضى زلزل نحه عام ١٧٥ هـ ( ٧٩١ م ) . وكان له جارية قد  
رباها وعليها الصرب والعماء ، حتى حذقتها وبرعت فيهما ، وكان

يصونها من أن يسمعا أحد . فلما مات بلغ إسحق الموصلى أنها  
تعرض في ميائه للبيع فصار إليها فغنت :

أففر من نوره نعه د فالعود للأوتار معمود  
وأوحش المرمار من صوته فما له بعدك بعرب  
من لزائم وعيائها ونامر الهات مقتود

فانكت عين إسحق وأوجعت قلبه . فارتد إلى الرشيد وحده  
بجديتها فأمر بإحضارها وقال لها : عني الصوت الذي حدثني  
إسحق عنه . فعصته وهي سكي فانغورقت عين الرشيد وقال لها :  
أتخمين أن أشربك ، فقلت : يا أمير المؤمنين لقد عرصت على  
ما يقصر عنه الأمر ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد  
سیدی ميتع في . فزاد الرشيد رقة عينا وقال : غني صوتاً  
آخر . فعنت :

العين تظهر كتمانى وتبديه والقلب يكنم ما صمته فيه  
فكيف ينكم المكتوب بينهما والعين تظهره والقلب يحفيه  
فأمر بأن تبتاع وتعتق ولم يزل يجري النعقة عليها إلى أن ماتت .  
هذه هي قصة الفس الوقي . لقد كان رلول إذن يحكي كنزاً من  
الفس واحمال والسحر يصن به على كل أدن أن تسمعه وعلى كل عين  
أن تراه . ولكن لقد نكته مرة أخرى فحسه عن متعه نفسه وقرة

عينه بموت . هل سكب زلزل في الوفاء سكبته في الحياة .. وماذا  
نستطيع جارية مملوكة موروثة في تركة أن تصنع إذا شاءت الوفاء ؟ ..  
لقد كان القدر رحيمًا ، وكرِيمًا في هذه الرحمة بذلك الفقيد فلم  
تفجع روحه في عالمها الأبدى به تمتك من كانت في حياته  
مهجة قسه .

وهكذا استناعت حارية مملوكة أن تحتفظ بوفائها للفنان  
الراحل أمام حليفه يده مفتوح السعادة المثلثة التي تبهر النفوس  
وتحلب الألباب . فقالت قوائها سك ، وبقيت على الأمانة والوفاء  
كما بقيت ذكرى زلزل في سفر الخلود والبقاء .

## يحيى المكي

لم يمر بنا من قبل ولن يمر بنا في هذا الكتاب مثل شخصية يحيى المكي فهي غرابة وتعقيد وثنافر . ومع هذا فهو شخصية بعد عيه في فصاحة الفن وبلاغته . والأدباء كثيراً ما يمدون في روايات الشعر والأثر على شخصيات مثل هذه فيرون فيها محلاً حصاً للتحدث والتقد كما صنعوا مع حماد (١) الراوية . وقبلاً عثروا بين النقاد على مثل يحيى المكي . فهو حماد الموسيقى وراويها الذي لعب بالأجبال وسير ركب التاريخ كما شاء وشاء له الهوى .

احتاز هذا الراوية الفنان ديولا وعصوراً ، وشاهد انقلابات وانتقالات ، ورأى كيف شالت بعامه ملكة بني أمية ونقص ظلمهم من دمشق ، وارتفع علم المدينة الإسلامية في بغداد بعدها . وسائر هذه القافلة في أزهى عصور بني العباس وشعر كبير من بداية اصطحلالها . وعاش يحيى قرابة مائة وعشرين عاماً كانت كلها أعوام جد وعمل ونشاط . وتطور دائم مستمر .

(١) شخص درسناه من الكوفة ما وجد من شعر



دون أن يعرف غاؤه الذي هو لباب قصته في الحياة : فليكن  
يحيى المسكي إادن هو جعبة التاريخ وسجل أمانى أولئك الأعلام  
الذين انتقضت عليهم عشرات الأعوام ، . تعاقد بهم العهد وأصبح  
الشوق إلى منهم يساور كل نفس بعد ما سمعت شهرتهم عنال السماء  
راح يحيى ينقل ما سمع في أمانة مائة وفي حنط تارة أخرى .  
ويعلم الظن أنه حتى في حلقه هذا حدير بالتحليل لأنه عن الأقل  
كان ضرباً من التقليد . فسكن بصدق الناس . وإيته عن مود مثلاً  
عليه أن يصوغ نفسه على صورة معد . وأن يتش أسووه حتى  
يكون ما ينتحله له بعد ذلك نوعاً من الحكمة على أسنوب المروى  
عه . وبذلك لا تكون قولاته وروايته حاسة تريف والاحتلام  
في نظر الناس . وإن كانت كذلك في رر تاريخ . ولا أقل من  
أن انتحاله هذا يعطى للسامع لونا منصفاً وصورة واضحة عما يرويه  
أو عن يروى عنه . وليس ذلك بالعمى الضنين .

أما نسبه فهو يحيى بن مرزوق مولى بني أمية . وكان يكنى ذلك  
لخدمته الخفاء من بني العباس خوفاً من أن يحبسوه . فبدأ سئل  
عن ولاته انتهى إلى قبرش . ويكنى يحيى أبا عثمان .

قدم مع الحجازيين الذين وفدوا إلى المهدى في الزحف خلافته  
وكان يحيى مرتجعاً . ويحصر محسن المعتمد مع المعين فيقع بتصيب  
على دواة . . . . . جامع وإبراهيم الموصلي والشيخ يفرعون

إليه في الغناء القند - وأخذونه عنه ويساق بعضهم بعضاً بما يأخذه  
منه . فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووروا نصيبه . وله  
صنعه عجيبه نادرة متقدمه . وكتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها  
يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت ، وهو سفر كبير جليل  
إلا أنه كان كالمسحوق عند الرواة لكثرة تخليله في رواياته ، لذلك  
كان يعمل على كتابه أنه أحمد البدي صحيح كثيراً مما أفسده أبو  
وحقق ما نسب من الأغاني إلى صانعه .

وكان إسحق الموصلي يقدم يحيى المكي تقيماً كثيراً ويصله  
ويشتمل : ليس يخون يحيى فيما يرويه من الغناء البدي لا يعرفه أحد  
من أحد أمرين إما أن يكون محققاً كما يقول فقد علم ما حدثهم  
أو يكون من صنعه وقد نخله المتقدمين فهو أخص وأوضح لتقدمه .  
وكان يقول أيضاً : لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسه من تخطيط  
روايته الغناء على المتقدمين وصدته إليهم ما ليس لهم وقلة ثبتته  
على ما يحكيه من ذلك ما تقدمه أحد .

وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخصص في نسب الغناء  
نحوه كثير . وهو يصنع "صوت بعد صوت" يشبه فيه بالغريضة  
أو بمصداق ورد وبابن سريج أو بابن محرارة أخرى ويختد في أحكامه  
ويزنه حتى يشبهه على ما معه فإذا حضر محالسا احتفاء غناء على  
أحسن صنعه . مما لا يعرفه أحد . فإذا شئ من ذلك قال أخذته

عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نثرانه من رواة  
الأواثر فلا ينك في قوله ولا يثت لمباليه أو يقوم لمعارضته  
أحد. ودأب عبي ديت حتى شأ إسحق الموصلى فمضط الغناء  
وأحده من مضانه ودونه وكشف عمار يحيى في منحولاته  
ويته للأساس .

قال إسحق يوماً الرشيد أتبع يا أمير المؤمنين أن أظهر لك  
كنت يحيى فيما ينسبه من لغواء؟ قال نعم قال اعطني أى شعر  
شئت حتى أصنع فيه لحنًا واسألني بحضرة يحيى عن نسبه وبني  
منسبه إلى رجل لا أصل له ، واسأل يحيى عنه إذا عينته فإنه  
لا يمتنع من أن يدعى معرفته . فأعته الرشيد شعراً فصنع فيه لحنًا  
ولما حضر يحيى غماه إسحق . فقال الرشيد لمن هذا اللحن يا إسحق ؟  
فقال إسحق لعناديس المدينى يا أمير المؤمنين . فأقبل الرشيد على  
يحيى وسأله : أكرت لقيت عناديس المدينى يا أبا عثمان ؟ فقال يحيى  
نعم لقيته وأخذت عنه صوتين . ثم غنى صوتاً وقال هذا أحدهما .  
فما حرح يحيى أقسم إسحق أن الله ما خلق أحداً اسمه عناديس  
وأنه وضع ذلك الاسم في وقته لينكشف الأمر .

غنى يحيى المسكى صوتاً فمثل عنه فقال هذا للمالك . ثم غنى  
للحناء للمالك فمثل عن صاعه فقال هذا لى . فقال له إسحق الموصلى  
وكان حاضراً : قلت ماذا فديتك؟ وتضاحك به . وغنى الصوت ،

وذكر اسم صاحبه فحسن يحيى . ثم غنى بعد ساعة في الثقبل الأول  
الح . فسن عنه فتنسه إلى العريص فقال له إسحق : يا أبا عثمان  
ليس هذا من نط لعريص ولا من طريقته في الغناء ولو شئت  
لأحرت مالك وركت للعريص ماله ولم تعب . فاستجيا يحيى ولم  
يشفع نفسه ببقه يومه . فبما انصرف نعت إلى إسحق بالظاف  
كثيرة وكتب إليه بعاتبه ويستكف شره ويقول له : لست أنا  
من أقرأك فتصادق ، ولا أنا من نصدي لما غضضت ومباراتك ،  
ولأت إلى أن أبيت وأعطيك ما تعلم أنك لا تحده عند غيبي  
تسمو به على أكتافك حوج منك إلى أن ما عصى فأعطي غيرك  
سراخا إذا حميه عندك ثم يتر له . وأنت أولى وما تخار . فعرف  
إسحق صديق يحيى وكتب إليه بعدد ورد في الظاف التي حملها إليه  
وحسب لأبعد منه بعد ما . وشهد عنه اوفاء بما وعده به من  
"فوائده" . فوفى له بها ولاحقه ما أراد من علماء المتقدمين . وكان  
يحيى نصرانيا . فداش عن عده في حصرة إسحق صديق فيه وإذا  
عاب إسحق حظه فيه يدأ .

عن أحمد بن سعيد . من الاختلاف الواقع في كتب الأعراف  
إلى الآن من نقابا عسقا يحيى

وسن أحمد بن يحيى المكي عن صفة فيه فقال الذي صح  
عدي منها ألف وثلثمائة صوت . منها مائة وسبعون صوتاً غلب  
فيها على الناس جميعاً من تقدمه فيها ومن تأخر .

ومهما يكن القول في يحيى فقد طبقت شهرته الأوسط القية  
والآفاق العنائية في رمنة الطوين . فليكن راوية أو مؤلفاً أو معي  
فحسه أـ ينقله له نجوم ذلك العصر وفي مقدمتهم ابن جامع  
وابراهيم الموصلي وطلح . بن بحسبه أن يهادنه إسحق ليزداد من  
عنه وليأمن عداوته . وحسب يحيى من الدنيا أن يدع تراثاً فيأ  
يضم الألوف من مروياته ومؤلفاته . وأن يحظى بمجالس الخلفاء  
من المهدي إلى الرشيد إلى المعتمد ، ثم يترك الدنيا بعد مائة وعشرين  
عاماً قوياً العقل صحيح السمع والصر .

## ذات الخيال

فتاة خلوت تستهوى الآرواح وتعبث بالقلوب ، وفي مقدمتها  
قلب أستاذها ومعها إبراهيم الموصلي لقد دهمته إليه تتعلم الغناء  
فكانت أغنيته معلها وحيرة أستاذها . سبها شعره وغناؤه .  
وشهرها بل شهر معها عاشها أبا الخياط المسمى قريس من موالى  
العباسة شقيقة الرشيد وكان يتحرر بأحوارى الموائد والإماء  
الغامات . قال إبراهيم في ذات الحال

إليك أشكو أبا الخياط حارية عريضة شترادى اليوم قد لعبت  
وأنت قيمها فاضر لما شقها ياليتها قربت منى وما بعدت  
ويدولنا أن إبراهيم قد اشترى ذات الحال هذه وسعد بها  
سعادة قصيرة . فقد حتى عليه شعره فيها وتشبهه بها حيث وصل  
غزله في محاسنها إلى سمع الرشيد فاشتراها وأغلى فيها القدر ولم  
يخص على ثمنها سبعين ألف درهم . إلا أنه وقد احتازها في قصره  
لم يجد فيها شعاع صدره فقد اعتقد أنها ليست حالصة له . وكيف  
يستخلص لنفسه ويستصحب لأنسه من تغزل فيها إبراهيم ، وقد يكون  
غير إبراهيم قد أحبها أو أحبتة ۱۱

أمام هذا القلق الثائر لم يكن صعباً على الرشيد أن ينزل عنها  
هبة حمويه الوصيف . وما أن غربت الشمس عليها خارج قصره  
حتى أجهه ليلين فاردحت عليه الحواطر والهموم من أجلها .  
لقد اشتاق إليها وإلى عذب عرسها ، فأخذ ينساء . كيف سمحت  
نفسى بأن يصيغ هذا لكثرة اثنين من يدي !! لقد أقيمت بها طوعاً  
وتناراً لها احتياً أو وهتها هبة - حيصه كأنه ضاقت بها نفسى  
درعاً !! أهكذا توربى لغيره فأترع من يدي حاتم لؤلؤها كان  
متعته ناظرى وأنس روحى ' ' .

وفى ساعه من ساعات الصفاء قال الرشيد حمويه الوصيف :  
ما صنعت الأقدار بذات الخال عندك ؟ قال حمويه : إنها قرّة العين  
ومتعة السمع والبصر . قال الرشيد : وبلك يا حمويه وهماك أخارية  
على أن تسمع غنائها وحدث : أحب حمويه . يا أمير المؤمنين من  
فيها بأمرك . قال الرشيد : نحن عندك عدا

وفى أصيل اليوم التالى وقد انحدرت الشمس إلى مغربها مرسة  
تلك الأشعة الذهبية التى يلهو بها الناس فيسون فراق الشمس وهى  
خلف رداء الشفق أقبل الرشيد إلى بيت حمويه ليرى ذات الخال ،  
فإذا بها فوق خياله... لقد رآها تيمس فى عقود من الجوهر ، ونحطر  
فى حلى وحلل تربو قيمتها على اثني عشر ألف دينار . وهنا يثوب  
الرشيد إلى رشده فيبسى ما كان يتصباه من الخال وما هو مشوق

إليه من الاستمتاع بسماع ذات الحال . فقد رأى الرشيد عقوداً  
وحواجر لا قبل للوصيف بها ، وما كان له أن يشرها إلا حين  
يكون ثمنها غير حلال . .

ها هو ذا الرشيد ينظر إلى الوصيف شذراً ويحلق في وجهه  
عاصفاً : ويا حمية . من أين لك هذا ، وما وليتك عملاً  
سكت فيه منه ولا وصل إليك مني هذا تقدر ؟

لقد كانت الحواجر مستحرة لاستقبال الحينة على حال تليق  
بذمتها . ثم نكس الوصيف دواشيراً . كأنه لم يتوقع أن  
يسير المؤمن بسوء وموحي به حال داهم أو ما به عقاب على  
سرقته أو عصب . ولكنه كشف تبايح عن المساع فأدبه قد  
سأخره إلى حين . ذات مكاولة أكامه وحزام الصدق أن صاح  
المسأخر مكالاً حيث دمع نير المؤمنين فيهم الحواجر وأهدأها  
إلى ذات الحال

فلو كان بعد ذلك أن نكس ثمانية الموهوبة للوصيف قد  
أن لها أن تسرد وترجع ولا بد ثم تعويص يرضى عنه حمويه .  
وفد مكملت له به ذات الحال نفسها حين طلبت إلى الرشيد أن  
يوليها خرب والخراج بعد من سبع سنين . ففعل ذلك ، وكتب له  
وثيقته وشرط على ولي العهد بعد أن يتبهاه من ثم تم  
في حياته .

وحفل قصر الرشيد بعد ذلك بذات الحال وكانت لها فيه نيل  
باسمة كإشراق الريح . فهي إحدى ثلاث استولين على قلب  
الرشيد ، كان لمن معه ألوان من الدعاية والحوار والتحي والتدليل .  
أما أولئك الثلاث فهن : سحر ، وضياء ، وحدث ذات الحال .  
وقد جاء فيهن قول نسب إلى الرشيد :

ملك الثلاث الأنسات عتافي      وحلى من فلي بكل مكان  
مالي تطاوعني البرية كلها      وأضيئهن وهن في عصياني  
ماذا إلا أن سلطان الهوى      وبه فوين نغز من سلساني  
لقد عاشت ذات الحال في أعظم قصور الشرق وفي رعاية  
أحسن موكه شأنا وعظمهم قدرا ، وهي شبه باسم اللحم والسير  
المائل . وأصبحت وقد استردها الرشيد ساعة بمكانها ، تعار  
وتعصب وتثور وترصى .

ها هو ذا الرشيد يراها أن يسمر على سماع صوتها ، فإذا بحظ  
إحدى الحوارى يقطع عليها الطريق فيترعه منها قبل أن يصل  
إليها ، ويقنع الرشيد بمسامرة غيرها . ولكن ذات الحال قد  
أدركها العصب ، واقتات نيران العيرة في صدرها . وماذا هي  
صاعقة بالرشيد إذا أرادت أن تشر لحظ لبتها "إنها لقينة الضعيفة  
وهو أمير المؤمنين صاحب السطوة والسيطان . إنها لا تستنبح  
أن تمس إلى نفسه بفعل أو قول يشي غيضا إلا أن تعجل جمالها

مع الاسقام والعقاب . فقد قامت بنزع الخال وسو كنزها  
بى طالما جلبت به الالباب ، وحملها انذى ، ألقت به بين الأتراك ،  
مقد كانت تنصر الخصال وحياً ولها خال على حدها لم ير الناس  
أحسن منه في موضعه . ثم ان علم بذلك الرشيد حتى نسي ما كان  
فيه من الأسمر بما طالعه من لا كدار . لقد جنت على قلبه  
قل أن تحي عى وحياً ، وسطت على حبه قبل أن تسطو  
على حبه . وكما فطمت بنت شريعة من فيه حين مدت  
المقراص من الخال فحيت به . مال وما لك الرشيد  
أن يرت ما هو فيه وأفس عيها . وكان يلتفت بحاجه إلى دواء  
يخفف بعض ما أصاب فيه أخرج ، وم يكن ذلك غير شعر لعناء  
أو عاء لشم فهو فيثارة الروح التي ترفعه عن الحزن وتصور  
الآلام فتخفف الشجون . من الرشيد من ، الباب من شعراء ؟  
فليس له عباس بن الأحمب . فودع عيه فرسمه الرشيد هذا  
اسم . وسمه هارم ، ثم صور به . أهم الموصلى تعام .

تحست من لم يكن ذا حفيظه . وملت إلى من لا يعيره حال  
فإن كان قطع الخال لما تعطفت على غيرها نفسى فقد طم الخال  
هذا هو الفن الساهر في العصر الزاهر . كان الفن مستيقظاً  
إلى جانب يقظة الدولة وسعادتها ، ثم نأى الرشيد حتى كان الشعر  
والغناء خير دواء .

ومصت ذات الخال تسعد إلى الخيفة بصوتها لغت الخنون  
وروحها المرحمة الحية . وتصيف إلى أفراده وأبنة ملكه نعيها  
روحياً من عنده موشيقاها وبراعة لحنها . واشتد إغاث الرشيد  
بها إلى حد أنه يعرض عنها على إمام اعماء في عصره إسحق  
الموصلى . في إحدى الليالي دعى بها الخيفة وأداها وأمرها  
أن تأخذ سيدها إلى سحر نفس . فشدت في وصف الروميات  
على سيد الإعراف والإطراف بملاحتهم .

حزن من الروم وفاتقلاً<sup>(١)</sup> برقل في المرص ولين الملا  
وكأنى به نصف لسان الله في يقبل مع أسب الخروب  
وعين رينة بلاد من ومدينة شعوب .

ولكن ماددت هذا الشاعر المسكين . الذي حياه ليصور  
نفس الرشيد لرشيد وإبراهيم عن مشاعره . فدأبه يقلب صبا  
والها بها هو الآخر . ويصبح في عناد بحبها المأخوذ بسحرها  
المنشدين في مفاتها "

لقد كانت ذات الخال تحمل راء كبرياء . في درجه أحاده .  
يصفق حها من رآها بعينه أو أحرى ألقائها شعاف قلبه . حتى  
لكأنه يردد مع عباس بن الأحف ما أنشده فيها ، بما عناه له  
إبراهيم . وقد جاء في البيت الأخير من أبياته بتقسيم عذب من  
بالإبداع والإمتاع :

(١) لعن شاعر عصره مدحاً بغيره

ألا ليت ذات الحال تني من الخوف  
 عثير النوى أبى فليتم الشعب  
 إذا رضيت لم يمتني ذلك لرصا  
 لعلى به أب سوف يتبعه عتب  
 وأبكي إذا أدبت خوف صدود  
 وأبكي مرصاتها ولها الدب  
 وصالحكم فخر ، حـ ر في  
 و... .. وسيسكم حرب  
 ولئن استهدف ابن الحف وغيره بلوغ في شرك جمالها  
 وسحر دلالها وبديع عايشها من كل شاعر أو كل مغن  
 انصت حباله بحالها ، فإن رآه المعنى كانت أغنيته ، وإذا رآها  
 اشاعر كانت قصيده ، وما هي إلا سرور وسمامة حتى يقع المأخوذ  
 فيقول عنها مع "تتأني" :  
 جزى لله خيراً من كفت حبه      وليس به إلا المموءة من حبي  
 وقالوا قلوب الماشقين رقيقة      بل ذات الحال قاسية القلب  
 وقالوا لها هذا محب مرصاً      فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب  
 فما هو إلا نظره بتسم      فتغيب رجلاه ويسقط للجنب

## بذل

كانت بذل من أولئك الحواري الساحرات اللاتي امتلأ بهن  
هذا العصر الذهبي من عصور الإسلام . إن لم يكن هو أرمي  
عصوره وأنصر عهوده . وهو عصر بني العباس الأول . وأنت  
تسمع أحاديث أولئك الحواري فتعجب لترايف أخبارهن  
وما نقلت الآثار التاريخية عنهن . وأنت تجد في كل واحدة منهن  
مزية لا تجدها عند الأخرى فكأنك إذ تمر بتاريخ أولئك الحسان  
إنما تطوف بروضة فيحاء . في كل دوحة منها فاكهة امتارت بها  
عن سواها من الدوحات والأشجار . فإذا عندك بذل ، مما يستهوى  
القارئ والمطلع . ومما هو عرة المبتدئ والمنتهى ؟ ... إنه شيء  
هام إلى العاية . أعنى الرواية والحفظ . فمن لا يحفظ عن غيره لا يحفظ  
عنه . ومن لا يعرف ما عند الناس فهو خليق بالآ لا يعرف الناس  
عنه شيئاً . فالرواية هي أساس كل محصول علمي في . وما ضعف  
إباح العصور المتأخرة إلا بفقدان الاهتمام بالقل والحفظ .

وإنما العجب حين يقال لنا إن المنسى أو غيره كان يحفظ  
عشرات الألوف من الأراجيز وأيات القصص ، إلا أنه أفسنا

قاصرين عن هذا المدي . تفر من نصوص والمحفوظات بالعه  
ما بلغت من القلة والبسرا ولو أبا كان قد أحدا أنفسنا بشيء  
من هذا لثلاث لها عيت أن نصدق أن . يذل ، حفظت ثلاثين  
ألف صوت . وليس يترك هذا إلى الله ويجعله أمرا مقطوع  
التسليم به أن عنه الحديث قد اصطالحوا على أسماء خاصة لمجاعة  
الحفاظ وحفظهم ضقات ودراب لكل من يحفظ نصبا خاصا .  
ل عشرة آلاف إلى مائة ألف من الأحداث ذات المرو والأمانيد .  
وهذا شائع معروف عند عهدهم . وإن كانت أبي الفرج  
الأصبهاني موسوعة الأدب والعناء العربي يقع في أكثر من عشرين  
مختاراً وهو من : رواية رح واحد ومن إنحاح حسبه وجمعه .

هكذا كانت دل راوية عجيبة . وهي في الألف والاصوات  
كجود الروية في الأدب العربي . وإن احتفظت بالبحر بمرويات  
حماد فلتد من عينا بمثوبات . لأن موسيقى بيت العصور  
قامت على شقين لا على السور . مع أن . لم تقتصر على  
ما حفظت وثقت . بل لتد لت ك . في الألف المنسوبة إلى  
أصحابها . بلغت فيه اثني عشر ألف صوت .

وكانت تجمع بين العناء والمعرف . وسعت في ذلك منزلة  
كانت تضارح فيها كبار المغنين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم .  
فهي تعارض سحر الموصلي . وسهض ابراهيم بن المهدي . وحسبك  
بهما من رعيين لا كبر مدرسين في ذلك عهد

وكانت بدل مع ما تجمع من لئام والعزف والنقل والرواية  
حمية وسيمة خفيفة الروح لها جمال ساحر وعاطفة تسمو بها  
إلى حياة راقية في ظل الخلافة وأمرائها . اشتراها جعفر  
ابن موسى الهادي ثم سطر عليه محمد الأمين وادّعى عنها منه اثراً  
كما يترع القطرة السائغة من فم شاربها وهو طمس . وأمس إليه  
على كره منه عشرين ألف ألف درهم ثمناً لها . وبذلك به من عس  
على ما بلغت هذه الجارية من حسن مشربها . وقد رأى بها  
سكنر لذى تهون في سبيله جميع الأموال وما زالت عبد الأمير  
م حرفة بعد به حتى قل . وقد خفف لها ثركه من حمار  
ل نعيم ما يبيع منها عيش يسر ورحاء ، حتى قصت أيامها  
والتفت إليها منها سية وامرة .

شهدت بدل على دحمان ، وفليح ، وابن جامع ، وابن هبم  
الموصلي ، ومن في طقتهم من أعلام هذه صاعه في ذلك العصر  
وسعت منزلة هنية حيرت فيها الألقاب المقدمين ، وانظرهم  
وتركنهم في حيرة من أمرها . .

قال المؤرخون إن إبراهيم بن المهدي كان يعظمها ويتعصب  
لها فيتودد إليها . ثم تعبر عنها بعمامات يبعه من مكة في لئام ،  
طد منه أنه قد أصبح عنها في عى . فسارت إليه لعميه درسا في  
التواضع لعظمة النفس وحلله ، وظلّت عوداً وعنت ، عامه

يقولون - في طرفة واحدة وإيقاع واحد وإصبع واحدة  
ما به صوت م يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً ، ثم وصفت العود  
وانصرفت ، ولم يبق في داره بعد ذلك حتى أتى عليها في الرجاء  
والتودد إليها والاعتراف بتقصيرها .

وحدث أن إسحق وسك شديسته وحقيقته - حالفا في  
سنة صوت عنه حصرة المأمون . فأمره ساعة . أغنت ثلاثة  
أحبار من كتيل لسان واحد بعد واحد وسأل إسحق عن  
مصدره . فم يحد طريقته إلى الخواب . فتالت للمأمون . يا أمير  
المؤمنين هي والله لأبيه أحسن من فيه هاء كان هذا لا يعرف  
عنه به فكيف يعرف عنه غيره ؟ فاستند ذلك على إسحق  
و... من وجه . وهو حلق هذه المرة بتلك العظمة فتألموا  
تألماً شديداً في نفس الخدم حول المين والمعنيات ونسبة  
الأصوات الخويل من نزل إلى حارة به دليبه أو سفسطه فنية  
كان يركب الاستعانة بها في مثل هذه الحوادث .

وليس أحد ينكر علم إسحق . إلا أن إغاث الماء بأنفسهم  
أحياناً ويحاربونهم لثقتهم بالعظمة ولم تنص على حساب تنقاس قدر  
غيرهم . هذا العمل من شأنه أن يبرهن بقدرته لا من يعمدها .  
فلو أن أهل العلم أضافوا إلى عهدهم من حدة الحق والتحق بالتواضع

وتشجيع من هم أقف منهم تجربة وتحصيلاً . لأصافوا إلى عظم  
فضلاً يزين العلم ويحويه .

عني أن إسحق كان يترك لسمع بدل حتى لقد روى أنه حماد  
قال . عنت بذل يوماً بين يدي أبي :

إن تربي نازل البس فلعل الهم والحزن  
كان ما أحشى بواحدني ليه والله لم يكن  
فترك أبي والله طرباً شديداً . . .

وكانت بدل عزيزة ، كريمة النفس ، وفيه لما صيها وكرامتها  
فلم تقل أن تقرر بكاء القواد ومعهم الذين تقدموا إلى خطبتها .  
وكانت محتفظة بكل ما للفتان العالم من داية وقدر . وحسبت  
أن تشير في علي بن هشام على سمو مكانته عاصفة يعني مرحباً  
بهذه الآيات :

تعبرت بعدى والرمال معبر  
وحسب نهمي والموتك تحيس  
وأظهرت لي شجراً وأخفيت بعصه  
وقربت وعداً واللسان عدس  
وما شجاني أنني يوم ردتكم  
حسرت وأعدائي إياك حوس

وفي دوى ما يستدل به الفقى  
على "تعد من أحيائه ويقبس  
كفرت بدين الحب إن رت يادكم  
وذلك يمين ما علمت عموس  
فب دهب تقى عبيكم تشوقاً  
فتد دهب لعلشتين بعوس  
لقد كانت هذه قصة مشال والسحاء . بين مشال وبين  
والوف . وتركت من صفتها حياً تريحياً . دا ذهب لجانها  
من كرج .

## عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِي

كثيرون من المعنين والمنعيبين تقبوا من العاصي ترثا انحدرت  
به الدماء من آباء وأمهات ودوى قرين ، وقد لاحظنا ذلك كثيراً  
في معاصرينا ، وهما نحن نعدده في « عُنَيْبَة » بنت المهدي ، وهما  
مكونه المصيه ، جارية أم ولد ، وأهلها كانت في شمسيتها أنصر  
حواري المدينة وجهاً وأسمجح منضراً . وقد اشتراها المهدي في  
حياة أبيه بمائة ألف درهم ، ولقد وهبها من قلبه أكثر من هذا المثل ،  
وشغف بها ، وغلبت على نفسه حتى اشتعلت الغيرة في قلب الحيرران  
فراحت تقول : ما ملك المهدي امرأة أعظم على منها ، وقد أخفى  
المهدي أمرها حتى وفاة المنصور فولدت له « عُنَيْبَة » .

وقد نشأت « عُنَيْبَة » أميرة تستقبل خلافة بعد خلافة ، من خلافة  
الآب والجد إلى خلافة الأخ وابن الأخ . فتحت رهرة يابسة مدلية  
بين مقاصير الذهب والفضة وسط الحرير والديباج . وثققت  
بما هو جدير بأمثالها من نيرات الخلافة والملك تقول لشعر نخيل ،  
وتصوع لحماً أجمل منه ، وتؤديه بأعذب صوت وأبرع أداء . ولها  
إلى جانب ذلك ملاحظة طبع وإيناس روح وجمال دعابة . وكانت

لسعة حينها أول من اتخذت العصائب المكللة بالجوهر لنسر بها  
حينها . وقد تأثقت في ذلك إلى حد قلدها فيه كثيرات غيرها .

وقد جمعت «عبي» بين شخصيه لفنانة البارعة وصفات المنعبدة  
المصبية . ثم تكاد تنال نصيبها من العناء حتى تنصرف إلى تلاوة  
القرآن والصلاة وقراءة الكتب . وإنك لتعجب إذا علمت أن  
هذه الموعظة الخياله لقصيرة قد صدرت عن هذه الموسيقارة  
الشاعرة المبهجة حبيب قالت : « ما حرّم الله شيئاً إلا وقد جعل  
منه عوصاً ، فبأى شيء يحتج عاصيه والمذنب لحرّمته . وكان إيمانها  
نظرة تأنيهاً تنظف بها الاعتزاز والاحترام بقول : « لا غفر  
الله لي فاحشه ارتكبتها قط » .

والعلماء من شعرها ما قد يخالف ذلك ، إلا أن أشعارها  
ذلك لم تكن إلا صرخاً من عبث الشعراء . وقد نجد في ألقام  
وأبيات عن الشهوات وصفاً للخمر يعجز عن مثله النشأوي  
والإيمان . وكما قالت هي عن نفسها . « ولا أقول في شعري  
إلا عثاً » .

وقد أضفنا على الكبير من أبناء أخيها إبراهيم ومكانته التي  
سأى بها إسحق وأبنا إبراهيم ، وما كان له من براعة في الخلق  
والابتداء وإبراءه وتعماده حتى كاد يصبح مدرسة مستقلة ،  
وهنا نحن أولاء نرى المثيرين يتقدمون عليه على أخيها فيقولون :

• ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم  
ابن المهدي وأخته عليّة ، وكانت تقدم عليه ، .

وإنما كانت غلبة إبراهيم عليها في الشهرة لأنه أكثر طمراً في  
المجالس والمناظرات ، وهو يستطيع التنقل في حرية وانطلاق  
بينما هي محبسة لا تلي إلا حين يطلب إليها الخيفة ، وهي كثيرة  
التعمد ، غنية عن الشهرة والديوع ، وليست بحاجة إلى أن يسمها  
الاس أو يعرفوا عنها تلك المكاة في العناء .

ولها شعر اتحلّت فيه اسم وطل ، واتخذته موضعاً لعزلها .  
من هو طل هذا ؟ ... لست أرى إلا أن يكون الاسم صرماً  
من رفاهيه هذه الشاعرة . فهي تتلاعب بها الاسم ، ونصحته  
تغير فيه ما شئت . وهو اسم مكون من حرفين لا يكلف  
كثير عناء في النطق به مع ما فيه من موسيقى النطق ... فلم يكن  
وطل ، هذا سوى واحد من ألوف الأسماء التي امتلأت بها دواوين  
الشعراء قديماً وحديثاً ، كُتبت سعاد وزينب وسبي وغيرهن عن  
استهل الشعراء بهن القصائد وعتمروا بأسمائهن الدواوين  
والعلاقات !

ومن قول عليّة ، في طم المزعوم وقد صحفت اسمه في  
لبت الأولى :

أيا سروة البستان طال تشوقى  
 فهل لى إلى و ظل • لى لك سبيل  
 متى يلقى من ليس يقضى حروجه  
 وليس لمن يهوى ليه دحول  
 عسى الله أن نزاح من كربة ما  
 يلقى اعتاطا حة وحيس  
 ومنه أيضاً •

سلم على ذلك معروى الأفيد الحسن الدلال  
 سلم عليه وقف به يد غنى • الباب الرحال  
 حيث حصى صاحبها وسكن في ظل الحال  
 وسفت منى غاية لم أدر فيها ما احتيال  
 وهذه مؤتمر موسى بن يعقوب احتج به بحضرة الخليفة المعتصم  
 وقد ألق من أكار المعين أمثال بخارى وعنويه ومحمد بن الحرث  
 وعقيد ، فتعنى عقيد •

يام عذالى ولم أتم واشتق الوشون من سقى  
 وإذا ما قت بى أتم شك من أهواه فى ألى  
 فطرب المعتصم لشعر رقيق وعناء أرق • فقال لمن الشعر  
 والعناء ؟ وحق له أن يسأل • فسكتوا ولم يجدوا سهلاً عليهم أن  
 ينسبوه إلى عمة أبيه • فسرع محمد بن اسماعيل بن موسى المهدي

وقال إنه لعينة . ثم ما ست أن أدرك خطاه حيث أسرع إلى إظهار  
ما حاولوا إخفاءه وعم به عالمون . ولكن الخليفة يتر عليه الخطب  
وقال له : لا ترع يا محمد فإن نصيبك فيها مثل نصيبي .

ولعل فصله عليه . على الفس وأنه كان من ناحية القسمة التي  
سمت إليها أحدها وعلا فيها اقتدارها . ولكن شيئاً أحدى من ذلك  
كله على الموسيقى وأعلامها هو أن . عليه . أصعبت من مكانتها على  
هذه العشير . واسبغت عليها من حلال قدرها أكثر مما أسبغت  
من جمال اقتدارها . فهذا هو البيت . يغني حجاباً بديعاً من خفيف  
الزمل في حضرة المعتصم فيقسم أحد أقطاب الفس من شهدوا ذلك  
المجلس . فيسأله المعتصم عن بواعث إيسامه ومصدر تعجبه . فيجيب  
أن سببه هو احتياج السرف من ثلاث جهات على هذا الشعر :  
في قائله وملحنه ومستمنعه . أما قائله فالشيد وأما ملحنه فعلى  
بنت المهدي وأما مستمنعه فانت يا أمير المؤمنين . ولم يكن النصح  
في جملة سوى هذين البيتين .

يا بنت المنزل بالبرق      وربة السلطان والملك  
نخرجي بالله من قتنا      لسا من الديلم والترك

ونحن لا نستطيع أن نحاول مع هذين البيتين فيما يكون بهما  
من جمال وروعة لأننا لا نسم كثيراً بأحسيس ذلك العصر نحو  
الترك والديلم . وإنما يعنينا هذا التوافق العجيب والاستجمام الذي

حري به لند صدقة في حظ هذين البيتين ورفع مقامهما قليلاً  
وسحبنا وساعاً إلى أرفع أوج وأسمى منزله  
وهو من ناحية أخرى يصع أيدينا على المستوى الذي ارتفعت  
إليه الموسيقى في ذلك "عصر الراعي" وثلاث أسئلة التي هي قمة مجد  
العبودية والإسلام في عصورها المتعاقبة.

نعود إلى أمر إسحق الموصلي وحياته الجدلية الصاحبة  
من المصير وشبهه معهم . تمتد قبده أنه يتضح أصحاب الغناء  
بباعتهم وحول التتويج بهم أو لنقص من شأنهم حين يتهمهم  
بالحرث أو التبريد في مروي يابهم عن أبيه أو غير أبيه . ولكنه  
الآن تصدده لول حبيب به ق منسقة من أو ان الادعاء والاشغال  
تدعى لهما لعلها بحسرة "سمن" . معات بالخليفة ذكره  
إلى أنه قد اسمع به من عمه قبل وفاتها وسأل إسحق عن ذلك  
وتبر في الحزن أن قد أسقط في به فراح يتحن الحزن وأنه  
هو الذي صمعه لها أيام "الرصيد" . وحري في ذلك على قصص  
لا يستقيم أوله مع آخره في منطق التاريخ ولوقائع . فقد ادعى  
أنه عند ما كان يسير بها المحسن لياكر به الرشيد فنقته رس  
عنه . عن "الطريق وسنة" عليه . باديء دي بدء عن الملح  
الذي وضعه وأنها تردد سماعه وإجازته . ثم راحت تساو به على  
شأنه بعد أن تعينه وأحدث أدائه ومنحته عشرين ألف درهم

وعشرين ثوباً مضاعفة ، ومدة ، وبماذا ؟ . . . باقتل إن هو أظهر  
أنه صاحبه ، إذ أصبح هذا المحر منذ اليوم من تأليفها ومن صناعتها .  
ثم يذكر أنه قبل ذلك على مضض وانظر بها وبالحس حتى قضت  
نحبها . وما كان هذا القصص بما فيه من ادعاء طاهر وتكلف واضح  
لتحبي وقائمه على مثل المأمون في حصافته ودكانه ودقه فأب  
إسحق على إفشاء سر ونقص عهد والحياه في شيء تسلم ثمه  
لوصحت القصة .

وليسمح لنا إسحق ، غير محجود النض ، أن نسمعه من  
خلال سجع القرون والأحقاب أن المروء قد حجت من قصبة  
أحف فيها بحق ، عليه ، في وقت لانتشع فيه الدفاع عن نفسها  
ولا فها . وعلى التاريخ أن يحتفظ بالحق لعليه ماذام المدعى قد قعد  
عن التصريح والإعلان عما يعتقد في حياتها .

أما اليتان المتنازع على ملكية لحنهما في :

سقيا لأرض إذا مامت نبى بعد الهدوء بها قرع النواقيس  
كان سوسنها في كل شارقة على الميادين أذئاب الطواويس  
ولقد كانت ، عليه ، في جنة وارفه الخلال من غنائها العذب ،  
وبقدر ما كانت أحت لإبراهيم في السب فلقد كانت شقيقته الفنية  
التي تستمرى معه ذلك العذاء الشهى من معاني الشعر الملحن . فإذا  
فاضت كاسها الروية سقت من رحيقها عشيرتها وأسرتها ، وقدمت

كرها مع الطعام والشراب ألحقتها بمحولة في أكواب من حناجر  
حارها الحنان ، كما صنعت ذلك في مجلس صم أخويها الرشيد  
المصور حتى إذا سمعا وضرب كنت إليهما في رقة تحيما  
وتقول لهما :

قد صنعت بسببى أحكما هذا من يوم ، والقيته على  
الحواري واصطبحت فبعت لكاه وبعثت من شرقي إليكما ومن  
قمانى وأحدى حواري لعنكما . هذا كما الله وسركا وأطاب عشكما  
وعيشى لكاه .

ولعب وهي باره رأسها ، كرمه ندها وبقيها . كانت أغزر  
ر . وندى كرمها ، ونوى عشها ، وأمل معي . حين دأت أم  
جعفر روح الرشيد وهي والهة حيرى سارفة الليل ، يوم تمت  
حاربه . استنثت تقب الرشيد وشعلت منه نوماسى فيه كل  
شبه ساهم . كانت عاية في أحمال ودعه في الكمال ، وكان من  
حولها حشد من الخواري . ورد ذلك استباحت أم جعفر لعلية  
فكانت حير مواس لها في محنتها النفسية وقالت في نوحه وحزم  
وثقة بمقدرها . دلايولتك هذا فوالله لأردنه إليك . ثم صنعت  
شعرا ، وصاغت لشعر لحما ، ووصعت له منها حاصا من الأداء  
لم ير مثله الرشيد ولم يسمع بمثله الخفاء في قصور دمشق  
ولا لعداد . جمعت حواريها وجواري أم جعفر وبقية حواري

القصص من المعانيات ، في أحسن أحوالها ، وبهي الحلي وأتم الخواهر  
وأبداع المداخر . وما هي إلا ساعة حتى فوجئ الخليفة بعد صلاة  
العصر بموكب لم يعرفه ومشهد لم يألفه ... عدد لا يحصى من الجوارى  
المعانيات بتألفه وفي ظلماته ، عليه ، من جانب واحد ، أم جعفر ،  
من جانب آخر يردد جميعاً في صوت واحد من شعر ، عليه ،  
ونحيها :

منفصل عني وما قلبي عنه منفصل  
يا قاطعي السبل متى توب بعد أن فصل  
فلك الغرب عن الرشيد ، وأنت كالمعتذر إلى أم جعفر  
وعليه ، وأنت بكل حين هذا "يوم يثر العباد" . وكأنه شاء أن  
يلدفع ثمة لهذا السرور ومن سبي بمنظر الخود والكرام وحشة  
أم جعفر .

وأخيرة في هذا ، عنه ، ما انتهى برضا إلى ما يفوق الهاية ،  
وهي فيه مؤلفة الشعر ، وواسعة المدح ، ومعينة لفرقه ، ورئيسها .  
وكان هذه الساعات تدل على أن ، عليه ، قصت أكثر حياتها  
والتي تمتع روحها وعذائب قلبها . تديعه في وسطها الحي "بالمنعة  
والبهجة" . وأما ما شجع على رسالتها تلك وتنسيق حياتها فيها أنها  
لم تكن المولودة اليتيمة في عقد من الحرز بل كانت حوارة بين  
خواهر وفنانة بين مائين . فلا بد عريب المغنية تروى لنا هذه القصة

فتقننا بالخيال حُسنه سعيد نرى فيه صورة مصعده هي إحدى  
ألوف الصور من الخواص التي كان يحيط بها . قالت عريب :  
« أحسن يوم رأيته وأطيبه ، يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن  
المهدي عند أخته عليه ( وهي تعني ) وأخوها يعقوب يرمر عليها :

### تجيب فإن الحب داعية الحب

وكم من لعب لدار مستوحب القرب

وغنى إبراهيم في صنعه ورمر عليه يعقوب :

يا واحد الحب متى متى إذ كنت

نفسى بجنبك إلا الهم والحزن

لم ينسينك سرور لا ولا حزن

وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن

ولا حلا منك قلبي لا ولا حدى

كلى نكدك مشغول ومرتهن

نور تولد من شمس ومن قمر

حتى تكامل منه الروح والبدن

فما سمعت مثل ما سمعته منهما قط . وأعلم أنى لن أسمع مثله أبداً .

ولقد ابتدعت « عليه » أخا « تفوق الحصر والعُد » وما دامت

هي فتاة نفسها وقصر ما فليس يعنىها في شئ أن يحفظ الناس عنها

أو يعدوا مصنفاتها . وما كانت « عليه » كأولئك المحترفات اللاتي

يعشين المجالس فيحصد عنى ما أشقن وما ألين . ولكنها كانت  
تلهن خشف الحجاب المصور دون أن تعي بما يروى عنها . ولما  
فحن لا نشك في أن كثرة من صنعتها قد صاعت . وذلك  
لم يحل دون حدث عن عدد الأصوات التي نسبت إليها . وقد  
تجاوز في شئها عرب خشف الواحشية ودار الحوار بينهما  
حتى فذرا ما صغته من اللحن بديف وسبعين صوتاً . وأخيراً  
نرى خشف تطالما بروية صوت جديد عنها . ولكن أين ومتى ؟  
في عالم الأحلام والرياء بعد موت ، عليه ، لا في عالم اليقظة  
في حياتها . وهذه هي الآيات التي نسب إليها شعرها وتلحينها :

بُنِيَّ الحُبِّ عَى الحور قدر أصف المعشوق فيه لسمع  
ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف المحجج  
وقليل الحب صرماً حالماً لك خير من كثير قد مزج

وحسب بها شرفاً أن يحاكي ويقلد بعد وفاتها . وهذا من ناحية  
البحث العلمى يدلنا على أن ، عليه ، كانت في فنها ذات طابع خاص  
وأسلوب معين وطريقة محدودة واضحة يمكن اتباعها والسير عليها  
وحكاية صداها والقرع على وترها .

على أن هذه الآيات وسواها من آيات أحرلم تكن روايتها  
في عالم الأحلام والأوهام ، على ما روته خشف ، بل في عالم اليقظة وفي  
دنيا الحياة . ولعل خشف لم تعلم أن الرشيد استيقظ يومه على غير

عادته وقصد منزل إبراهيم الموصلى قرب السحر وستمع عنده في  
حريتين غته إحداهم هذه الآيات التي مطلعها وبني الحب .  
فدله الرشيد لم يشعر وبعده فتاب سنى . فان ومن سلك ؟  
فأحدث على استحياء بها ، عليه ، بت المهدى . وسمع من الثانية لحناً  
آخر في آيات ، سحرها وعماؤها لعلية يصا . وأسرع الرشيد إلى  
أخيه واسعاد منها هذه الأخوان فعدتها بعد تامل وتحر وإسكار .  
فقال لها يا سدى أعـ كـ هـ ا ولا أعلم ؟

وإذن فقد بين في حلاء أن نصبة أحدهم بكن متدولة  
ولا يدري بها قرب نفس إليها ، وأن لها من الأخوان أكثر مما  
عد رواه لها . كما انصح أنها كانت تدعى إبراهيم الموصلى بدائع  
الانكار منه تؤمها عن طريق هؤلاء البعثات المتلفة من حوارها .  
وكان من أشعارها وألحانها التي سمعها الرشيد وحببها قولها :

تحب في الحب داعية الحب

وكما من بعيد النار مسوح القرب

بصر من حدث أن حاهور

بعد سالماً ورجح لبحار من الحب

إذا لم يكن في الحب سحر ولا رصا

فإن حلاوات رسائل والكتب

وقولها :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه

أفقس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح لناس في عبي وأسمحه

إذا نظرت فلم أبصرك في لناس

وما يزيد الأدب الساقطة قوة وبرها على فقدان الكثير من

أحسانهم أن الرشيد أسمع بعض المقربين إليه عمامها من وراء

الابواب . ثم قال له بعد أن ملك لمرتب عنه إليها ، علته ، ست

الاهلي وواته أش لفتت بين يدي أحد باسمها وبلغني لاقتلك

وهل تبي دليلا أوضح وأصدق على غزارة مادتها وسعة

استدراكها وعظيم مقدرتها وسرعة تحريكها من أنها راف استمر

الرجاء وترجع الناحية ابتد عا فتأني فيهما بالمعجزة 11

هذه هي ، عليه ، وقد رارها نحوها الرشيد وطلب إليها الغناء .

فقال له ليس ساعى ولكن شعري وعاني عما أكرمك به بديهة

وارتجالا . وراحت تغني هذه الأبيات :

تفديك أحتك قد حبوت بنعمة

لست بعد لها الرماح عديلا

إلا الخنود وذاك فربك سيدي

لا ران قربك والبقاء طويلا

وحدثت ربي في إجابة دعوى

فرايت حمدي عند ذلك قليلا

وقد عاشت معه في صور حجابها على معبود عصرها ،  
معنيها عارفة شاعرة متكررة معصية متعصية . وكانما قد عاشت ناسكة  
في صومعة ، فيها وحيدة عبادتها ، فقد صامت وحيث ورتلت  
القرآن ، ثم هالت شعر الرقيق سهل المعتنع ، وأرسلت الغناء الذي  
إن لم نسمعه فقد سمعنا عنه ما كفى .

وقضت عليه ، سه عشر ومائتين من الهجرة ( ٨٢٥ م ) ، ولم  
تجاوز احسين ربيعاً . . . حياة كتبها صبا وشباب ، عاصرت فيها  
الرشد ، وفاضت معه الغناء ودواعيه حزناً عليه . ثم ألح عليها  
الأمير في خلافته فتكلمت . وبعد أن قتل الأمين وانتصر المأمون  
عادت يُقصد إلى إتمام على قلبه حتى ماتت بين يديه وصلى عليها بنفسه .  
وفصلاً عن مكانها العناية الرفيعة فأنت ترى أن ما مرّ بك  
من شعره عليه ، يدل على أصالتها في الأدب وفدرتها في البيان .  
ولقد كانت حديّة أن تذكر بين أعلام الشعراء كما ذكرت بين  
نجوم العلماء .

## دنانير

اشتهر هذا الاسم في تاريخ الشام ، و زادته شهرة ولعابا أنه مر  
بالأمم المصرية في لون من لعب المسرحى وكان من حق دنانير  
علينا في عصر الموسيقى والمسرح أن يذكرها وقد استعير اسمها  
وشخصيتها في هذا الجيل حتى أصبح لها وجود معنوى يفيد منه  
نجوم النهضة الموسيقية الحاصره .

ودنانير هي المعنيه المبدعه ، والمغربة المزلفة ، والمعنه لمهمة  
والحافضة الراوية ، ولشاعرة المثقفة ، وأخير الآية الوفية . وهي  
الحامعة في مزاياها بين جمال وجه وحسن طرفها وكان أدبها  
وهذه صفات وحقائق امتازت بها دنانير فأحدثها قصور ابورزاه  
ومحالس الأمراء ، وكادت تلعب قلب الرشيد لعب سلامه وحجابه  
بقلب يزيد لولا ما بين العهدين من فوارق وطروى وما بين  
الحيفتين من اختلاف في أسلوب الحياة .

كانت دنانير مولاة لرجل بالمدينة . فاشتراها منه يحيى بن خالد  
البرمكي وما لبث أن أعنتها . وقد تنققت في ثقافتها الفية بين كبار  
أعلام الفن العائى في العصر العباسى فتققت أصول الغناء عن أستاذتها

• بدن ، وتتمت فطاحل المعين كبراهيم الموصلی وابنه إسحق  
وابن جامع وفلیح . ودامت تحب لغزف إحداثها لغناه ، فقد تمت  
فی معرف بالعود عی . لزل ، وهو من هو فی البراعه ولا تكار  
وخلق الأنعام . ونهى بها الأمر إلى أن يساحل علان من أعلام  
البناء فی ذك لعصر هم يحي المنكى وابن جامع فعبها فی كبر  
من . نحین وتحرر فصب السبق فی ابدن .

ونعت دهر حاً من أحبا الساحرة نعت به . وكبر  
ما يعجب الفنان بأفاره ، وقد يكون محق ، وقد يكون ذلك عروا  
مه نسه أو شوره لم يسعى . ونعت دهر من لونها يحي حبر  
هنا المنح حتى أن يكون قد نعت فی شبه إحداثها وقال  
لا ابريم لمه صلی استادهها إن سبت دنایر ده نعت صوماً  
ونعت به نعت لها لا يسد بخاراك حتى تعرضيه على شعث  
ومن إياها أن تعرضه عليك . فقصي ابرهيم إياها وإذا السترة قد  
نصبت فسد ماها من وراء الصاره فردد . نعت وقالت : نعت  
أعرض عذب صور . قد نعت لا شب إياها حرد . ومن سمعت  
الورير تمون . إن ما من يشبه نعتهم يعجبهم منه ما لا يعجب  
غيرهم . وقد حدثت على لصوت أن يكون كبرك . فقال ابراهيم  
هات . فحارب عود ونعت . لصوت ونجب ابرهيم عبة العجب  
واستحبه الخرب واستعده حرد . فيه موصد يصححه ويعتبره عينا

لتأخذه عنه فما استأجر إلى بيت سيدنا فقال ذا عبيدك الثلاثة وعادته  
فيذا هو كأنه المصطفى. ففعل ما أوصت يا سيدي وأصدت ثم حرج  
فلقبه يحيى بن حماد فقال كيف رأيت صفة بيتك ذاك قال إبراهيم  
أعز الله الورير والله ما يحسن كثير من حماد المعين مثل هذه  
الصفة. ولما قلت له أعبديه وأعدته مرات كل ديت أريد رعايتها  
لأحسب أمي مدحلاً يؤجر عني ويسبب إن شاء الله ما وجدته.  
فقال له يحيى والله سررتني وسأسرث. ووجه إليه مال عظيم.

وهذه لقصة على بساطتها تكشف عن تقية العلما التي بلغتها  
دنائير. وقد استكثرها عليها الورير وحسدها عليها الغسان،  
ثم أصبح كل منهما شاهداً سوعاً. يتبادلان الحكما والثناء عليها.  
وحسبها أن إبراهيم الموصلى أمير المعين في زمانه بيع من إعجابه  
بلحنها أن حاول وضع بعض الكسوة وأصباغه عليه ليرده إليها  
منسوبة إليه ولو على سبيل أنه حس فيه وأصلح منه. ولكنه  
ما استناع إلى ذلك سيداً. وما صنع سوى أن راد انحن قيعه  
والمحسن قدراً.

وكانت دنائير تسجل في ذاكرتها إساح إبراهيم الموصلى وتعيد  
ما تسمعه منه فتحكيه في أمانة وتؤديه في صدق وبراعة كأنه تكرار  
لصوت صاحبه. حتى قال إبراهيم ليحيى ابرمكى. متى فقدتني  
ودنائير باقية فما فقدتني.

وغنت بحضرة الرشيد فسحرة بعثها . وكان لما استولى عليه  
من فنونها البارعة ورقة طيفها وبدع محاسنها أن زاد كلفاً بزيارة  
مولايها وبلغ في الإكثار من هذه الزيارة والإفراط في الاستماع  
إلى دنانير حتى شكته زيدة إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك .

وبلغ من مكانة دنانير عند مولايها يحيى أن كان يخرج عنها  
كندارة الصوم في شهر رمضان عن كل يوم ألف دينار . وهذه  
المسألة في "تندية داليل على ما تان لها من القيمة عده حيث بلغ  
الثمنه عليها في شهر واحد ثلاثين ألف دينار وهو من الكثرة بما  
لا يعرف له نظير ولم تسمع به لغير دنانير . ولم يكن يوزنها  
في رمضان عن استهتر أو تهاون إنما سببه مرض معوى أصيبت  
به فجعلها لا تصر عن تناول "طعام مدة طويلة .

وعلى الرغم من أن يحيى لم يكتف بها عند لازمت البرامكة  
وغنت ليالي أفراسهم ، فكانت متعة أسما معهم وأرواحهم وأنصارهم ،  
حتى سلت إليهم فمقتب بدنانير لبرمكية . وطلت فيهم حتى شهدت  
سكتهم "تاريخه المشهوره التي نكبتهم بها الرشيد .

وبعد هذه الكارثة دعاها الرشيد وأمرها بالعناء فأبت وقالت  
يا أمير المؤمنين إني آليت ألا أغنى بعد سيدي أبداً ، فعصب  
الرشيد وأمر بصنعها فصفت ، وأمرت بالوقوف ، وأكرهت على  
أن تمسك بالعود لما كادت تفعل حتى غلب على غنائها البكاء وهي توح :

يا دار سلى بنارح تسمد بين نسيه ومسقط ابد  
لما رأيت الديار قد درست نيت أن النعيم لم يعد  
ويظهر أن نعمة الوفاء صادرة من قبها الخرج ، في إياها ،  
ثم في غناها ، أثارت في قلب الرشيد عطفاً عليها وأمر بأن تترك  
وشأنها ، فما جفت لها دمع حتى حقت بالبرامكة .  
وقد هام بها لشعاع وتغنى بها منهم أبو حفص الشطرنجي حيث  
يقول في شعر مطلع

هدى دنائير نسياني فأذكرها وكيف تنسى محباً ليس ينساها  
ولم يكن شأن د. بير موقوفا على الطرب والغناء من حيث  
الآداء بل كان ذلك شأنها أيضاً في التأليف فقد صنف كتاباً  
في الإعاقى د. على مكانتها العلمية وعلى سمو قدرها الفني فهي  
لم تكتف بمثل ما صنعه نظراؤها من التبعي أو العزف والتطريب  
بل سمت إلى مقام التأليف فجعلت خلاصة مدرسة فية كبيرة كان  
أسانذتها أعلام لعصر كله ، وإن كنا نأسف لصياع هذا الأثر  
القيم من حوزة التاريخ .

ولعل الذي سماها دنائير قد أصاب التفاؤل وبلغ فيه المنتهى .  
فقد كانت دنائير ثروة وكثراً ورأس مال لا من الذهب الداهب  
القاني بل من الفن الرفيع الباقي .

## ميت الهشامية

حمة متأقة بين نحوه عصر بني لساس ، ابنسمت قصتها في  
مطلع شر الحيد ، وما أنت بك لسمه تعبر حتى صارت صحا  
عالياً وسعادة مشرقه ونحداً عريصاً وغنى وثرأً ولعي . ثم تجمعت  
لها الأهدار فعمرها شقاء بعد السعادة ، ولازمها الحمة بقية حياتها .  
واسكنها بحمة الأوفياء من يعيشون من فضيلة حنط العبد بما قد  
يسرى عنهم الدمع المسكوب والشحن الآليم .

كاتب متبم لمسانة بنت عبد الله بن اسماعيل المواكبي مولى  
عرب ، فاشراها عني بن هشام منها بعشرين ألف درهم — وإليه  
نسبت فقير افنديه — وكانت في سن مبكرة . وما كان لعل أن  
يرتفع بقيمه حاية في حوادثها سها إلى هدا القدر من المال  
لولا ما كانت شفع عنه محايها من دلائل البوع والعبريه .  
وكان عني عامن المأمون على أدريجان وما يتاحها . وعلم المأمون  
أنه يسير في الرعيه سير المعتصب الظالم من أخذ الأموال وقتله  
الرجال وأمر بقتله .

وكانت منتمية لحظي حواري على عنده ، وأحبهم إليه ،  
وأثرهن نديه وهي أم ولده حماد .

أما هي فكانت من موهبات لبصرة ، وبها نشأت وتعلمت  
فنون الأدب والفن . شملت لإسحق الموصلي وأبيه إبراهيم  
وص في طفتها من المعين . وكانت أستاذتها لدائمة بذلك ،  
المعينة ، تخرجت في لغتها عن يدها واعتمدت على ما حفظته عندها .  
كما أفادت كثيراً من علماء المعين الذين كانوا يعتمدون على مولاهما  
عبي بن هشام ، وحدثت عنهم كما مسكر حبيب من ساحر العرف  
وطريف الأعاني

ولم تكن منتمية بصفة العامة فحسب . بل تمت إلى ديث براعة  
الحسن والأدب والذات والذات أذكر عبد الله بن عباس  
الريعي ، وكان من حواري المعين ، وما سئل من أحسن من  
أدركت صفة ؟ قال : سميت عويبة منتمية ثم أنزلت بها  
عجب السائل من تقديمه منتمية على نفسه قال : الحق الحق أبيع ،  
وما أحسن أن أصنع كما صنعت منتمية في الحن

ولا رن حشري طلعها لم حمها

إلى بلد نام قليل الأصادق

وإذا كان من القضايا المسلم بها أن كثرة من أهل هذه الصناعة  
خاصة كثيرو التحامل بعضهم على بعض ، شديدو النفاسة على

ما يصنعون من أصوات وألحان أدركنا ما لشهادة عبد الله  
ابن عباس من قيمة وتقدير .

أهدى إلى عبي بن هشام برْدُون<sup>(١)</sup> أشبه قرطاسي<sup>(٢)</sup> . وكان  
في النهاية من الحسن والتمهات . وكان عبي به معجبا وإسحق  
الموصلى يرغب فيه رغبة شديدة . وعرض لعبي بطلبه مراراً  
ثم رى من أن يهديه له . فسار إسحق إلى عبي يوماً بعقب صنعة  
من صوفاً ديدني صر غاشقاً مبلت . فأطرب إسحق إطاراً  
شبيهاً . وحسن يسرده مرده وتستوفيه . ليريد في إطاره  
إسحق وهو يصغي له . ويتنعم به حتى صبح به . ثم قال لعبي .  
ما من بردون أشبه . قال : عبي ما عهدت من حسنه وفراسته  
قال : فاحذر الآن مني حلة من ثياب : وما أن طبت لي نفساً به  
وحسن عليه . وما أن أبيت وأدعي والله هذا الصوت لي وقد  
أحدثه . أفراكَ تقو . به لميم وأقول إنه لي ويؤخذ قولك ويترك  
قولي : قال : لا والله ما أظن هذا ولا أراه . يا غلام قُذِّ البردون  
إلى من أبي محمد بسرجه ولحامه . لا بارك الله له فيه .

ومن هذه الدعاية لتحمل في هزلها الجد كل الجد ، وتنطوي  
على شهادة من إسحق الموصلى ومكانته من الموسيقى عموماً وفنونها

(١) بردون . (٢) القرطاسي : الأبيض الذي لا يعالط بياضه شية .

مكانته ، واعتراف منه وهو علم العام في العصر العباسي لم يتم .  
فما كان له أن يقبل نسبة اللحن إليه وادعائه إياه لنفسه لمجرد رعيته  
في الرذون . ولو أنه كان حياً دون منزلته في هذا الفن لما قبل  
أن يدعيه . بل لقد وجد فيه الإيحاء خفة ووعاء ، ورأى في نسبته  
إليه تشريفاً ، وأن مقيم بلغت من الصوح ما يصح معه أن يسب  
فنها إليه . ولولا ذلك ما قبل لنفسه أن يسب اللحن إليه حتى ولو  
كان معه برادير بغداد جمعة .

ولا أدل على اعتراف إسحق بقدر هذه الثقة من قوله لها  
عندما سمع هذا الصوت الذي تقدم : أنت أن ، وأنا من ؟ يريد  
أنها قد بلغت منزلته وساوته .  
أرأيت مكانة أسمى من هذه المكانة : ومقاماً فيها يُستأول إليه  
كهذا المقام ؟

وهذا إبراهيم المهدي سمعها تعي في مجلس المعتصم :

لزينب طيف تعتريني طوارقه

هدواً إذا ما النجم لاحت لواحقه

لخاول استعادته ، على نحو ما صنع إسحق من قبل ، وكانت هي  
أحرص على نفسها من أن تلدع من جحر مرتين فأت . ولكن  
إبراهيم ما زال يخالس منها الفرصة حتى سمعها وهي في منظر لها  
مشرقة على الطريق تعي هذا الصوت على جوارى على بن هشام .

مقدم إلى المضرة وهو على دابته فتناول حتى أخذ لصوت . ثم  
صرب المضرة بمقرعته وقال قد أخذناه بلا حديدك .  
ولقد كان عني بن هشام كما بها لا يستطيع صبراً على مراقبها  
أو على ضول دلالها . وله في ذلك قصص تدل على عظيم تقديره  
لها وتعلقه بها .

من الخائف ما حدث له معب أنه كتبها يوماً فأحابه جواباً  
لم يرصه فدمعها بيده . فعصبت وهتت . وشاقت عن الخروج  
إليه . فكتب إليها :

فليت يدي بانت غداة سدتني إليك ولم ترجع بكف وساعد  
فإن يرجع الرحمن ما كان بيني فليست إلى يوم التلادي لعاند  
فصنعت فيه خواصرع القتب وأذهل اللب . وعنته فكان شفاء  
النفس وعده القلوب والحنس .

وعند عليه مره فمدي عنتها . وترصاها فلم ترض .  
فكتب إليها . الإدلال يدعو إلى الإملال . ورب هجر دعا إلى  
صر . وإيما شمي القلب قساً لتقبه . ولقد صدق الأحنف  
حيث يقول :

ما أراني إلا س هجر من ليس يراني أقوى على المحران  
قد حدا بي إلى الجفاء وفاني ما أضر الوفاء بالإنسان  
خرجت إليه من وقتها ورضيت .

وهنا نقف وقفة قصيرة أمام تلك البيئة التي عاشت بها فنانتنا  
الفاتنة، فهي بيئة البروة والحقم والنفود والتقصير والملك العريض.  
فلم لا تنطق بلسان كميتم لئلا هذه الجنة كلها عمقيرة وحمالا وتعمرها  
سحرا ودلالا ۱۱ وم لا تتحاو مع كل لون من ألوان تلك  
السعادة بالحن تنادعها وأعان تنكرها ۱۱ وهي أيضا بيئة ذكاء حارق  
وفطنة بالغة وفراصة عجبية. فنستمع إلى عليّ حيث يحدثنا فيقول:  
لما قدمت عليّ جدي من خراسان، قالت اعرض جواربك عليّ  
فعرضتهن عليها. ثم جلسن عليّ سمر وغننا ميم وأطالت جدي الخلوس  
فم أنسط إلى حوارى كما كنت أفس. فقلت هذين البيتين:

أبقى عليّ هذا وأنت قربه      وقد منع الروار بعض التكلم  
سلام عليكم لا سلام مودع      ولكن سلام من حبيب ميم  
وكتبتهما في رقعة ورميت بها إلى ميم فأحدثها. ونهضت إلى  
الصلاة... ثم عادت وقد صمعت فيه النحس المدي يعنى فيه اليوم.  
فغنت وطربت. فقلت جدي ما أرا ما إلا ثقسا عيكم ليوم.  
وأمرت الحوارى تحمل بحفتها. وأمرت بخواثر للحوارى،  
وساوت بينهن. وأمرت لميم بألف درهم. وهذا طرف من  
عنى، وفطنة من حديثه، وعبقريه من ميم.

وكانت ميم شديدة الوفاء لعلى بن هشام. وقد ظلت على  
وفائها له حتى بعد مماته. وصنعت فيه نوحا أذهل النوايح حتى

قالت « رَيْن » زعيمتهن . رضى الله عنك يا ميم . كست علماً في  
السرور وأنت علم في المصائب .

وقد مرت يوماً سوة وهى مستخفية بقصر على بن هشام  
بعد أن قتل ، فبارت بابه معلقاً لا أيس عليه ، وقد علاه  
الراب والعرة ، وضرحت في أميته المزابل ، وقفت عليه تعنى :

يا من لا لم تبلى أطلانه	حاشا لأطلائ أن تبلى
لم أبك أطلائ لكى	كبت عبثى فيك إدولى
قد كان لى فيك هوى مرة	غيبه الترب وما هلا
فصرت أبكى جاهداً فقد	عند ادكارى حيثما حلا
فاميش أولى ما بكاه متى	لا بد للمحرون أن ينسلى

بكيت حتى سقطت من قامتها . وحمل النسوة بإشدها ويقلن :  
الله الله فى نفسك وبك توحدين الآن . وبعد لآى ما ، حملت  
تعثرين امرأين حتى تجاوزت الموضع .

ودعيت ميم إلى مجلس المعتصم . وهى فى وقت محنتها ،  
فأنشدت شعراً حزناً فتشامم الحيفة ، وطلب أن تبدل غنائها ،  
فغنت على نحو غنائها الأول حتى ضجر بمكانها . ولم تستطع بعد  
المرّة الرابعة أن تعير نفسها الحزونة المكتنبة لتخلق شيئاً ليس فيها  
فقد الحيفة وفاءها . ولم يحشمها ما ليس فى طاقتها ، وأذن لها  
فى الخروج دون أن ينالها بسوء .

ومن العجب أن يرى هواية بعض الأزهار تتحل في عاقرة  
ذلك العصر وفاسه ، فبن كثيرين منهم كان لهم بألوان وأنواع خاصة  
من الزهر مبول وبنت ، كما تحدث بذلك القصائد التي وصفت لنا  
الكثير من هذه الزهور . ومن ذلك أن مقيم كانت مغرمة بزهر  
البنفسج . وقد وجدت فيه راحة تنب وهدوء النفس ، فكان  
لا يفرقها . ومن تتبع هذه البنفسج وجد لها عشاقاً من أرباب  
المواهب الفنية . كان نيك "زهرة صورة من أذواقهم التي تعيش  
في من هدوء البنفسج وعطره البديع .

وقد مات مقيم في عصر المعتصم . وأحدث فراغاً عظيماً  
في ذلك الحيز . ومات وإياها في وقت متقارب إبراهيم بن المهدي  
وأستاذتها بدس . ومن المنكاهات التي تطف حدة الشعور بحسارة  
ذلك العصر لهم تلك الطريقة التي يرويها المؤرخون :

لما مات مقيم وإبراهيم بن المهدي وبذل تقدمت إحدى  
جوارى المعتصم وقالت : يا سيدي ، أظن أن في الجنة عرساً  
فطلبوا هؤلاء إليه . فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره . فلما  
كان بعد أيام وقع حريق في حجرة هذه القائدة ، فاحترق كل  
ما تملكه . وسمع المعتصم الحيلة فقال ما هذا وأخبر عنه فدعا بها  
فقال : ما قصتك ؟ فبكت وقالت يا سيدي احترق كل ما أملكه .  
فقال لا تجزعي فإن هذا لم يحرق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس .

## فريدتان

بم تعود أن تضع في هذا الكتب ، وربما في غيره كذلك ،  
عنوان أو موضوعاً لعميلين اثنين معاً في إطار واحد . وإنما الجأنا  
إلى ذلك لأن دمع التشابه والالتباس في الأسماء ، فكثيراً ما يقع  
احص في تأليف هذه الأسماء وتشابه العناوين والألقاب . ودفع  
بنا إلى هذا شيء آخر هو أن كلتي "فريدتين" قد جمعتهما عصر واحد  
ومن واحد وقصر واحد . فقد ظهرت كل منهما في "العصر العباسي" .  
وم يكن اسمي وحّد بينهما لعصر وحده بل نفس الخالد ، والعناء  
"ساحر" ، وأنهما من حوارى الخلفاء . ونحن آخذون في الحديث  
عن هذين ارميين في الاسم و"العصر والصناعة والمكانة" .

ف"فريدة الأولى" ، التي ظهرت لتقدم الرمي باسم فريدة  
"تكرى" ، هي من المولدات اللاتي نشأن في الحجاز . وقد امارت  
بحل نصوت من مستهل حياتها . فصارَت إلى آل الربيع فطنوا  
إلى موهبتها لصوية واستعدادها للموسيقى معها . وأبها إلى من أنقش  
تعليمها وأكمل ثقافتها الفنية . وارتفع بها شأنها إلى الرامكة  
فصارَت إليهم وسكبت رحيق أعانيها في قصورهم . فما قتل جعفر

ونزلت بهم كارثة القضاء المحتوم لادت بالفرار وحاول الرشيد  
أن يستحضرها إلى قصره فأعياه الطلب . ثم صارت بعد ذلك إلى  
الأمين ، حتى إذا قتل تزوجت بعده مرتين . وقد أنجب وبدأ  
كان ثمرة الزوجية الأولى .

وكانت تتحير لعناؤها جيد الشعر ومبيح القايه . ومن ذلك  
غناؤها في قول جميل :

ألا أيها الوام ويحكمو هوما  
لسائلكم هن يقل الرجل الخب  
ألا رب ركب قد وقفت مثلهم  
عبيك وبولا أنت ما وقف الرك

\*\*\*

أما هريدة الأخرى ، أو الصغرى ، فلقد كانت أقدر الفريسة من  
وأطهرهما دماً ، وأبصرهما وحياً ، وأحسنهما صناعة . تعلمت ألوان  
العناء ومهرت فيها احتراعاً وابتكاراً . وحسبك من هذا أن يختار  
لها إسحق الموصلي صوتاً فيما كان يختاره للوائق من مائه صوت  
مشهورة . وإسحق حين يتحير فيما يتحير عن عبقرية وعلم وحيرة .  
وإن اختيار إسحق لحناً لهريدة لم يسع عنها بلعت مكانه فية  
جعلتها في صف متم المشامية التي فارت هي الأخرى من إسحق  
بمثل هذا الاختيار .



المتلفة . وكان حو غنائها يحقق ركناً من سعادته ويتكفل . وفر  
قسط من هوائه . وهي مع هذا العجم كله ، لم تنس زميتها وحسن  
في مدرسة الفن وفي بيت المربي . بين عمرو بن بابة غنى الواثق  
 يوماً هذا البيت :

قلت حلي فاقلي معذرتي ما كذا يحزى محباً من أحب  
فقال الواثق له تقدم إلى السرة فته على مريدة . ولقاء  
عليها . فقالت له . هو حلي أو حن . كيف ؟ فذكر عمرو أنها  
لم ترد هذا الإشكال اللفظي لدانته وإنما أوردته تذكر اسم صاحبته  
 . حن . وتساءل عنها في لباقة وحذر .

وهي بهذه القصة أطلعتنا على لون من أدب المياقة في عرف  
حياة القصور حيث لا ينبغي أن تسأل حارية عن زميتها في صراحة  
بمشهد من أمير المؤمنين .

وهي في ذات الوقت لا يعوتها الوفاء أبدى أدته عن طريق  
التلاعب اللفظي ، وهو نفس الدليل على حدة ذكائها ويقضة عقلها  
قال محمد بن الحرث وهو من الأسرة الموسيقية في بلاط الواثق :  
 . كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة إذا حضرت ركت  
إلى الدار . فإن نشط إلى السمر أقمت عنده وإن لم ينشط انصرفت .  
وكان رسمنا أن لا يحضر أحد منا إلا في يوم نوبته . فإني لبي منزلي  
في غير يوم نوبتي إذا رسل الخايقة قد همموا علي وقالوا لي احضر .  
فقلت ألخير ؟ قالوا خير . فمقت إن هذا يوم لم يحضرني فيه أمير

المؤمنين قط ولعلكم غلظتم . فقالوا الله المستعان لا تنطوّل وبادر  
 فقد أمرنا أن لا ندعك تستقر على الأرض . فداخلى فزع شديد ،  
 وحفت أن يكون ساع قد سمى بي . أو بية قد حدثت في رأى  
 أحيفه على . فتقدمت بما أردت . وركبت حتى واهيت امدار .  
 فدممت لأدخل على رسمى من حيث كنت أدخل فمعت . وأخذ  
 يبنى الخدم فأدخوني إلى ثمرات لا أعرفها فراداك في حرعى  
 ونمى . ثم لم يزل الخدم يسوسى من حصد إلى حدم حتى  
 أمصيت إلى دار مفروشة الصحن ملبسة الخيش بالوشى المسوح  
 بالذهب . ثم أمصيت إلى رواق أرضه وحطاه مسدة بمثل  
 سلك ، وإذا الوثائق في صدره على سرير مرصع ، خوهى . عليه  
 ثياب مسوحة بالذهب . وإلى جانبه فريدة جاريته عليها مثل  
 ثيابه وفي حجرها عود . فما رآنى قال حوّدت والله يا محمد ، إلينا  
 إليك فقلت لأرصد ثم قلت يا أمير المؤمنين حيراً . قال حيراً  
 ما ترى . أن ظلت والله ثلثاً يؤنسنا ثم أرأى أحق بك منك  
 فحيتى ، در فكل شيئ . وبادر إلى . فقلت قد والله يا سيدى  
 أكلت وسرّيت أيضاً . قال فاحسن . فحسنت . وقال هاتوا للمحمد  
 رطلا في فوح فاحصر إلى ذلك . واندفعت فريدة نعى :

أهدبك إحلالاً وما بك قدرة عى ونك من عين حبيبها  
 وما هجرتك النفس يميناً قلنت ولا أن قر منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر . وجعل أوثق يداها . وفي حلال ذلك  
 نعى صوت بعد صوت . وأغنى أن في حلال غنائها . ثم لنا  
 أحسن ما مر لأحد . فبذلك استأذنه رفع راحته صر بها صدر  
 فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى سرير إلى الأرض . ووقت  
 عودها . وحررت تعدو وتصبح . وقيت أن كلنروع الروح . ولم  
 أشك في أن عينه وقعت إلى وقد نظرت إليها وصررت إلى .  
 فأضرق ساعه إلى الأرض متجبراً وأطرفت أتوقع صر لعق .  
 فإني لكذلك إذ قال لي يا محمد . فوثب . فقال ويحك . أرايت  
 أغرب بما تبه علينا ! فقمت يأسدي الساعة والله تخرج روعي على  
 من أصابنا بالعين لعمرة الله . فما كان السب . ألبس ؟ قال لا والله  
 ولكن فكرت أن جعفر آ يقعد هذا المقعد . ويقعد معها كما هي  
 قاعدة معي . فلم أطلق الصبر . وحامرت ما أحرحتني إلى ما رأيت .  
 فسرني عني وقلت بل يقتل الله جعفرأ ويحيي أمير المؤمنين أبداً .  
 وقبت الأرض وقلت يا سيدي الله الله ارحمها ومرر بها . فأمر  
 بعض الخدم الوقوف من يحى بها . فلم يكن بأسرع من أن خرجت  
 وفي يدها عود . وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلما رآها  
 حذبتها وعانقها فيكت . وجعل هو يبكي . واندفعت أما في البكاء .  
 فقالت ما دني يا مولاي وسيدي . وبأي شيء استوجبت هذا ؟  
 فأعاد عليها ما قاله لي . وهو يبكي . وهي تبكي . فقلت سألتك بالله

يا أمير المؤمنين . ألا ضربت عنق الساعة وأرحتني من الفكر  
في هذا ، وأرحت قلبك من الهم بي ، وجعلت تبكي ويبكي .  
ثم مسح أعينهما . ورجعت إلى مكانها . وأومأ إلى خادم وقوف  
شيء لا أعرفه فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عين وورق ، وورماً  
فيها ثياب كثيرة . وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقداً  
ما رأيت قط مثل حوهر كان فيه ، فألصقها بإياه . وأحضرت  
بدرية فيها عشرة آلاف درهم خضت بين يدي ، وحسنة غوت فيها  
ثياب . وعلقت إلى أمرها ، وإلى أحسن مما كان . ثم نزل كذلك إلى  
الدين . ثم تفرقت . وضرب الدهر صريره ، وتكلم المتوكل . فوالله  
إن لي منزلي بعد يوم نوبتي إذ نغم على رسل الخليفة ، فما أمهوني  
حتى ركبت وصرت إلى الدار . فأدخلت والله الحجرة بعينها وإذا  
المتوكل في الموضع الذي كان فيه الوائق على السرير بعينه . وإلى  
جانبه فريدة . وب رآني قال ويحك أما ترى ما أنا فيه من هذه !!  
أن منذ عدوه أطابها بأن تعين فتأني ذلك . فقلت لها يا سبحان الله  
أتحالين سيدك وسيدنا وسيد البشر ! بحياته غي . فعزفت والله  
ثم اندمجت تعي :

فلا تبعد فكل في سياتي عليه الموت يطرق أو يغادي  
ثم صربت بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ، وجرت  
تعدو وهي تصبح واسيداه .

هذه هي القصة التي أردت أن تسير في مسكها لطيعي . وأن  
أضعها أمام القارئ . أحرفها وأنشأها ، لأنها تمثل لنا صورة بل عدة  
صور من حياة الحفاه بعيدة عن الإخراج والتلوين . فها نحن  
أولاء نرى قصر الحليفة الذي يضل سالكه ونشعب مسالكه ..  
وها نحن نرى بحراً ابن الحرث يتفرع ويتحوف برغم أنه من  
دوى الوطائف الدائمة في قصر ، غير بعيد منه ولا غريب عنه ..  
ونرى أيضاً أولئك الرسل قد أطبقوا شفاههم عن الأمر الذي  
من أجله دعي ذلك الفنان في غير وقته . فلعلم لا يعرفون شيئاً  
عن سر دعوته ، بل لعله يمكن القول بأن الطبع العربية السهلة  
الضريحة السيطلة الواضحة قد تقلص طبعها فالت إلى التعقيد حين  
أصبح الدخلاء من الشعوب المسمة بالحديدة يؤثرون على البلاط  
العباسي ويدخلون على الخلفاء تكاليف ، الروتوكول ، مما لم يكن  
يعرف في عهد بني مروان ولا في ساطة الخلفاء الأولين تحت طلال  
النخيل في شبه الجزيرة . وها نحن أولاء نرى ابن الحرث كذلك  
يسلك طريقاً من القصر لا عهد له بها ، وهو ذو النوبة الأسبوعية  
الدائمة في قصر الحليفة ، الأمر الذي لم يكن ينبغي أن يحى عليه  
منه شيء ، ولكنه التعقيد الذي أصاب الحياة الحديدة فجصها ذات  
حدود ورسوم والقرامات يقف عندها كل ذي منزلة عند الذي  
قد رسم له .. ثم نرى ابن الحرث هذا يظهر في القصة - وهو راويها -

دا لوين وذا وجهين ، يرضى بكل وجه خيفة يخالف صاحبه .  
فإذا كان بحصرة الواثق فمن أسهل عليه أن يقول : يقتل الله  
جعفرأ ويحب أمير المؤمنين أبداً ، . فإذا كان اليوم لجعفر لم يكن  
عسيراً عليه أن يقول لفريدة حين امتعت ، ومتحجاً : سبحان الله  
أتخلفين سيدك وسيدنا وسيد البشر ، بحياته غنى ، .

هذا الضرب المتون من المفاقتين قبا يحلو منه عصر ، وعصرنا  
متنهم مفعم بالكثيرين من اتسمت طباعهم انولية لهذه المروية  
من النفاق والرياء . ولبت المناقتين وجدوا من يقول لهم إن  
التاريخ وراكم يحصى . وأنه مظهركم ولو للأحياال القادمة . فإن  
يكن في ذلك عرة فإن العره الكرى في وفاة امرأة حرية وهاق  
رحل حر يعدو وروح كما يشاء . فالحا لا تسير مع سعادة كل  
وقت وتستجيب إليها كما فعل ابن الحرث ١١ وما لها تربط نفسها  
بالداصي الذي يعرف قدمها عن السير ويعرف حضا دون المسرات ١٢  
ألا إنه الوفاء حملها من بين يدي جعفر المتوكل . ثمضت هائمه على  
وجها تندب الواثق قائدة واسيداه ... تاركة من خفيها حليفة  
يتحير ، وماقفاً يتلبلل ، وتاريخاً يتكلم ...

## شَارِيَّة

نخمة من نجوم العصر الراهق في دونه بى "عاس انسى  
أشرقت عليه الدنيا بكل مدياتها ، كما أنشأ هو على الدنيا بعمومه  
وفنونه . فيما ترى ا- اهم وابنه . سحر وأصراهما يسعون السروة  
في علو فنههم وجلال شأنهم ، إذا بك ترى من الخوازي المولدات  
من حولن قصور الخفاء إلى حناث وفراديس بما يطرب السمع  
ويهز أوتار القلوب ، ومن أوائك شارية . لا أن شخصية هذه  
الفنانة تبدو لنا مصطربة كربة في مه الرياح . هي حارية في  
ثوب حرة أو حرة في ثوب جارية ! ! فقد اختلف المؤرخون في  
نسب أيها . كما حاولت أمها أن تنحربها طعمه في البيوت الرفيعة ،  
شأنها في ذلك شأن احب من آباء الصغار الموهوبين في فن الغناء ،  
ومن في حكمهم ، ممن يتولون أمور الفنانين واستعلاهم في حداثتهم .  
ومها يكن من شيء فقد ذكرت شارية في الجوازي . فمن قائل  
إن أباه كان رجلا من بى ناحية وأنه جحدها فسرى إليها الرق  
من أمها . ومن قائل إنها سرقت كما يسرق غيرها من بارعات الخيال  
لتعرض في السوق على أرباب القصور والبيوتات ، واشترتها

سيدة هاشمية . فقلت تديها وتعلمها الموسيقى والغناء وهو الفن  
الذي تروح به الجارية وتضيف به جمالا إلى جمالها . فلما أتت  
ثقافتها شعبة شراها إبراهيم بن المهدي فكان أستاذها وسيدها ،  
ثم تحصاه فكانت أثيرة لديه . حفظت عنه غنائه . فكانت وعاء  
مادته وحرانة فيه . وبهذا فصلت عريب تلميذة المرادي . فما كان  
لعريب أن تبلغ ذلك الشؤ والنعير الذي يحب أن يبعه فبأنه تتلمذت  
بإبراهيم . وقد عني بحدسها . وسكن في روحها معارفه وحفظه  
وانكساره ثم أعياه قصره نعمة وهناء . واتهاج . ولم يعسا ليتاخر بها  
في أسواق البيع والشراء . وبعث إبراهيم بن المهدي الذي لم  
يكن يثق به عن عدم المناطة سوى سحق .

وحسبك أن تعلم أن ابن المعتز صنف في أحبارها وألف في  
ريخها كتاباً يرويه عنه الرواة . وابن المعتز شاعر وحليمة  
وابن حليمة ، وهو صاحب "الشبهات" و"نواشيج المروية المحكية" .  
وهو في ذلك المقام الأدنى وبك المثرة من الإمارة والخلافة يخلد  
نكته شارية ، جارية أبيه وأجداده في عرش الخلافة العباسية .  
ومن أحبار ذلك الكتاب ما يصور لنا كيف كان الغناء  
يعنى قيمة صاحبه ويسمو بمكانته . لقد عرضت شارية على  
إسحق الموصلي فاستكر على ثمنها ثلثمائة دينار ، ثم كتب لإبراهيم  
أنه هو الذي يعرف قدر تلك المثلثة فتقد الثمن لبائعها الهاشمية ،

ثم أمر جواريه أن يتعدها سنة كاملة وهو لا يراها ، حتى إذا مضى  
العام وقد حذقت العناء طلبها أمام إسحق وأسمعه عمامها وقال له :  
هذه جارية تباع فيكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحق : آخرها بثلاثة  
آلاف دينار وهي رحيصة . مذكره إبراهيم به وأنها هي نفس  
الجارية التي استغلاها بثلاثمائة دينار ، وها هو اليوم يقبل أن يعطي  
فيها على بحه الموروث عشرة أمثال الثمن الأول قامة للريادة .  
وهكذا يرى في العناء تلك المعجزة السحرية التي أعلنت مكانتها في  
نظر من كان يساوم فيها منذ عام واحد .

ولقد لعبت أمها دوراً مؤثراً في مع بعض حادثة المعتصم  
لتنزع ابنها شاربه من كفاله إبراهيم وملكه ، وتختطف من قصره  
رهرة ماصرة طالما أداعت في أرجائه العطر والأريج . فادعت  
أنها قرشبة لا يصح أن تملك ابنها وتسرق . ووقعت إلى المعتصم  
بهذا التحمل على أن يصم إليه شاربه مبتدئاً من هذا الطريق ، فمضى  
أبعدها عن إبراهيم أمكن احتطافها في يسر وسهولة . وكان إبراهيم  
أدهى من الخيع ، فبادر إلى الإشهاد على عتقها والزواج منها في  
كلام طويل وحيل فقية ليس هذا موضوع الخوض فيها .  
وحسبك أن تعلم أنها بقيت عند إبراهيم جارية في حقيقتها زوجة  
في زعمها ، إلا أن مزينة المعتصم أمام إبراهيم لم تطل فقد توفي  
إبراهيم وانكشف أن العتق والزواج لم يكونا إلا صرباً من

السلافة . وتبين أنها كانت لا تزال أمة فاشتراها المعتصم من  
ميمونة بنت إبراهيم وصحبها إلى قصره حتى مات .

وكان يحجب إبراهيم بها عطيها . ولست أبالغ لو قلت إن  
حياتها معه كانت تمتثل نصف سعادته على ما كان يحوطه من العمة  
والثراء والحياه . فهي تعينه في النضر منفرداً أو مجتمعاً . فإذا لم  
يسعه البر وفصاؤه حمهما 'هر وماؤه . فها هي ذى تغنيه وهما في  
سفينة وقد توسعا بها دجلة يستطلان شعاع القمر ، ويقشعان رهوة  
اللين بروعه العمام . ويردد لساظنان معهما ما يتبادلان من عذب  
الإشاد ، وقد غنت لحن إسحق :

قد حشا الخيل ليهـ مروا من علم يلوا (١)  
فهاج عذوها حتى مال لها . أت والله أحسن من العريس وحاً  
وغناء ، فما يؤمنني عليك ١١

فتارة كما أسلفنا سيرة إبراهيم وقسيمته في الفس . وهي  
حارثته الأثرية لديه . عليها العناء وروت نواذر عقريته . ورواية  
أخبارهما لعنائية تكشف لنا عما يكابده الفنانون من العناء في سبيل  
التعلم أو التعليم . فهذا إبراهيم يبين لأحد جلسائه وقد أضربه لحن  
نعبته منه أن السامع يستقبل اللحن مائدة سائغة لا يدرى مدى

(١) ص ٥٥٥ . . . . . وحدث ذلك في سائر صوره شعره وبكلم مستكره

ما كاند أصحابها في إعدادها ، وأنه أدار على مسمعها هذا اللحن  
مئات المرات حتى بلغت به منزلة الإجازة والراحة .  
وكانت شارية على ما يظهر من تاريخها معية أكثر منها عازفة  
حب لم تكن تحيد العزف بالعود حتى أيام المتوكل حين قامت  
المنافسة الفنية على أشدها بينها وبين عريب فبدأت تعزف وتجيد .  
وكما اعترها إبراهيم فقد فاحر بها المعتصم وصن على من طلبها  
منه بسبعين ألف دينار . فعاتبه في ذلك سهر بن الأحول قاصي  
الكتاب في زمانه ، وأسمعه المعتصم غناها فقال سهر : لقد سمعت  
شيئاً ذهب بعثي . فقال المعتصم له : هذه هي التي عاتبني عليها  
في ألا أبيعها بسبعين ألف دينار ولا والله ولا هذه الساعة الواحدة  
بسبعين ألف دينار .

ومررت في حنوة المعتصم وقد تحققت له بها أمنية طالما تمنها  
منذ كانت عند إبراهيم . بل منذ عنت في قصره في مباراة غنائية  
تفوقت فيها حواري إبراهيم وهي فيس واسطة العقد على حواري  
المعتصم . حتى إذا كان عهد الوائق كانت لا تزال النجمة المتألقة  
والمعنية المقدمة والأستاذة التي يروى عنها الرواة ، ومن بينهم  
فريدة الوائية .

وقد امتد بها الأجل حتى عصر المعتمد . وناهيك بمن تعاصر  
ثمانية من الخلفاء وتشاهد أحداثاً ووقائع وانقلابات يتواصل فيها

المد والجزر وتغير الفوذ واختلاف الأمر وكثرة التشيع ، وهي  
المسيطرة الأولى ، أو على الأقل في مقدمة من تزعم الفس  
ووجه حركته .

وكان الناس في أمر شارية وعريب على حزبين ، فهذا عريبى  
وذاك شارى . ولا يسمع أحد الحزبين ما يسمعه الآخر ، فكانت  
القطيعة الفنية تفصل بين الحزبين . وكان اسم شارية دائم التالىق  
وشهرتها متصه ابيدوع . وحسبك في مكاتها أن يستمع إليها مستمع  
في قصر المعتز بين المعيات فيصفها بأن حظ العجب من غنائها  
أكثر من حظ الطرب .

## إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ

هذا هو المثل السائر ، ونمودج الحى ، والشهادة الخالدة لمقام  
الموسيقى العربية منذ أكثر من ألف عام . وإلى الدين يجهون تلك  
المكانة الرفيعة لموسيقى ، ونساور أحلامهم بأن أمرها قاصر على  
الطبقات الدنيا ، وإلى الدين يتمحدون بما بلعته الموسيقى من المكانة  
المتأزاة بلاد "عرب فى هذه العصور الحديثة يوم تعاطاها أمراء  
وذوو أقدار عالية .. إلى هؤلاء وأولئك نقدم إبراهيم بن المهدي  
وناهيك به من موسيقار يعلى اندروه بين أهل الفن ويتسم العارب  
بين أهل المجد والشرف . فقد ظل نبراس الغناء بين أربعة من الخلفاء  
هم والده المهدي وأخوه الرشيد وولدا أخيه الأمين والمأمون .  
وكان عهداً أربعة تحمعت فقدمت عصارة مدينتها وخلاصة حماها  
وأبتها فكانت هى إبراهيم بن المهدي .

لقد كان علماً من أعلام الدولة العباسية من حيث البيت الشاىخ  
والأسرة الشفاء . ولكنه من وجهة الفن دولة وحده ومدرسة

حديثة كان واضع مذهبها ومرى أساتذتها . والعصر العباسي جديد  
 في كل شيء . . . في حضارته وعمرانه ، في فقهه ودراساته وفلسفته ،  
 وفيما ترجم عن الفارسية واليونانية من علوم وفنون كان لها أثرها  
 البعيد في كيان الأمة . وفي كل ما امتد إليه ظل هذه الدولة . .  
 فكيف يتصور متصور . أن الغناء سيقف دولابه عند الخطوط  
 الأولى التي كان يرسمها المعنون في الحاهية وصدر الإسلام  
 وبى أمية وبداية عصر العباسيين ؟ لقد أتيح للفلسفة أعلامها ،  
 والبيان العربي أقتلابه ، وللشعر مبدعوه وقائمه . فما كان أحوج  
 الموسيقى إلى ثورة فنية يحسن عليها رحن غير متكسب بها ،  
 ولا محرف يحشى الناس على صناعته وكسبه . . رجل يكون له  
 من ثروته الواسعة وجاهه "العريس" وبيته الأرفع ررى يكفيه  
 وعدة تحميه ليخرج بمذهبه للدنيا وما حاصراً ، وهو فيه غير هيات  
 ولا مراتب . وقد قدر للموسيقى أن تجد هذا الرجل في إبراهيم  
 ابن المهدي .

هو أصغر إخوة الرشيد ، وكنيته "أبو اسحق" . واسم والدته  
 "شكلة" ، مولدة من أصل ديني ، وقد سببت بعد قتل أبيها . ولما  
 حملت إلى الحليفة المصور أهداها إلى "حياة" ، أم ولده فتعدهتها  
 بالترية ، وبعثت بها إلى "طائف" ، حيث مهد العروبة الأصيل ،  
 ومحندها الأثيل ، حين كانت بعداد إدادك مسقى المبهات ومزدهم

البعات من شعوب وأمم لا حصر لها ، تعدو وتروح عن حاصرة  
اخلافة وإليها . ولعل من الخير لأولئك الجوارى الفارسيات  
أو التركيات وأشباهن أن يرتضن العروبة من أرض العرب  
الأولى بين مكة والمدينة والطائف . وهكذا أريد بشكلة أم إبراهيم  
أن تستمر في مهد بنى ثقيف وغيرهم من القبائل العربية العريقة  
المختد في الإعراب والبيان ، حتى إذا تعلت واستكملت تربيتها  
أعيدت إلى مولاتها ، بحياة ، فأراها المهدي عندها فأعجبت ولم تص  
عليه بها . ورزق منها إبراهيم في تعداد عام ١٦٢ هـ ( ٧٧٩ م )

ولما بلغ الطفل السادسة توفي عنه والده المهدي ، فشب ونما  
بين رعاية أخيه الخليفة الرشيد وكفالة أمه وكانت موسيقه بارعة .  
فأنصح لإبراهيم أن يجمع بين الفن من منبعه والثقافة العالية الحقيقية  
بأبناء الخلفاء والأمراء .

ولما استوى له فنه العاني وأشرقت موهبته في صونها الكامل  
أخذ يغنى ، ولكنه غناء محتبس مستر . فهو يترفع عن الضوضاء  
ولا يؤديه إلا في خلوة عند الرشيد والأمير من بعده . ولم يتح له أن  
يظهر فنه إلا في خلافة المأمون حين آمنه هذا الخليفة فأخذ يحمر بالثناء .  
وكان إبراهيم عاقلاً متديناً أديباً شاعراً راوية للشعر خطيباً  
قوى العارضة ، عرف بجزالة الرأي والتصرف في الفقه واللغة  
وأبواب الأدب والعلوم المختلفة .

وهو أشهر من أن يحتمل الخفاء ذكورا وإناة في بناء ،  
وأعمقهم صناعة ، وأتقنهم فنا . وكان بينه وبين إسحق الموصلي عميد  
محتري الغناء في عصره منازعات وجدل في . ولكن ذلك كله لم  
يمنع إسحق من شهادة الحق والإقرار بمنزلة إبراهيم حين قال  
« ما ولد عباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس رجلا  
أفصل من إبراهيم بن المهدي » .

كان إبراهيم من أجداد الناس بفنون الموسيقى عبا وأداء في  
النم والذوات ، الإيقاع ، وأطعمهم في الغناء ، وأحسنهم صوتا .  
وكانت ممرته المتارة في حمال "صوت وجودته . وقد عد في  
طبيعته "ثبته" زواي بين أعلام الغناء في هذا العصر الهادي . وهو  
فوق سائر سبيد "العرف" دالات "نوتية والمراسير والدفوف .

وبسكن إبراهيم من "تقديم" ، فم يقف عند مخلفات العصور  
الغابرة . وفيه يشأ أن يحدث في صنعتها الأمثلة "العناية الموروثة" ،  
إد كان يكره التكلف والتعقيد ويدين بوحول أحد الفن من أسرار  
مناهل وأفراس إلى النفس . فكان يحدث نعم الأمان الكثيره العمل  
حذفا ، ويحفظها ليسهأ أداؤها . وتلت هذه الخطوة خطوة أخرى  
هي مرحها بالموسيقى "تدرسية ليخرج منها طابعا خاصا ولو نأ حديدا .  
فإذا عيب عليه ذلك قال لناقيه « أنا منك وابن منك أعني كما  
أشتهي وعلى ما ألتزم » .

وهو أول من أقدم على إحداث تطور في العناء القديم ، وعلم  
الناس الجرأة على تغييره . وما لبث احمور القمي أن انقسم إلى  
معسكرين : فريق يؤيد إسحق الموصلي وأعتابه في مرهم من  
وجوب الاحتفاظ بالقديم ويكررون على من يحدث فيه تطورا  
أو تجديدا ، ويقبحون من يفعل ذلك ويعيرون عليه . وفريق  
يؤيد ابراهيم بن المهدي ويقتدى به ومنهم بخاري ومن وافقه من  
أعلام العناء في الدولة العباسية .

وقد وجد مذهب ابراهيم قبولا خذته ويسر تناوله على من  
وعده عن التكلف والتعقيد الذي يثقل على المؤمنين ويحشهم جهودا  
صوته لا قبل لهم بها . ويقول المؤرخون إن هذا التعبير الذي  
استحدثه ابراهيم بن المهدي قد أضر وريدت عليه ألوان بعد  
ألوان إلى خمسة أحيال متعاقبة فلم يسع إلى الناس في نهاية الدولة  
العباسية إلا النذر اليسير من العناء القديم الذي بقي على حقيقته .  
قالوا ومن أفسد طابع هذا العناء خاصة بنو حمدون بن اسماعيل  
وأصحبهم فيه بخارق ، ودريات الواقية وكانت تغير العناء كما تريد ،  
وجواري شارية . وإن هؤلاء كان يعارضهم في الناحية الأخرى  
من أنصار القديم غريب ورمرتها من نشأ في مدارسها  
وجواريها ، والقياسم بن رزور وولده ، وآل يحيى بن معاذ ، وآل  
الربيع وزمرتهم ، ومن جرى محارمهم من تمسكوا بالعناء القديم

وعمدوا على المحافظة عليه ومناهضة التيار الجارف من أنصار  
مذهب تخفيف الأغاني وتجديدها .

هذا هو موحز ما يقوله المؤرخون القدماء عن المذهبيين .  
ورأينا أن أحداً لم يفسد الغناء على حد تعبيرهم ، وإنما كان لازماً  
أن يحدث هذا التطور الذي تناول الدولة نفسها فتتقل بها بين أيد  
فارسية وأخرى تركية ، وبين مدييات ومذاهب سياسية ودينية  
وعلمية وفلسفية . ف كان لموسيق وهى مرآة الحياة أن تنفرد  
بالجود والركود بينما كل شيء حولها يتطور ويسير . أما كون  
الغناء القديم لم يبق منه إلا القليل فليس هذا ذنب إبراهيم ومدرسته  
وأنصارها إنما هو عمر الزمن الذي لا يبق على شيء غير مدون .  
ومما أصاب مذهب إبراهيم ما أصاب مذهب إسحق ، وذهبت  
أغاني هؤلاء وأولئك ، لأن الأمر في الجميع كان قاصراً على  
النقل والرواية

ومن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي :

طرفتكَ زائرة فخيَّالها      بيضاء نخط بالحيا جمالها  
هل تظلمسون من السماء نجومها      كدكم أو تسترون هلالها  
أو تدعون مقالة من ربكم      خبرين بلغها النبي فقالها  
ومن بديع غنائه في الغزل :

ياغزالا لي ليله شافع من مقلتيه

والذى أجملت خدَّيه فتبيلت يديه  
بأبي وجهك ما أكثرت حادى عليه  
وهذا يشف عن سلامة ذوق فى اختيار كلمات الأعانى ومعانى  
الشعر ونعم التدفية . ولا شك أن سهوة هذا الشعر تتجاوب مع  
سهولة العناء فى مذهبه .

وكانت صناعته تحرى فى أسلوب من الساطة كما أوضحنا ، فإذا  
قيل له فى هذا كان جوابه : إنما أصنع نظرياً لا تكساً ، وأغنى  
لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتهى .

وكان لإبراهيم هذا أخت تناطره فى حسن الصوت وإحادة  
العناء وهى عُلَيَّة بنت المهدي . وقد عرف الناس أمرهما  
فتحاوبت أصداء الشجرة فى حسن صوتهما حتى كان يقال : « لم ير  
الناس فى جاهلية ولا إسلام أحاً وأختاً أحسن عناء من إبراهيم  
ابن المهدي وأخته علية... » .

وقد نوهنا بما كان بينه وبين إسحق من جدل فى ، فكان بما  
خالف فيه إسحق الثقيلان وخفيفهما <sup>(١)</sup> فإنه سمي الثقيل الأول  
وخفيفه الثقيل الثانى وخفيفه ، وسمى الثقيل الثانى وخفيفه الثقيل  
الأول وخفيفه ، أى العكس بالعكس . وقد جرت بينهما فى ذلك  
مناظرات ومجادلات ، ومراسلة ومكاتبه ومشافهة ، وحضرهما

(١) مى أنواع من الإيقاع .

الناس فلم يكن فيهم من يقصى بالفصل فيما بينهما واحكم لاحدهما  
على صاحبه ، حتى لقد كتب إسحق مرة لإبراهيم في ذلك يقول  
له : والناس بيني وبينك بهائم .

قال عمرو بن بنة : رأيت إسحق الموصلى ينظر إبراهيم  
ابن المهدي في "العلماء فتكلم بما سمعناه ولم نفهم منه شيئا فقلت لها لئن  
كان ما أتناهيه من "العلماء نمانح منه لا في "تليل ولا في "الكثير" .  
وقد أوبيا عمرهما في تنازعهما حتى كان يمضي لهما لزمان الطويل  
لا تنقطع مناظرتهما في تحرة لحن ومكاستهما في قسمه صوت  
واحد وظلا طوال حياتهما وبينهما مزارعه في كثير من أمور  
فيه لم ينصل بينهما فيها . على أن ما كان بينهما من شدة الحال  
والطيرة لم يمنع إسحق من أن يشهد لإبراهيم فيقول فيه : ليس  
فيمن يدعى علم بالعلماء مثل إبراهيم بن المهدي .

وهكذا تناظر العلماء لعليمان ما شامت لهما مقدرتهما العسية  
الدقيقة ثم نرى إسحق يصفي على إبراهيم هذا الثناء ويعترف بعلمه  
وفضله ورعته . حصومه في الفن واعترافه بالفضل . إن هذا  
لننتهى ما ترقى إليه الأمم في تقدير أفضالها لحرية الرأي والمناقشة ،  
على أن يكون هدف الوصول إلى الحقيقة لا اليل من الأشخاص .  
وعجيب أن يقع ذلك بين إسحق وإبراهيم في بيته قرية بعصية  
القبائل والبيوت والشعوب . وأعجب منه أن يكون بين أميرهاو  
وموسيقى محترف

وكما اشتهر إبراهيم بن المهدي في صناعه "لغناه" بحسن الصوت وجودته فقد برع في القدرة على أداء أغلظ النغمات من ناحية النقل وأشدّها ارتفاعاً من ناحية الحدة . وبلغ اتساع المصنعة الصوتية لمقدرته في الأداء ثلاث مراتب (أو كثاف) . وهذه موهبة نادرة قد لا يجود بها الرمان على تعاقب عصور وأجيال .

روى يحيى بن المجهّم عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بريع قال : كنت أضرب على إبراهيم بن المهدي ضرباً فعناه على أربع طبقات : على الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى صفها <sup>(١)</sup> ، وعلى أسجاحها <sup>(٢)</sup> ، وعلى أسجاح الأسجاح . وقال بعضهم : هذا ما حكى لنا عن أحد غير إبراهيم ، وقد تعاطاه بعض الخذاق فوجده صعباً متعذراً لا يمكن بلوعه إلا بالصوت القوي ، لأن الضعف نفسه لا يمكن بلوعه إلا بصوت قوي دقيق حاد ، فإذا دق الصوت حتى كان في مكنه أن يبيخ هذه الأضعاف لم يقدر على تأدية الأسجاح فضلاً عن أسجاح الأسجاح .

وسيرة إبراهيم الفنية خير للموسيقى العربية ، فقد كان من علمائها الواقفين على دقائقها . وتنهض حياته الفنية حجة للموسيقى العربية من ناحية عدم إهمالها معرفة طرائق تدوين الألحان في ذلك العصر الذي يعتبر عصر أذهاب .

---

(١) أي خواب (٢) أي حوت خواب .

حكى الحسين بن يحيى أبو الخمان أن إسحق الموصلي لما صنع  
صوته ، قل لمن صد عاتياً ، انصل حمره إبراهيم بن المهدي فكتب  
عنه فكتب إليه إسحق بشعره ، وإيقاعه ، وبسيطه ، ومجراه ،  
وإصعده ، وتجزئته ، وأقسامه ، ومخارج نغمه ، ومواضع مقاطعه ،  
ومقادير أوزانه . فعناه إبراهيم .

وإبراهيم كما عرفنا مع بارع لا للحرفة ولا للتكسب ، وإنما  
هي الفطرة والهواية وإشباع الرغبة بقية أتى ما تكاد تلامس  
جذوتها حادثة من الحوادث حتى تثور وتستيقظ وتصبح شعرة  
تضيء ما حولها .

هكذا كان إبراهيم إذا حركته الواقعة عى واشتركت البقية  
من جسمه مع حنجرته . وتحول سكونه إلى حركة في الأداء  
وطرب في الغناء . والحادثة السالية هي حوار غنائي يتفرد فيه  
بالانتصار ويقور فيه بالحولة الأخيرة .

دع إبراهيم بن المهدي ذات يوم كل مطرب محسن من المعنين .  
وحلس بلاعب أحدهم بالسطرنج . فترنم أحدهم بصوت وهو  
متكى . فبافزع منه ترنم به بخارق فأحس فيه وأطرب الحاضرين ،  
فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعفى على غناء بخارق . فلما فرغ  
رده بخارق وغنى فيه بصوته كله وتحفظ فيه . فكاد الجمع يطير  
سروراً . فامتوى إبراهيم حالساً ، وكان متكئاً ، فغناه بصوته كله ،

ووفاه نعمه وشدوره ، وكانت كتفاه تهزان ، وبدنه أجمع يتحرك ،  
حتى فرع منه ومخارق شاخص نحوه يرعد وقد امتنع لونه  
واحتلجت أصابعه . وقد حيل للحاصرين أن الإيوان يسير بهم .  
فلما فرع إبراهيم من الصوت تقدم إليه محارق فقبل يده وقال  
« جعلى الله فداك أين أما منك » . ثم لم ينتفع محارق بنفسه بقبه يومه .

وتمت شئ آخر هو المقدرة العينية والعقريّة الصورية أعنى  
الآمانه فى الرواية والرفق فى التعميم . فهذه القصة البالية نرى إبراهيم  
فيها يسأله الخليفة عن حش أعجبه فيسسه إلى صاحبه دون أن يعزو  
إلى نفسه شيئاً ، ولو على سبيل التحسين أو الإحراج . ولو فعل  
ذلك لكانت الفرصه موايه فلم يكن هذا عهد التدوير ولا عصر  
التسجيل الذى يحفظ لقطعة بكيانها تاماً غير منقوص . بل لقد كان  
الباب مفتوحاً والمحان متسماً فسيحاً لادعاء التحسين والتعير  
والمشاركة على الأقل . ولكنه اكتفى أن يكون أميناً فى القلب  
وهذا شرف لا يقدره إلا الآمناء ولا يبلعه الادعياء . إننا نرى  
فى هذه القصة أمانة الناقل ثم رقة الفنان وحنان المعلم الرحيم الذى  
ينظر بعين العطف والبر والتحوز إلى مستوى المتعلم الذى لم يرتفع  
إلى مستوى الأستاذ المجرب . ولولا هذه الرحمة ما رسبت تليذة  
إبراهيم فى الامتحان وحده بل لرسبت إلى الأعماق فى مياه  
دجلة الطافحة .

قال إبراهيم بن المهدي : كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيه :

أَقْوَتُ مَنَارِلَ بِالْهَصَابِ      مِنْ آلِ هِنْدٍ وَالرَّبَابِ  
حِطَارَةً      بِرِمَامِهَا      وَإِذَا وَنْتُ دَلَّ الرِّكَابِ  
تَرْمِي الْحَصَا بِمَنَاسِمِ      صَمِ صَلَادِمَةٍ صَلَابِ

فاستحسن اللحن ، وسألتني عن صانعه ، فقالت لابن عائشة . فلم يزل  
يسمع إليه . لا يتجاوز . ثم أمر بإحضار صَيِّتَةٍ ، كان يتخطاها ،  
فخرجت إليّ كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : يجيأتني ياعم ألقه  
عليها . فأعنته مراراً ، حتى طابت أنها قد أخذته فأمرتها أن تغنيه  
فعمته . فبدأ هو قد استوى لها ، لا في موضع واحد كان فيه صعباً  
حداً ، فحدثت جدي أن يقع لها فم يقع لها البته . ورأى جدي  
في أمرها وقبيل عليها معصباً وقال : عني عهد الله إن لم تأخذه  
بعد ثلاث مرات لأمرن بإيقائك في دحلة . وكانت دجلة تطلع  
وينا وبينا نحو دراعين . فتأملت "قصه" وقلت في نفسي هذه  
والله داهية . فعدلت عما كنت أغنيه عيه ، وغنيت كما كانت هي  
تقوله . وجعت أردده ، فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها هاته  
الآن فعمته عني ما كان وقع لها ، فقلت أحسنت يا أمير المؤمنين .  
فطابت نفسه وسكت .

ولمخارق شهادة أخرى لإبراهيم بن المهدي ، وقد سار فيها  
على سلم تصاعدي وحددها بدرجات بعضها فوق بعض ، وجعلها

حكماً تناول فيها أشهر المغنين وطبقاتهم في ذلك العصر ، ولم ينس  
نفسه من المكانة الثانية بعد إبراهيم . وهي في جملتها تدل على  
ما امتاز به ابن المهدي من غناء تفرد فيه بحسن الصوت وعراقة  
الأصل والمعدن .

سئل مخارق مرة : من أحسن الناس غناء ؟ قال : كان إبراهيم  
الموصلى أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات ، وأنا أحسن  
غناء من إبراهيم الموصلى بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي  
أحسن غناء مني بعشر طبقات . ثم قال : أحسن الناس غناء  
أحسنهم صوتاً ، وإبراهيم بن المهدي أحسن الجن والإنس  
والوحش والطير صوتاً ، وحسبكم هذا .

وقد عاش إبراهيم فيما تدلنا عليه رسائله عيشاً ملؤه الرغد  
والحياة المطمئنة . فهو صاحب قلم ضليع بقدر ما هو صاحب غناء  
رفيع . وقد جال في الدولتين وصال . كما سجلت الآثار الأدبية  
جملة من رسائله نستطيع أن نستمع فيها إلى صوت عواطفه التي  
لم تبلغنا إياها ألقانه وغناؤه .

ومات إبراهيم بن المهدي عام ٢٢٤ هـ ( ٨٣٩ م ) .

## ابن جامع

هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع ، الحراني القريسي حنبلياً ونسباً .  
ولد بمكة ومات أبوه وهو صبي ربي تربية فقيرة ديدته ليوم أمثاله  
من أبناء "اليوت الخبذة من قریش" . روجت أمه من سياط  
المعنى المشهور عنه تشبه موسيقية حتى صار علماً من أعلام العلماء  
والسحرة في "عصر عباسي" وكان واهم التقوى كثير التعب  
و"صواب" . يدو في أردية "الغناء وأهل الورع" .

ولدت وطرنه العناية لعب عليه في يقظته ، وتقص مصححه  
دايم فتسلسل الأماع والألحان في عقله الباطن وتمثل له  
في أرويا ، يد استيقظ كالقدوعاها وحفظها ... وهكذا الفنان  
يلامه فيه ولا يبارحه ، يستيقظ به ولا ينام عنه فهو مستيقظ  
حتى في نومه

تحدثنا حاربه ، حوله ، أن ابن جامع مولاه استيقظ يوماً  
من نومه فتنهف على ولده هشام وناداه ، وطلب أن يقل على عجل  
بعوده ليسجل لحناً قبل أن ينساه ، وقد حفظه عن رجل من الجن  
في نومه . فحاربه ولده مسرعاً ويده العود . فتغنى ابن جامع زملاً

لم تسمع الخرية أحسن منه . وكان ابنه يتابعه . أما ألفت  
البحر في :

أنت رسوم الديار غيرهما هوج الرياح الرعارع العصف  
وكان حنافة هـ : من حين الروثم لشقف  
وأطلق على هذا البحر بعد ذلك حن الحى .  
وكان من أحسن ما صنع البحر أنى غناه تشدأ بحبيبه  
وكانت سوداء اللون قال :

أنهت المسب وأشبهته فائمة في لونه قاعدة  
لا شك يد لوكما واحد ألكا من صبة واحدة  
وقد عاصر ابن جامع أراهم الموصل . وكان يمارعه المقام  
الفنى الرفيع العبد المذى . وقد حكم بينهما برصوم الرامر حكم  
معاصرهان . وهو حكم تصويرى شعري يضع كلا منهما في موضع  
لا يتقص فيه فصله قال حين سئل عنهما : الموصل بستان نجد فيه  
الخلو والخامس ونظري أنى لم ينضج فتأكل من هذا وذاك .  
وإن جامع رفق عس إن فحت فمه خرج عسل حلو وإن حرقت  
جنبه خرج عسل حلو وإن فتحت يده خرج عسل حلو ، كله جيد .  
ونحنى إلى الخليفة المهدى أن ابن جامع والموصلى يجلسان  
إلى ولده موسى في مجلس شراب وغناء ، وكان قد حرم على ولده  
أمثال هذه المجالس وهو بين فتلى الشباب والثروة . فاستقدم هذين

المعنيين إليه ، وضرب الموصلي ضرباً موجعاً . أما ابن جامع  
فاسترحم الخليفة فرق له وأطلقه وقال له : قبحك الله أرحل من  
قريش يعني !!... رحم الله المهدي إنه لم يكن يدري وقتئذ أن ابنه  
إبراهيم وابنته «عليه» سيكونان من مفاخر أعلام الغناء العربي في  
العصر كله وأن لهما في حسن الصوت وجماله ما لم يكن لغيرهما ،  
وإن لم يحترفا الغناء .

وغنى ابن جامع بحضرة الرشيد ، وجاء إبراهيم الموصلي بعد  
يوم يسأل الوزير جعفر عما كان لجلسهما من الأثر . فأخبره جعفر  
أن ابن جامع كان يغنيهما وكان يخرج في غنائه عن الإيقاع .  
وكانما حاول جعفر بهذا أن ينزل بقيمة ابن جامع قلباً لتطيب  
نفس إبراهيم لما يعرفه بينهما من شديد المنافسة . وهنا تتجلى روح  
الفن الصادق . بل هنا تستيقظ أريحية إبراهيم ونبه فينسى المنافسة  
ويذكر شيئاً واحداً هو الحق الذي يعتقده في زميله الفنان فيجيب  
جعفر وهو الوزير المطلق اليد الفذ الكلمة بذلك الجواب الحاسم  
فيقول : أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به . لا والله ، ما عطس  
أو سعل ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا ياقع فكيف يخرج  
اليوم منه !!!

وللمغنيين بل وللعباقرة جميعاً على اختلاف مواهبهم وألوان  
فنونهم حالات تشدق قرائحهم ، وتجعلهم فيها خيراً منهم في سواها .

ولعل الحزن كان هو الحالة التي تنبه كوامن المواطف والشجن  
عند ابن جامع . عرف الرشيد عنه ذلك فأمر أن تنعى في مجلس  
لهو والده ابن جامع ، وكان له ما أراد . فما كاد ابن جامع يتلقى  
نعي أمه ، وهو بها بارحى ، حتى اندفع يغنى مرثية بحزن شديد .  
فما ملك جميع من كانوا في المجلس أنفسهم ، وكان العبدان يصربون  
برءوسهم الأعمدة والخبض . وأمر له الرشيد بعشرة آلاف دينار .

وقد سمعنا أن شاعراً أو معنياً كوفي\* عن كل بيت من قصيدة  
غناها مكافأة خاصة ، كأن كل بيت منها قصر من الفن الخالد  
جدير وحده بالتقدير والتعجيد . أرسلت زبيدة إلى الرشيد مرة  
تقول له : يا أمير المؤمنين إني لم أرك منذ ثلاثة أيام وهذا اليوم  
الرابع . فأرسل إليها يقول : عندي ابن جامع فأرسلت تقول :  
أنت تعلم أني لا أهنأ بشراب ولا سماع إلا أن تشركني فيه ،  
فما عليك أن أشركك في الذي أنت فيه ؟ فأرسل إليها : إني سائر  
إليك الساعة . وسار إليها ومعه ابن جامع ، وجعله في موضع  
يُسمع منه ولا يكون حاصراً معهما . ثم أمره أن يغنى فغنى من  
الثقل الثاني أبياتاً في لحن نادر المثال ، فطربت زبيدة طرباً بالغاً  
وقالت لمسلم خادمها : اُدفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف  
درهم . فقال الرشيد : غلبتنا يابنت أبي الفضل وسبقتنا إلى رضيعنا .

وكان ابن جامع يتخذ اربعة وثلاثين من شعر ليضع أجمل  
الاحمال في أحمل الالفاظ والتقوا في . وبنيت هذه الآيات  
التي لا يشجبك منها سحر ومعناه فمن أن تعرف شئ عن حنبا .  
فإن كسيت من النحل حبة مناسبة كانت حسنة ما — يفتخر بها  
الشعر الذي يسمى رنحى ابنى حن . وما أروعها إذا كان الغناء  
لابن جامع .

وكان لي وما — عشت بواحد  
وحلقت صبا في هواك يعذر  
ولكن أنجب لب مروع  
ولا تفتش بعفقه لي ولا الموت يقرب  
نعت أسب ارض خوف سحر

وعنها حتى فب كيف تعصب  
وكان ابن جامع من أولئك العاقره الذين يستقون الجوهره  
حيثما وجدت ، لا يبالون من أين ولا من مادرات هي الجوهره .  
ومن الذين من سمع صوت أحد الناس لئلا يكون به من  
دلت مودته . وممن من يصعب إلى حمات الصيادين أو الهن  
أو الرعاة وصوائف الرعاء فكسب لعمري حديدا . وكسب  
كان ابن جامع حين استمع في حارية سوداء يحمل قربتها خنط  
عنها . بن اشري منها النحل مريين . في يومين متتاليين . دون أن

تعني أنه هو ابن جامع معى الخفاء . وأنها الحارية التي تحبس  
قربه السقاء .

كان لاسر جامع غرفة بأعمس مشرقه على مشرقة فيينا  
هو مثل دات يوم منها رأى أمه سوداء على ظهرها قربة ملاها  
ووسعتها على المشرقة لتستريح ، وحسنت فعمت .

وردى مصاب ثقب أنت فلتة  
ولا بعنى في نضمت كلثا  
إن الله أشكو بحم وسماحق  
لها عسل من وسماحق  
ب الله ن أمسى ولا بدكرينى  
وعين من ذكر كره دوف دما  
أيت عما تفك لى منك صاحبه  
رى الله بأحب الذى كان ثلثا

وفى روايه أخرى أنها غمت :

شكونا إلى أحببنا ضول لينا  
فقالوا لنا ما أقصر الليل عند  
وداك لأن النوم يعشى عيونهم  
سراعاً وما يعشى لنا نوم أعيا

إذا ما دنا الليل المضر لندي الهوى

جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما

نلاق لكانوا في المضاجع مثلنا

ثم أخذت قربتها لتمضي فاستفز ابن جامع من سحر الصوت  
مألا قوام له به . فنزل إلى الحارثية ، وقال لها أعاديه . فقالت  
أنا عنك في شغل بخراحي . قال ولكم هو ؟ قالت درهمان في كل  
يوم . قال فهذا درهمان وردّيه عليّ حتى أخذه . فقالت أما الآن  
فعم . وحلست فلم ترح حتى أخذه منها وانصرفت . ولكن أصبح  
ابن جامع من غد وهو لا يذكر منه حرفا ، وإذا هو بالسوداء  
قد طمعت وفعلت كفعلا بالأمس . فلما وضعت القربة تغت  
غير الصوت الذي يريد ابن جامع فعدا في إثرها وقال : يا جارية  
بحقّي عليك ردّي عن الصوت فقد ذهبت عني منه نعمة . فقالت  
لست أفعل إلا بدرهمين آخرين . فدفعهما إليها وأعادته عليه حتى  
أخذه ثنية ثم قالت له : إنك تستكثر فيه أربعة دراهم وكأني بك  
قد أصبت به أربعة آلاف دينار .

ثم كان ابن جامع عند الرشيد يوماً وهو على سريرته فقال :  
من غاني فأضربني فنه ألف دينار ، وكان أمامه أكياس في كل  
كيس ألف دينار فعنى القوم وغنى ابن جامع فلم يطرب الرشيد

حتى دار الغناء إلى ابن جامع ثانية فغنى صوت الجارية السوداء  
فرمى الرشيد إليه بكيس فيه ألف دينار . ثم قال له أعده فأعاده  
فرمى إليه بثان . ثم قال أعده فرمى إليه بثالث ، وأمسك . فضحك  
ابن جامع . فقال الرشيد : ما يصححك ؟ فقال : لهذا الصوت  
حديث عجيب يا أمير المؤمنين . فقال وما هو ؟ فحدثه به ، وقص  
عليه القصة فرمى إليه بكيس رابع وقال : لا تكذبها قولها .  
وتوفي ابن جامع حوالى عام ١٨٨ هـ ( ٨٠٣ م ) .

## مخاروت

هو أبو المهيأ محرق بن يحيى بن زوس حرار مولى الرشيد .  
 وكان قبل ذلك محاربا بدمية وهو بدمية بدمية في ذلك  
 مكة مرموقة ، وعنها حكاية في بداية عهد المهدي بن أبي طالب .  
 وقيل بدمية . وكان والده حرارا مرموقة ، مما ترعرع وبدمية محرق  
 أحد سادات علي بن أبي طالب في جيش صوته بحسن مباداته .  
 واشتهر به أمير الموصل من عامه ، وضمه لنصير بن يحيى .  
 وأسس من يده إلى الرشيد وكان في عام أمره قتل إبراهيم :  
 ما حذر ديدن الخوارج من بني علي بن أبي طالب فقتل إبراهيم :  
 به ، أمير الموصل من عامه لم يزل في الحرب ولا العجوة منه ثدا . فما  
 استمره الحسد ، وفي بني أبي طالب ، عجبته . فما انتهى إليه أمره  
 أعنته وكان في ولائهم . وفي عهد الرشيد عسسه دما ، إلى إبراهيم  
 الموصل من حسن تعظيمه وخبرته .

وكان بداهة مستوعب حبه لله بن علي قائم مع الحسن بن  
 علي الرشيد دون أبي الحسن . وغنى ابن سابع أعنيه طرفها  
 الرشيد فقتل إبراهيم . وكان الرشيد على ابن جامع وأسر محرق

إلى أسناده الموصى به أحد الزعمية وهو أنه أعم الخيفة يست  
فإن أحسنت فإنك يلبس ومن أسبب في عهده فادعى إبراهيم  
لترتيب هذا المس من صنع ابن جامع . وقد بينت عندك بحرقا  
يعني به . فحضر ابن حارث غلب نعم الأمير المؤمنين غلب هاته .  
فدساه وتخطط به في باحاث . فحرب الرشيد حتى كاد يلبس  
فرحاً . ولما سأل الخيفة ابن جامع أقسم من يديه بما يؤكد  
أن الصوت به وأن يخرقه . سمعه يلامه ساعة . وسأل الخيفة  
إبراهيم ونسيه ثم كرا . ورددت قال الرشيد . حارث . أحسن  
إذن مع تحريك فقد يحاورت مرته من يتوه . ووصفه ثلاثة  
آلاف دينار وفتنعه صيغة ومنزلاً .

ولعل من "غريب" تذكر أن "لكيه" لشجرة الخاج بما يعبر  
بها أكتفها . خصوصاً إذا صدرت من أمير المؤمنين . فهي تنطق  
مسكى حدير الاعتزال به كبقية الألقاب والرف  
غنى بخارق يوماً أمام الرشيد . فأعجب بعنايه وطلب له .  
ولكنه استدعى مرثمة "سياف" فاستدعى حارث وسوره  
الهميم المتعدد من أمره . وقد فسر هرثمة إلى الخيفة نحر سيفه .  
فقال الخيفة : يا هرثمة . بخارق "نسارى" أهدى قسماه بناحية الموصى  
ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو لمه . فقال الصرف . فأنصرف .  
ثم أقبل على بخارق وقال : قد كنتك أبو لمه . فإحسانك . وأسر  
له بمائة ألف درهم وأنصرف بها وبالكنيه .

وما أبلغ وصف الموسيقى حين يصدر عن شاعر فهو وصف  
الفن الصامت بالفن المتكلم . ها هو أبو العتاهية شاعر الحكمة  
والزهد يقصد إلى الموسيقى ، ويؤم بيت مخارق ملتصاً العذراء  
الروحي عنده . إنه جائع الروح . طامئ القاب ، فليتمس شبعه  
وربه عند هذا المعنى العقري .

ذهب أبو العتاهية إلى دار مخارق فقال له : يا حسان هذا  
الإقليم ، يا حكيم أرض بابل ، أصيب في أدنى شيئاً يفرح به قبي  
وتنعم به نفسى . مما عى مخارق أخذ أبو العتاهية يبكى ثم قال له :  
« يادواء المخانين لقد رقت حتى كدت أن أحسوك » (١) . ولو كان  
العناء طعاماً لكان غناؤك أدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .  
وكان لمخارق مذهبه العلم الذى يميز شخصيته الفنية ويحدد  
طابعه الموسيقى . وكان فى مذهبه هذا يأتى بالسحر المعجى . كما وقع  
لأبى العتاهية حين عناه مرة أخرى بيتاً من أبياته فى الزهد اشترك  
فيه عدد من المدحنيين كان القوم فيهم لمخارق .

وكان الواصل شديد الشغف بمخارق حتى أسكنه غرفة  
فى قصره ، لا يرى منزله غير يوم كل أسبوع . وكان الجوارى  
يغني الحليفة مكانه ذلك اليوم . وبينما هو بمنزله فى نوبته الأسبوعية  
وقد صلى الصبح واستمر فى تسيحه وعبادته فى صحن داره وإذا  
بجوارى القصر أقبلت وقب له إن أمير المؤمنين قد دعا بنا فى هذه

الساعة فأعدنا عليه الصوت الذى طرحته علينا فلم يرضه من أحد منا ، وأمرنا بالمسير إليك لنصححه عليك . فأمر الجميع بالجلوس واستعاد الصوت فلم يعجبه من أحد . ودعا بجاريته « عيم » واستعاده منها فلم يرضه أيضاً . فبدأ يعنيه بنفسه . وها يحدثنا ابنه هارون فيقول :

« ... نخرج الوصائف من خجر جواريه حتى وقفن حوالى الأسرة ( فى صحن الدار ) ودخل غلام من غلبانه وكان يتولى سقاية الماء فهجم على الصحن بدلوه ، وجاءت جارية على كتفها جرة من الجرار المزملات <sup>(١)</sup> حتى وقفت بالقرب منه ، فسبقتني عيناى فما كفكفت دموعها حتى فاصت . ثم قطع الصوت حين استوفاه فرجع الوصائف الأصاغر سعيّاً إلى حجرات الجوارى ، وخرج العلامة السقاء يشند إلى بغله ، ورجعت الجارية حاملة بجرتها المزملة إلى الموضع الذى خرجت منه ، فتبسم أبى وقال ماشأ نك يا هارون؟ فقلت يا أبت جعلنى الله فداك ما ملكت عيني ، قال وأبوك أيضاً لم يملك عينه . »

أرأيت كيف تصور لنا هذه الاقصوصة مدى تلك النفوس الطيبة الطاهرة . فهذا مغز فى مقام فنى سما به إلى حد أن الخليفة كاد يغلبه على أهله كل أيام الأسبوع ، وهو فى تلك المكاة لا ينسى صلاته وعبادته وتقديسه . ثم نرى كيف يؤثر الغناء حتى فى أسرة

(١) المزملة: التى يبرد فيها الماء .

المعنى . وقد كالب مفروصاً فيهم أنهم ألفوا منه فنه وأصبح  
عدية هم ولكن قوة الفن تغلبهم جميعاً فتذهل السقاء عن دلالة  
والخارية عن حررتها وكل حدم الدار عن أعمالهم . ثم نرى  
ابنه يبكى . ثم يمد تأثير إلى المعنى نفسه أيضاً فيكى لأنه ما كان  
ليؤثر في غيره فلم يكن هو متأثراً وهكذا يباع محارق مكانة  
لا يستغنى عنها فيها الخبيثة حتى في يوم حارته .

وكان محارق شعوره وغرمه الخاص فقد استولت على قلبه  
حارية لأم جعفر اسمها « نهار » . فباع ذلك أم جعفر أقصته .  
فراح يغنى مشدداً بها وحل كدبك حتى استدعته أم جعفر وغنى  
محصرتها . وكان من دبت

أعيب عنك بود ما لغيره نأى المحل ولا صرف من الزمن  
قد حس الله في عيني ما صنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن  
فكنت « نهار »

تعش بالشغل عن ما تلم بنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن  
فصهمت أم جعفر أهما يتجاوبان بهذا الغناء . خلعت عليه  
ووهبت الحارية له .

وتوفي محارق حوالى عام ٢٢٠ هـ ( ٨٤٥ م ) . وقد كانت  
له ألحان أت أن تموت بموته وأن تدفن معه في الحده . كما وقع  
ذلك لإحدى جوارى المتوكل حين دخل عليها فوحدها تنغى :  
أمن قطر الندى نطمس ثورك أم من البرد

وريقك من - لاف الكر م أم من صفوة شهد  
أيا من قد حرى مى كجرى الروح فى الحسد  
صيرت شهاد فيما أقاسبه من الكمد  
وكان العاء بخارق فأمه الخليفة يلىء هذا المحر عن الخوارى  
جميعاً . مما أتته مرهس بلا يعين سوى هذ المحر ثلاثة أيام  
متواليه . وكان هذ بعد وفاة بخارق .

\*\*\*

وإذا لمستحسن من سيرة بخارق الضوية وأحاره العديدة  
أنه كان دون مسحق وهووف ابراهيم بن المهدي وعويه ، وأنه كان  
ينتمى إلى المدرسة القديمة مدرسة مسحق ووالده . ويلوح لنا من  
حلال ما قرأنا أنه كان يشرك وحداه مع أخيه ويعنى بقسه قبل  
صوته وشعوره قبل ححرته بما كان سباق مع مكانته وإعلاء شأنه .  
وإذا كان من المعين من يعيشون على قديمهم وعلى سمعهم  
الماضية ومستهل شديتهم . فإن بخارقا كان يعو نحمه كلما علت سنه .  
وكان حلو الصوت مديد النفس إلى حد أن يقطع النامى الذى  
يصاحبه وهو متصل الصوت . وكان يهوى المستمع عن نفسه وعن  
عمله ، حتى لقد يزعمون فيما يروون عنه ما يشبه العرائب ، ومن ذلك  
أنه استدعى بعنائه الأطباء فأغى الصباد عن القوس .

وامتدت حياة بخارق إلى بداية عهد المتوكل . وكانت وفاته  
بجلاء إثر طعام تأثر به ، تاركاً للناس تراثاً فنياً وغذاء روحياً  
لا ينضب ولا يفنى .

## إسحق الموصلي

تعارف الناس على أن يقايسوا في تعبيرهم أعلام الغناء بمعبد .  
فهو المشبه به في كل غناء ، واسمه هو المستعار عند كل ثناء .  
ولن نسلب معبداً حقه فيما تمتع به من سمعة طائرة عبر أجيال  
التاريخ ، إلا أن إسحق الموصلي كان جديراً أن ينسى الناس شهرة  
معبد علم الغناء في الدولة الأموية بمكانته هو في الدولة العباسية .  
وكان يمكن أن يقع ذلك لولا ما للأول من العراقة والقدم  
والشخصية التي أنشأها غير معتمد إلا على إلهامه وفطرته  
وعصاميته .

وليس اسم إسحق تعريب على من يقرؤه في هذه الترجمة ، فقد  
مرّ به في أكثر من موضع في هذا المصنف ، وفي مواطن فنية  
دلت على عبقريته الغذة ومادته العزيرة .

إسحق بن إبراهيم الموصلي لا يحتاج إلى بيان أكثر عن نسبه  
ويعشته ، فقد ألمعنا بذلك في سيرة أبيه . عدا أنه يختلف عنه  
الاختلاف كله في نشأته وأسلوب حياته الأولى . فبينما احتمل  
إبراهيم عبء المحن والأرزاء ... احتمل السجن مظلاً والقيد محكماً

والضرب موجعاً والتشريد متواصلاً ، استقبل إسحق وحه الحياة  
باسماً طلقاً في أبهة الخلافة وعظمتها . وناهيك بمن يترعرع ويتقلب  
في أحضان الملايين من ثراء أبيه العريض . وقد بلغت الدولة  
العباسية أوج رقيها ونضجها ، وامتدت حصارها واتسعت رقعتها  
في الشرق والعرب والشمال والجنوب ، وانفسح مجال الحرية  
الفكرية وكثرت الترجمة ، وعظمت مادة الأدب ، ونقلت مدينت  
الأمم عملاً وعملاً وفناً وعمراناً .

بين كل هذا نشأ إسحق وهو يرى نفسه الحصن الوارف  
في دوحة الموسيقى ، والنابع المنفرد من سلاله أكرم موسيقى  
في دولة بني العباس ، والذي أدحر له أبوه فوف ثروة المال ثروة  
النفس التي صن بها على الصفوة من تلاميذه والخطابا من جواربه  
طمعاً في أن يحلفه إسحق على محالس الخلفاء ، دون منافس يتحداه  
أومان يعالبه . وكان لإبراهيم ما أراد لإسحق فتسلم غارب السؤدد  
وبلع أعلى منزلة في ظل ستة من الخلفاء - من الرشيد حتى  
المتوكل - وهو الآنيس الجليس والمقدم الممتاز

أما إسحق فهو أبو محمد كنية ، وأبو صفوان نظرفاً على ما كان  
يكنيه الرشيد به . وقد كانت له قدم راسحة في العلوم والآداب  
والرواية والشعر . وقد قالوا إن الوصف يعجز عن تحديد مكانته  
في النبوع الذي سما به إلى هذه الثقافات المختلفة . فقد كان عالماً

فقيهاً ، وشاعراً مجيداً ، وأديباً أريباً ، وندماً حم الطرف حو  
الشمائل ، وحيساً لطيف المعاشرة رقيق الحاشية لا يستغنى عنه  
الحفباء . وراويّة يروي أخبار القدامى والمحدثين ، بل وكثيراً  
ما كان يصحح خطأ من ينسب الأشياء إلى غير قائلها . وكان مغنياً  
عارفاً بفن الغناء تمام المعرفة وعارفاً ماهراً وملحناً بارعاً . وعلى  
الرغم من ذلك فقد قالوا إن الغناء أصغر علومه وأدنى ما يؤسم به ،  
وهذه مبالغة يقصد بها الإقناع بعلو كعبه وسمو قدره في كل تلك  
العلوم . وكان عليه عدةٌ لتجاربه الفنية ، وموصلاً له إلى المشاعر  
الفسية وإدراك مكنونات العواطف وأسرار العوس ولعقول .  
وقد كان له في علوم بصرى إلا في الغناء فتد سبق فيه من مصى  
ومما لحقه أحد من بني . فكان إمام صناعته حياً وبعد الحياة ،  
بشبه له . من الموافق والمفارق . بل ونشهد له القصة التالية :

حدث محمد بن عتبة الشاعر قال : كنت عند يحيى بن أكرم  
في مجلس له يجتمع . فيه أهل العلم ، وحضره إسحاق ، فجعل  
ناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم في الفقه فأحسن  
واحتج . ثم تكلم في الشعر واللمعة ففاق من حضر . وقبل على  
يحيى بن أكرم وقال : أعز الله القاصي ! أي شيء مما نظرت فيه  
تقصير ؟ قال لا والله . قال : فما بالي أقوم بسائر العلوم وأنسب  
إلى من واحد قد اقتصر الناس عليه ؟ فالتفت ببعض أهل الجدل

إلى إسحق وقال : يا أبا محمد أخبرني . إذا قيل من أعلم الناس  
بالشعر واللغة ، يقولون إسحق أم الأصمعي وأبو عبيدة ؟ فقال  
بل الأصمعي وأبو عبيدة . قال فإن قيل من أعلم الناس بالنحو  
أقولون إسحق أم الخليل وسيبويه ؟ قال بل الخليل وسيبويه .  
قال فإن قيل من أعلم الناس بالأنساب أقولون إسحق أم ابن الكلبي ؟  
قال بل ابن الكلبي . قال فإن قيل من أعلم الناس بالكلام أقولون  
إسحق أم أبو الهذيل والنطام ؟ قال بل أبو الهذيل والنطام .  
قال فإن قيل من أعلم الناس لفظه أقولون إسحق أم أبو حنيفة  
وأبو يوسف ؟ قال بل أبو حنيفة وأبو يوسف . قال فإن قيل  
من أعلم الناس بالحديث أقولون إسحق أم علي بن المديني ويحيى  
ابن معين ؟ قال بل علي بن المديني ويحيى بن معين . قال فإذا قيل  
من أعلم الناس بالهراء أيجوز أن يقول قائل فلان أعلم من إسحق ؟  
قال لا . قال من ههنا نسبت إلى ما نسبت إليه لأنه لا نظير لك  
فيه وأنت في غيرك لك نظراء . فصحك وقام وانصرف .

قال الحيفة المأمون : . لولا ما سبق على ألسنة الناس  
وما اشتهر من أمر إسحق لوليت القضاة محصرتي ، فيه أولى به  
وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة . .  
وهنا نجد أنفسنا أمام نصريح له خطره وجلاله ، وشهادة  
من أمير المؤمنين الحيفة الأعظم لأحد أعلام الموسيقى جديرة

بأن يعتز بها كل موسيقي في العرب ، بل في الشرق كله . هي شهادة  
 بما ينبغي أن يتحمل به كل مشتغل بهذا الفن مؤدياً كان أم ملحناً  
 أم عازفاً ، هاوياً أو محترفاً على سواء . فقد أقر له بسعة الاطلاع  
 ووفرة العلم . ورثته للقضاء في عصر يتبوأ فيه هذا المركز أمثال  
 أبي يوسف صاحب أبي حنيفة للفقيه العظيم . فكان هذا إقراراً  
 من الخليفة بأن إسحق ألم بالفتى والأصول الدينية وأحاط بالعلوم  
 الاجتماعية وتوفر على اللغة وأدبها . وعوها وصرفها ، شعرها  
 وثرها . فإذا أصيب إلى كل هذه "ثقافات شهادة الخلق الرفيع  
 فقد حير له الفجار من جميع نواحيه . ولكن ما هي تلك الاخلاق ؟  
 هي الصدق والعفة والأمانة ورأسها التيس . وهي صفات يكمل بعضها  
 بعضاً . فالموسيقي الصادق العفيف الأمين هو الحدير بأن تعتر به  
 أمته وأن ينال هذه الشهادة من مثل احييه المأمون ، وهو حكيم  
 الخلفاء وعالمهم ورأس المدينة وعنوان الرقي والكمال في عصر  
 بني العباس ، بل الخليفة اندى لم ير المشرق من أعلام هذه الدولة  
 من يماثله أو يدانيه .

وهكذا كان إسحق أسوة في عامة كما كان قدوة في علمه وثقافته .  
 ومن الصفات التي اشتهر بها إسحق بين معاصريه تجنيه على  
 الخلفاء ودله عليهم بتمنه . وأحسب أنه كان يفعل ذلك رفعاً لمكانة  
 فنه عن أن تبذل ولأن كل محبوب محبوب .

سأل إسحق الموصلي المأمون أن تكون دجونه إليه مع أهل  
العلم والأدب والرواة لا مع المعنين فإذا أرادته دعاه عنده .  
فأجابته المأمون إلى ذلك . وسأله بعد حين الإذن له في الدخول  
مع الفقهاء فأذن له قالوا ' وقد كان يدخل ويده في يد قاص ' تقصاة  
يعني بن أكرم . من التقصاة إلى إسحق وسأل المأمون بعد ذلك أن  
يأذن له في الصلاة مع يوم الجمعة في المقصورة . فضحك المأمون  
وقال : ولا تكل دابة إسحق . قد أسربت منك هذه المسألة  
بمائة ألف درهم وأمر له بها .

وفي هذا أعظم تنويه بالمكانة التي راعها إسحق فقد امتد به  
طموحه إلى مكان ليس له الخليفة فيه موضع . فأنتهره الخليفة  
ولا اتبته وإنما رده ردا خيلا ، وتلطف في التحصص من طبعه حتى  
اشتراه منه كما يشترى الشيء الثمين من مالكة .

حدثنا محمد بن عمران الحرثاني عن إسحق الموصلي قال :  
« كان والله إسحق عرة زمانه وواحداً في عصره علماً ، وفهماً ،  
وأدباً ، ووقاراً ، وحوذة رأي ، وصحة مودة . وكان والله يحرس  
الناطق إذا نطق ، ويحتر السامع إذا تحدث . لا يمل حبيبته مجلسه ،  
ولا تمح الأذان حديثه ، ولا تبو القس عن مداولته . إن حدثك  
أهلك ، وإن ناظرك أفادك . وإن غناك أضربك . وما كانت

خصلة من الأدب أو حسن من العلم يتكلم فيه إسحق فيقدم أحد  
على مساحلته أو مناوآته فيه . .

ومن العجيب أن إسحق لم يكن أحسن المعنيين صوتاً في عصره ،  
وإنما كان يفوقه عليهم بحس صناعته وحذقه فنه .

سنررررر الكبير ، وكان من وملاحل المغنين المعاصرين له ،  
كيف كان إسحق يفوق عليكم عند الخلفاء وأت وإبراهيم  
ابن المهدي ومحارو أطيب أصواتا وأحسن نعمة ؟ فان . كنا والله  
نحضر معه فنجتهد في العناء ونقيم الوهج فيه ، ونقبل عينا الخلفاء ،  
حتى نطمع في إسحق ونطن أأأأ غنائه ، فإدأأ عمل في غنائه  
أشياء من مداورته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كما ويقبل عليه  
الخلفة دوننا ونصعي إليه ونجيره . ونرى أنفسنا اضطراراً دونه .

لم يكن إسحق إذن معنياً وفق ماتاهم الصدفة ويوحى به الارتجال  
ويوجه إليه الصوت الحسن ، ولكنه تناول من العناء المرتكز  
على أسس فنية . فوضع القواعد والأصول ، وصبط الأوزان ،  
وأحكم الأجناس والمقامات ، وتصرف بها تصرفاً يشهد له بالبدقة  
والعمق والتنسيق . فأصبح العناء في عصره يعتمد على الأصول  
المحكمة والقواعد المدعمة .

وهذا أحد تلاميذه عمرو بن بانه يحدث عما صنعه أستاذاه  
في الطرائق والأجناس . وفي تقسيم الخفيف والثقيل ، وتميز



وليس أحدى في تصوير تلك الثقافات في حياة إسحق من أن  
يعود إلى حدثه فقطضي معه يوماً كاملاً من أيام شبابه العصف  
وعنده نطلب العلم والتماسه... حياة يوم كامل يختلف فيه إلى العباء  
والقراء والأدباء ولقهاء وأعلام العزف والغناء من رجال وساء،  
تحت رقابة أبيه وفي بلاط الرشيد .

ها هو إسحق يقول : بقيت دهرأ من دهرى أغسر<sup>(١)</sup> في  
كل يوم إلى هشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائي أو القراء  
أو ابن عرانة وأقرأ عليه جزء من القرآن ، ثم أتى مصوراً زلزلاً  
فيصاري ضربين أو ثلاثة ثم أتى عاكفة بنت شهدة وأخذ منها صوتاً  
أو صوتين ، ثم أتى الأصمعي وأما عبيدة وأما شذوها وأما شذوها  
وأما شذوها . ثم أصير إلى أبي فاعله ما صنعت وما لقيت  
وما أحدث وأبغضى معه ، وبدا كان العشاء رحلت إلى أمير  
المؤمنين الرشيد .

وقد يسر عليه أن يحوز هذه الكور كما أه بدل مثلها من ماله  
لأولئك العباء وما كان ذلك التحصيل كله ميسوراً إلا لمن كان  
في مثل ثروة إسحق التي مكنته من أن يعشى الحائس التي يلقيها  
أمثال هؤلاء وينزلهم ما جعلهم أسحباء بما لديهم . وباهيك بمثل  
الأصمعي في أدبه ، والقراء في نحوه ، والكسائي وهو أئمة القراءات

(١) من عجز عنه آخر من

السبع ومؤذات الخليفة ، ومنصور رزلزل أمر عارف بالعود .  
وحسبك مثلاً لهذا البدن السخي الوهيد روايه إسحق عن نفسه قال .  
« أخذ من منصور رزلزل إلى أن تعلت مثل ضربه بالعود أكثر  
من مائة ألف درهم سوى ما أحسنه له من الخلفاء ومن أمه » .

وقد تبيّن بعد يسير من الزمن أن هذه الشقاة المأهله انشأ  
لم يضع ما يدل فيها هباءً ، بل لقد غرست البدور في أرض حصنة ،  
وسرعان ما بدت الثمار باضحة . وأثنت إسحق في فتوته ما سطره  
شيوخ الفس المعمرين في أحطر حليبه فيه سميت أفرد العصر  
من أقطاب الغناء .

اجتمع المغنون يوماً بحضرة الرشيد وجلسوا في صفوفهم  
بناحيتين من المجلس لمناظرة في لغناء ، وبهم إبراهيم بن المهدي  
وابراهيم الموصلي وابن حاتم وفتيح بن أبي العوراء وغيرهم  
وبمجي المكي وإسحق الموصلي وغيرهم من شغل مغربي ذلك العصر ،  
وكان إسحق ما يزال صدياً . وقد اشتد التنافس بينهم فأخذوا  
يتناوبون الغناء في إحادة نادرة وحسن أداء . فلما جاء دور إسحق  
أخذ بالعود وعنى غناء ليس أحسن منه موقفاً في القلوب . وطرب  
الرشيد من صاعته فأقبل عليه وطلب إليه المزيد . فغناه إسحق  
لحناً آخر فأحاد في الغناء إلى ما وراء الغاية حتى قال الرشيد  
وقد كاد يخرج من نياحه لشده الطرب : والله ما الغناء الذي بين

العريكة ويفسح في الرأي والصدر ويحدث في النفس طرباً إلا غناء  
هذا الرجل .

وقد أدناه منه الرشيد فصار له الأنيس والجليس . وما يدل  
على مكانة إسحق ودنوه من مقام الخليفة . بل وهو في الحقيقة  
تقدير للموسيقى وإعلاء للموسيقين . هذه القصة التي نوجزها  
عن إسحق فيما يلي :

يروى إسحق أنه كان يوماً عند الرشيد بين ندمائه وفيهم  
أخوه إبراهيم بن المهدي ، فغنى إسحق :

شربت مدامه وسقيت أخرى وراح المنشون وما انتشيت  
فقال له إبراهيم : ما أصبت يا إسحق ولا أحسنت . فقال  
له إسحق : ليس هذا عما تحسبه وتعرفه وإن شئت فعنه فإن لم أحذك  
تخطي فيه من ابتدئك إلى انتهائك فدمي حلال . ثم قام الرشيد  
لحضر شأنه فانتهر إبراهيم فرصة انصراف الرشيد وأقبل على  
إسحق يصب عليه حام غضبه ويسمعه من تكلم لم ير ما ضاق به  
صدر إسحق . وقد رأى من تعبير عنه أ — يادله الثنائم  
والقذوف وهو من الخائفة حيث يعلم . وإن كان قد رد عنه مثلاً  
بمثل على أسوء الذكر والتحدين . فما عاد الرشيد وثب  
إبراهيم بين يديه يشكو إسحق من أنه شمه واستحلف به .  
والكر الرشيد أمره أن يمسك عن مثل هذا الملعو . حتى يعود

المجلس حيث كان من الطرب والغناء . فيما انقضى المجلس وانصرف  
 الناس استيق الرشيد إسحق وحده . فداحله الخوف على نفسه .  
 فقال له الرشيد : ويحك يا إسحق أتراني لا أعرف وقائعك . .  
 حدثني عنك لو ضربك أخى إبراهيم ، أكنت أقص لك منه  
 فأضربه وهو أخى يا جاهل ؟ أترأه لو أمر غلمانته أن يقتلوك  
 فقتلوك أكنت أقفه بك ؟ فقال إسحق : قد والله قتلني  
 يا أمير المؤمنين بهذا الكلام . ثم استدعى الرشيد أحاه إبراهيم  
 وانفرد به وقال له : لم تستخف بحادى وصيغتي ونديي  
 وابن حادى وصيغته أبى ؟ تُقدم على هذا وأنت مالك  
 والغناء وما يدرك ما هو ؟ ومن أخذ لحنه وطارحك إياه حتى  
 نطرت ألك تحطته فيما لا تدريه ؟ ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك  
 فلا ست لذلك وتعتصم بشتمه . . . وما زال به لوماً وتعنيفاً  
 إلى أن قال : والله لئن أصابه سوء أو سقط عليه حجر من السماء  
 أو سقط من دابته أو سقط عليه سقف أو مات جأة لأقتلك .  
 ثم قال له قم الآن فاخرج .

وقد تلمس في هذه القصة رجاحة عقل الرشيد ثم تساميه بقدر  
 نديمه الموسيقى إلى مرتبة أخيه ، وإنذاره إياه ، وإلزامه نحو إسحق  
 بما يعد أسلوباً من التأمين على حياة ذلك الفنان لأن الفن الممثل  
 فيه جزء من حياة الدولة .

وما كاد إسحق يدرك عصر المأمون حتى رأياه أعلم عصره  
في الغناء ، يعرف غنائه من ثمينه ، وريفه من صحيحه . يصلح فيه  
خطأ المخطئين ، ولا يبرده عن ذلك عظم منزلة المخطيء . لأنه يعتقد  
أن من فوق انجاملات الشخصية وأن الحق والصواب لا يعلوهما  
شيء . فكانت منازعات ومنازعات مع إبراهيم بن المهدي  
وهو أخو الرشيد وعم المأمون وفي ذلك أحداث طويّة .

حدث إسحق قن : دعا المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي  
وفي مجلسه عشرون حاربه ، وقد أحسن عشرأ عن يمينه وعشرأ  
عن يساره . فبدأت سمعت من "الماجية اليسرى خطأ وأسكرته .  
فقال المأمون : يا إسحق أنسمع خطأ ؟ قالت نعم والله  
يا أمير المؤمنين فقال لإبراهيم . هل تسمع خطأ ؟ قال لا . فأعاد  
المأمون على "سؤال فقلت يا أمير المؤمنين ، وبنه لبي الخائب  
الأيسر ، فأعاد إبراهيم سمعه إلى الماجية اليسرى . قال لا والله  
يا أمير المؤمنين ما في هذه الماجية خطأ . فقلت يا أمير المؤمنين مر  
الجواري اللواتي على اليمين بمسكن . فأمرهن فأمسكن فقلت  
لإبراهيم هل تسمع خطأ ؟ وسمع ثم قال ما بها خطأ . فقلت  
يا أمير المؤمنين بمسكن وتضرب الثامنة . فصر إبراهيم الخطأ وقال :  
نعم يا أمير المؤمنين بها خطأ . فقال المأمون عند ذلك لإبراهيم .  
يا إبراهيم لا تمار إسحق بعدها فإن رجلا فهم الخطأ بين ثمانين

وترأ وعشرين حقاً الحدير ألا تماريه فقال إبراهيم صدقت  
يا أمير المؤمنين .

وهكذا كان إسحق مرهف السمع دقيق الفكرة نواز البصيرة  
يفضل إلى ما يفوت غيره من كبار الخذاق وأساطين العناء .

كان عقيد يعنى بحضرة المأمون بمصاحبة أحد العازفين . وكان  
إبراهيم بن المهدي حاصراً . ودخل عليهم إسحق . فقال المأمون :  
كيف تسمع معيها هذا ؟ فقال : هل سأل أمير المؤمنين عيسى ؟  
قال الخليفة : نعم سألت عمي إبراهيم بن المهدي فوصفه وقرطه  
واستحسنه . فقال إسحق : يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك  
وأصاب عيشك ، إن الناس قد أكثروا في أمرى حتى نسبتني فرقة  
إلى التريد في عملى . فقال له المأمون . لا يمنعك ذلك من قول الحق  
إذا لمك . فالتفت إسحق إلى عقيد وقال له اردد الصوت . فردده  
وتحفظ فيه وضرب صاربه عليه . ولما انتهى سأل إبراهيم بن المهدي  
كيف رأيت ؟ قال ما رأيت شيئاً يكره . فأقبل على عقيد وسأله  
في أى طريقة هذا الصوت الذى غنيت ؟ أجاب فى الرمل . فسأل  
الصارب فى أى طريقة ضربت أم ؟ أجاب فى المزج الثقيل .  
فقال إسحق : يا أمير المؤمنين ما عسيت أن أقول فى صوت يعنى  
معنييه رملاً ويضرب صاربه مزجاً وليس هو صحيحاً فى إيقاعه  
الذى ضرب عليه . فأخذ المأمون العجب لما فطن إليه إسحق وقد

فات سواء برغم تكرار الصوت والثناء . وأحاطه بالتكريم والتوقير  
وأثنى عليه خير الثناء .

ولم تكن صناعة إسحق في العناء سهية المأخذ فقد حدث  
عجيف بن عنيسة قال : كنت عد أمير المؤمنين المعتصم ، وكان  
إسحق الموصلي يغنيه :

قل لمن صد عاتبا      ونأى عنك جانبا  
قد بلغت الذي أردت      وإن كنت لاعبا

فأمر المعتصم بإعادته ثلاثاً . فقال إبراهيم بن المهدي : قد  
استحسنتم هذا الصوت يا أمير المؤمنين أفأخذه ؟ قال نعم خذوه  
فقد أعشى . فاجتمع جماعه من المغنين ، محارق وعلاويه وعمرو بن بانه  
ومحمد بن الحرث وغيرهم وأمر المعتصم إسحق أن يلقيه عليهم حتى  
يأخذوه . قال عجيف فعددت خمسين مرة قد أعاده فيها عليهم وهم  
يطنون أنهم قد أخذوه ، ولم يكونوا أخذوه لكثرة زوانده .  
وقد قال محمد بن الحرث في ذلك : ومن يقدر أن يأخذ من ذلك  
الشیطان شيئاً !!!

وأحسب أن إسحق قد تعمد الصن بلحنه على هؤلاء المعنيين .  
فقد كان إسحق كاتبه إبراهيم صديقاً بفسه ، شجياً يأتاجه حتى  
على أقرب جواريه وأدناس إليه . وهي صفة مانحها لأحد ،  
وما نرصاها للفنان خاصة كائناً ما كان زمنه أو وطنه . ولعل أمثال

هؤلاء وقد ابتكروا في التدوين الموسيقى ما سبق به العرب سواهم  
هم الذين تحلفوا براث الموسيقى العربية بسبب هذه الأناية الفنية  
وهذا الشغ وحب الدات وما يرا دقها من الحلال ، هي التي جمت  
ونجى دائماً على الفس والفنائين . ومن يدرى لعل علوماً كثيرة  
ضافية بافعة كانت تجدى على البشر ، ولكنها وقعت في أيدي  
أشياء فاحجزوها احتجاز البحلاء بأموالهم على أن دافن  
الكنوز تحت الراب قد يعثر عليها ولكن كنوز الإنتاج العقلي  
إذا ذهبت مع أصحابها ودفنت معهم فليس لها من عودة آخر الدهر

ومن الأدلة على اعتزاز إسحق بعنه وحوه أن ينسرب من  
أفواه من يتصلون به ما تحدثنا عنه ، ومن من كبار حواريه  
وأحلى من عنده ، فقد قالت لمن سأها في ذلك : ما أخذت أنا عنه  
ولا واحدة من حواريه صوتاً قط ، إنه كان يخل بذلك ؛  
وما أخذت منه إلا صوتاً واحداً ، وذلك أنه انصرف من دار  
الحليفة فدخل إلى البيت فرأى عوداً معلقاً فحده بيده وقال لخدمه  
يا غلام صح لي بدمس ، فجاءني "علام خرجت . فلما بلغت الباب  
إذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا  
الصوت ويردده :

ألا ليك لا يذهب ونيط الطرف بالكوك  
وهذا الصبح لا يأتي ولا يدنو ولا يقرب

وقد تنوّق (١) في هذا الصوت وبلغ في تحويده حتى استقام  
له . أما أنا فعلت أني إذا دخلت إليه أمسك ، فوقفت أستمع  
حتى فرغ منه . ثم وضع العود من يده وتذكر أنه طلبني ، فقال  
يا علام أس دس ؟ فقلت هأدا . فقال منذ كم أنت واقفة ؟ فقلت  
منذ ابتدأت بالصوت وقد أحسته . ونظر إلى نظري مغضب آسف .  
ثم قال عنه . فعنته حتى استوفيته فقال لي وقد فر وخبيل قد  
بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك فقلت لست أحتاج إلى  
إصلاحك إياه وقد والله أحسنته على رعمك . فضحك .

ونرى يسحق كثيراً ما يحاول الحرب من تلك النفس التي  
حلمها السهر والعناء والحر والهبوط إلى نفس أخرى راغبة متعبدة  
بمن عند فصاء الله وتسلم إلى يد غيره يقول .

ولما رأيت الدهر أحت صروقه  
على وأودت بالبحار والمقد

حذفت فضول العيش حتى رددتها  
إلى القوت خوفاً أن أجاء إلى أحد

وقلت انفسى أبشرى وتوكلى  
على قاسم الأوراق والواحد الصمد

(١) أي تألق وتأنق .

وهي صورة من الشعر كان أخرى بها أن تصدر من رجل  
زاهد متقشف ، لا من إسحق ربيب العمة والثراء وصاحب الدنيا  
والثرب والعناء ، ولكنه اتجه بهذا القول يريد أن يطمئن إلى قضاء  
الله بعد أن أفزعته مظاهر البرق وحمت في أعصابه ألوان  
الرفاهية والنعيم .

وامتدت السنون بهذا المبقري فعد عهود الخلفاء حتى أقبل  
عصر الوراق وقد بيع به الكبر حداً استعصى فيه من العرف  
أو أعنى منه ، وبني له فيه سلمه وفصله . وهو يدرك ذلك بعشى مجلس  
الخليفة غير محول القدر أو متقصه .

ناظر المعنون في محسن الوراق من هو أمير نجد بين بالعود ،  
وكان ملاحظ رئيس العارفين إيداك ، فرأى إسحق أن يقدم  
عليه غيره . فقال الخليفة : هذا حيف منك . فلبس إسحق أن يجمع  
بين المتنافسين حتى ينجلي الأمر فيهما . فباحصر المتحكما في المعروف  
من الأصوات فذكر ثلاثة منها . فتقدم المتنافسين وفصّر ملاحظ  
في أولها . فعجب الوراق لأصانة حكمه وسرعه كشفه . فحاول  
ملاحظ أن يستغل شجوه إسحق لإخراجه وتحديه ، فقال :  
يا أمير المؤمنين م لا نصرب هو ؟ فقال إسحق : يا أمير المؤمنين  
إنه لم يكن أحد في زمانى أضرب مى ، إلا أنكم أعفيمونى فتخلت  
عنه ، عى أن معى بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطقة . ثم قال .

ملاحظه نموده و تارة عودت و هاته . فعلى ملاحظه ذلك .  
فأحد إسحق العود و تعرف أبعاده و مواضعه دون إصلاح و عي .  
ثم قال للملاحظ عن ما شئت . فعنى ملاحظ صوتا صاحب فيه  
إسحق يعرفه بدت العود بماسد النسوية ، فلم يخرج عن لحنه في  
موضع واحد حتى استوفاه و يده تصعد و حذر على الدساتين <sup>(١)</sup>  
فقال له الواثق لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به . فقال  
إسحق يا أمير المؤمنين لقد بلغني أني قد غلبت <sup>(٢)</sup> ، صرنا يوماً  
بين يدي كسرى خسده . نحن من حقائق أهل صغته و رقة حتى  
قام بعض من به <sup>(٣)</sup> تصدق بعوده ، فبدا نسوة بعض أوتاره ،  
فخرج صرنا و شو <sup>(٤)</sup> . و لمولك لأصلح في محاسنها . قال ،  
فلم <sup>(٥)</sup> يتصرف بدت العود <sup>(٦)</sup> . في <sup>(٧)</sup> من <sup>(٨)</sup> فاه و أحر  
المدب ، <sup>(٩)</sup> ففتح <sup>(١٠)</sup> . عرف ما فيه . فقال له  
من <sup>(١١)</sup> . عدي غير بكرم نقيض لركبة <sup>(١٢)</sup> و بين  
في <sup>(١٣)</sup> . <sup>(١٤)</sup> . عدي <sup>(١٥)</sup> حتى <sup>(١٦)</sup> . فقال  
له أوبى <sup>(١٧)</sup> . <sup>(١٨)</sup> . <sup>(١٩)</sup> . <sup>(٢٠)</sup> . <sup>(٢١)</sup> . <sup>(٢٢)</sup> . <sup>(٢٣)</sup> . <sup>(٢٤)</sup> . <sup>(٢٥)</sup> . <sup>(٢٦)</sup> . <sup>(٢٧)</sup> . <sup>(٢٨)</sup> . <sup>(٢٩)</sup> . <sup>(٣٠)</sup> . <sup>(٣١)</sup> . <sup>(٣٢)</sup> . <sup>(٣٣)</sup> . <sup>(٣٤)</sup> . <sup>(٣٥)</sup> . <sup>(٣٦)</sup> . <sup>(٣٧)</sup> . <sup>(٣٨)</sup> . <sup>(٣٩)</sup> . <sup>(٤٠)</sup> . <sup>(٤١)</sup> . <sup>(٤٢)</sup> . <sup>(٤٣)</sup> . <sup>(٤٤)</sup> . <sup>(٤٥)</sup> . <sup>(٤٦)</sup> . <sup>(٤٧)</sup> . <sup>(٤٨)</sup> . <sup>(٤٩)</sup> . <sup>(٥٠)</sup> . <sup>(٥١)</sup> . <sup>(٥٢)</sup> . <sup>(٥٣)</sup> . <sup>(٥٤)</sup> . <sup>(٥٥)</sup> . <sup>(٥٦)</sup> . <sup>(٥٧)</sup> . <sup>(٥٨)</sup> . <sup>(٥٩)</sup> . <sup>(٦٠)</sup> . <sup>(٦١)</sup> . <sup>(٦٢)</sup> . <sup>(٦٣)</sup> . <sup>(٦٤)</sup> . <sup>(٦٥)</sup> . <sup>(٦٦)</sup> . <sup>(٦٧)</sup> . <sup>(٦٨)</sup> . <sup>(٦٩)</sup> . <sup>(٧٠)</sup> . <sup>(٧١)</sup> . <sup>(٧٢)</sup> . <sup>(٧٣)</sup> . <sup>(٧٤)</sup> . <sup>(٧٥)</sup> . <sup>(٧٦)</sup> . <sup>(٧٧)</sup> . <sup>(٧٨)</sup> . <sup>(٧٩)</sup> . <sup>(٨٠)</sup> . <sup>(٨١)</sup> . <sup>(٨٢)</sup> . <sup>(٨٣)</sup> . <sup>(٨٤)</sup> . <sup>(٨٥)</sup> . <sup>(٨٦)</sup> . <sup>(٨٧)</sup> . <sup>(٨٨)</sup> . <sup>(٨٩)</sup> . <sup>(٩٠)</sup> . <sup>(٩١)</sup> . <sup>(٩٢)</sup> . <sup>(٩٣)</sup> . <sup>(٩٤)</sup> . <sup>(٩٥)</sup> . <sup>(٩٦)</sup> . <sup>(٩٧)</sup> . <sup>(٩٨)</sup> . <sup>(٩٩)</sup> . <sup>(١٠٠)</sup> . <sup>(١٠١)</sup> . <sup>(١٠٢)</sup> . <sup>(١٠٣)</sup> . <sup>(١٠٤)</sup> . <sup>(١٠٥)</sup> . <sup>(١٠٦)</sup> . <sup>(١٠٧)</sup> . <sup>(١٠٨)</sup> . <sup>(١٠٩)</sup> . <sup>(١١٠)</sup> . <sup>(١١١)</sup> . <sup>(١١٢)</sup> . <sup>(١١٣)</sup> . <sup>(١١٤)</sup> . <sup>(١١٥)</sup> . <sup>(١١٦)</sup> . <sup>(١١٧)</sup> . <sup>(١١٨)</sup> . <sup>(١١٩)</sup> . <sup>(١٢٠)</sup> . <sup>(١٢١)</sup> . <sup>(١٢٢)</sup> . <sup>(١٢٣)</sup> . <sup>(١٢٤)</sup> . <sup>(١٢٥)</sup> . <sup>(١٢٦)</sup> . <sup>(١٢٧)</sup> . <sup>(١٢٨)</sup> . <sup>(١٢٩)</sup> . <sup>(١٣٠)</sup> . <sup>(١٣١)</sup> . <sup>(١٣٢)</sup> . <sup>(١٣٣)</sup> . <sup>(١٣٤)</sup> . <sup>(١٣٥)</sup> . <sup>(١٣٦)</sup> . <sup>(١٣٧)</sup> . <sup>(١٣٨)</sup> . <sup>(١٣٩)</sup> . <sup>(١٤٠)</sup> . <sup>(١٤١)</sup> . <sup>(١٤٢)</sup> . <sup>(١٤٣)</sup> . <sup>(١٤٤)</sup> . <sup>(١٤٥)</sup> . <sup>(١٤٦)</sup> . <sup>(١٤٧)</sup> . <sup>(١٤٨)</sup> . <sup>(١٤٩)</sup> . <sup>(١٥٠)</sup> . <sup>(١٥١)</sup> . <sup>(١٥٢)</sup> . <sup>(١٥٣)</sup> . <sup>(١٥٤)</sup> . <sup>(١٥٥)</sup> . <sup>(١٥٦)</sup> . <sup>(١٥٧)</sup> . <sup>(١٥٨)</sup> . <sup>(١٥٩)</sup> . <sup>(١٦٠)</sup> . <sup>(١٦١)</sup> . <sup>(١٦٢)</sup> . <sup>(١٦٣)</sup> . <sup>(١٦٤)</sup> . <sup>(١٦٥)</sup> . <sup>(١٦٦)</sup> . <sup>(١٦٧)</sup> . <sup>(١٦٨)</sup> . <sup>(١٦٩)</sup> . <sup>(١٧٠)</sup> . <sup>(١٧١)</sup> . <sup>(١٧٢)</sup> . <sup>(١٧٣)</sup> . <sup>(١٧٤)</sup> . <sup>(١٧٥)</sup> . <sup>(١٧٦)</sup> . <sup>(١٧٧)</sup> . <sup>(١٧٨)</sup> . <sup>(١٧٩)</sup> . <sup>(١٨٠)</sup> . <sup>(١٨١)</sup> . <sup>(١٨٢)</sup> . <sup>(١٨٣)</sup> . <sup>(١٨٤)</sup> . <sup>(١٨٥)</sup> . <sup>(١٨٦)</sup> . <sup>(١٨٧)</sup> . <sup>(١٨٨)</sup> . <sup>(١٨٩)</sup> . <sup>(١٩٠)</sup> . <sup>(١٩١)</sup> . <sup>(١٩٢)</sup> . <sup>(١٩٣)</sup> . <sup>(١٩٤)</sup> . <sup>(١٩٥)</sup> . <sup>(١٩٦)</sup> . <sup>(١٩٧)</sup> . <sup>(١٩٨)</sup> . <sup>(١٩٩)</sup> . <sup>(٢٠٠)</sup> . <sup>(٢٠١)</sup> . <sup>(٢٠٢)</sup> . <sup>(٢٠٣)</sup> . <sup>(٢٠٤)</sup> . <sup>(٢٠٥)</sup> . <sup>(٢٠٦)</sup> . <sup>(٢٠٧)</sup> . <sup>(٢٠٨)</sup> . <sup>(٢٠٩)</sup> . <sup>(٢١٠)</sup> . <sup>(٢١١)</sup> . <sup>(٢١٢)</sup> . <sup>(٢١٣)</sup> . <sup>(٢١٤)</sup> . <sup>(٢١٥)</sup> . <sup>(٢١٦)</sup> . <sup>(٢١٧)</sup> . <sup>(٢١٨)</sup> . <sup>(٢١٩)</sup> . <sup>(٢٢٠)</sup> . <sup>(٢٢١)</sup> . <sup>(٢٢٢)</sup> . <sup>(٢٢٣)</sup> . <sup>(٢٢٤)</sup> . <sup>(٢٢٥)</sup> . <sup>(٢٢٦)</sup> . <sup>(٢٢٧)</sup> . <sup>(٢٢٨)</sup> . <sup>(٢٢٩)</sup> . <sup>(٢٣٠)</sup> . <sup>(٢٣١)</sup> . <sup>(٢٣٢)</sup> . <sup>(٢٣٣)</sup> . <sup>(٢٣٤)</sup> . <sup>(٢٣٥)</sup> . <sup>(٢٣٦)</sup> . <sup>(٢٣٧)</sup> . <sup>(٢٣٨)</sup> . <sup>(٢٣٩)</sup> . <sup>(٢٤٠)</sup> . <sup>(٢٤١)</sup> . <sup>(٢٤٢)</sup> . <sup>(٢٤٣)</sup> . <sup>(٢٤٤)</sup> . <sup>(٢٤٥)</sup> . <sup>(٢٤٦)</sup> . <sup>(٢٤٧)</sup> . <sup>(٢٤٨)</sup> . <sup>(٢٤٩)</sup> . <sup>(٢٥٠)</sup> . <sup>(٢٥١)</sup> . <sup>(٢٥٢)</sup> . <sup>(٢٥٣)</sup> . <sup>(٢٥٤)</sup> . <sup>(٢٥٥)</sup> . <sup>(٢٥٦)</sup> . <sup>(٢٥٧)</sup> . <sup>(٢٥٨)</sup> . <sup>(٢٥٩)</sup> . <sup>(٢٦٠)</sup> . <sup>(٢٦١)</sup> . <sup>(٢٦٢)</sup> . <sup>(٢٦٣)</sup> . <sup>(٢٦٤)</sup> . <sup>(٢٦٥)</sup> . <sup>(٢٦٦)</sup> . <sup>(٢٦٧)</sup> . <sup>(٢٦٨)</sup> . <sup>(٢٦٩)</sup> . <sup>(٢٧٠)</sup> . <sup>(٢٧١)</sup> . <sup>(٢٧٢)</sup> . <sup>(٢٧٣)</sup> . <sup>(٢٧٤)</sup> . <sup>(٢٧٥)</sup> . <sup>(٢٧٦)</sup> . <sup>(٢٧٧)</sup> . <sup>(٢٧٨)</sup> . <sup>(٢٧٩)</sup> . <sup>(٢٨٠)</sup> . <sup>(٢٨١)</sup> . <sup>(٢٨٢)</sup> . <sup>(٢٨٣)</sup> . <sup>(٢٨٤)</sup> . <sup>(٢٨٥)</sup> . <sup>(٢٨٦)</sup> . <sup>(٢٨٧)</sup> . <sup>(٢٨٨)</sup> . <sup>(٢٨٩)</sup> . <sup>(٢٩٠)</sup> . <sup>(٢٩١)</sup> . <sup>(٢٩٢)</sup> . <sup>(٢٩٣)</sup> . <sup>(٢٩٤)</sup> . <sup>(٢٩٥)</sup> . <sup>(٢٩٦)</sup> . <sup>(٢٩٧)</sup> . <sup>(٢٩٨)</sup> . <sup>(٢٩٩)</sup> . <sup>(٣٠٠)</sup> . <sup>(٣٠١)</sup> . <sup>(٣٠٢)</sup> . <sup>(٣٠٣)</sup> . <sup>(٣٠٤)</sup> . <sup>(٣٠٥)</sup> . <sup>(٣٠٦)</sup> . <sup>(٣٠٧)</sup> . <sup>(٣٠٨)</sup> . <sup>(٣٠٩)</sup> . <sup>(٣١٠)</sup> . <sup>(</sup>

(۱) ع. م. ج. ۲ (۲) کپڑے، سوسائٹی، لائٹنگ

انصاره على الأوتار التي فتدت استقامة أوضاعها ، كما تتجلى عناية  
ملوك الشرق ، له سبع وأهبا ، سواء أ كانوا ملوكا في الفرس  
أو حلفاء في مروية والإسلام

وإذا كان هذا هو مقام إسحق في التتويج على أقرانه  
من أعلام العلماء والعزف في عصره فلم يكن عجا أن يتتويج على  
الحكمة نفسه ، ولكن في هذه الصناعة أيضا

روى أن الواثق أمر إسحق أن يصنع حياً في شعر كان قد  
لحه الواثق وعنى به غداً أعجبه ، فعنى به إسحق في لحن حديد صاعه  
فيما سمعه الواثق قال : أفسد عينا إسحق ما كد أعجابه من عاها .  
أرايت كيف كان الله السبع في لحن حين حصح سطان دوله  
الحكم لستين دولة في . . . ولا يصعب الحيفة ، بل هو نفس  
الدليل على . . . ربحه وعو قدره .

وعنى ربحه من أن إسحق ، قد جمع بين الثقافتين العربية  
والفارسية ، ورغم أنه يدرسي ، فقد ظل حياته شديد التعصب  
لكل ما هو عربي . . . من بين ربحته هذه ، بقى عبد الله الموسيق  
وأحاطها حبس ، من . . . في شعره . . . لم يعمد في فريقه  
إطلاقاً إلى الأساليب التي استحدثها شعراء المودون ولم يهتج  
نهجهم في الملبس . . . الأوراق المصورة القصيرة ، فهو لم يشبه أنوار  
قط في مثل قوله

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

إنما كان إسحق متأثراً بشعراء الصدر الأول للإسلام  
في أساليب الشعر وأوزانه ومعانيه . بل إن ذوقه الموسيقى ليتحلى  
في ألفاظه خاصة . فإليك لن نستطيع أن نستخرج لإسحق لفظة  
منكره أو كلمة كريهة على السمع في عامة شعره .

وكان إسحق إذا غنى في مثل هذا الشعر الجيد سلب الألباب  
وسحر العقول . وفي ذلك يقول أمير المؤمنين الواثق بالله :

« ما غناني إسحق قط إلا طيب أنه قد يدل في ملكي ،  
وإن إسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يعط بمثلها ، ولو أن العمر  
والشباب والشباب بما يشترى لا شريتهن له بشر ملكي . »  
وهل يمكن أن يقال أبلغ من هذا القول في تكريم الموسيقى  
وأهلها ؟

وكان إسحق يتحلى بالاشجاعة والفروسية . وينبغي أن ينسب  
إليهما ، وقد اشترك في بعض الحروب .

ولارمت إسحق روحه المرححة طول حياته . فلما تقدمت به  
السن لم يمنعه الشيب عن ميله للترب وحه للرح . وفي ذلك يقول :

لاح بالمفرو منك القنير	وذوى غصن الشباب النضير
إن ترى شيباً علاني فإني	مع ذاك الشيب حلو مزير
قد يفل السيف وهو جزا	ويصول الليث وهو عقير

وانك لتراه في هذا الشعر يعارض ويلج في معارضة أن "شيب  
يتعارض مع الخوف والكاسية. ثم يقارن هذه الحال بحال الأسد  
الذي يقوى على المصاةة وهو حريج. بل إنه لا يتف عه هذا  
الحد بل يتحدى الشبان فيقول ( قد بفل السيف وهو حزار )  
يشير بذلك إلى أن الشبان المكتمل الشبان قد يكون غائراً مشبهاً  
الهمة كالسيف المفلول .

وكانت وفاة إسحق . وقد بلغ الثمانين من عمره ، في شهر  
رمضان سنة خمس وثمانين ومائتين من الهجرة ( ٨٥٠ م ) . ولم  
نمى إلى المتوكل عمه ذلك وحزن عليه ، وقال : ذهب صدر عظيم  
من جمال الدنيا وبهاء ورياسة . ورثاه كثير من الشعراء بقصائد  
طويلة عامرة نفيسة .

## عربى

حارية من حوارى عن . . . هي القلوب كلها محتمة ، وكأن  
تقدر قد صفت بها ك . . . تتجلى صورة الحياة الاجتماعية  
والتربية في دونه من لغات . . . غمسة و . . . ولو أتيح لنا  
في . . . و . . . لتعرف . . . من الحوارات شرب كل من  
بالحية من روحى . . . . . كانت فيها لشاعرة والكاتبة  
واخاتة وتعلمه والروية الأدبية وتعرفه بارع والمعنية  
الظرف . . . . . على اختلاف هذه السرا . . . . . أكل  
من أن يكن محادثة عن عربى . . . . . جمعت ذات . . . . . إلى جمال فاض  
و . . . . . و . . . . . وطاف بين المساعر وشخصية هادى  
يهرق صور احدهم ويترس نكباتها حبيبه بعد حياء . . . . . بعد عظم . . . . .

هذه هي عربى . . . . . أصبحت تسمى لشخصيتها من مبتدئ من  
أنشأت تاريخ . . . . . وسلاقتها في عصر من أمية . . . . . وكان عزة  
الميلاد وحمية وسلامه ومن . . . . . في صفتها من . . . . . الحركات  
قد استعدن وجود من . . . . . وأصبحت حبيبتهم في روح هذه الحارية  
التي كانت تبدو وشخصيات متعددة . . . . . شخصية واحدة . . . . . أو أنها كانت

مثلاً أعي لما ينبغي أن تتحلى به حوارى الطقة العليا . ردا أغصينا  
عن ناحية صعيقة في حياتها . إنما يفتن من شأنها أنها بلغت القمة  
في الموسيقى فناً وعلمياً . وأداة وعناء . فكان لها من مروياتها  
إحدى وعشرون ألف مقنوعة غنائية . ومن له كل هذه الثروة  
من الرواية فخرى به أن يدع ويدع ..

و يدع من يديك صورة محبته في كبد المعاصر نصفها  
هـ . ان . ما رأيت امرأة أصرت من عريب . لا أحسن صمعه  
هـ . لا أحسن وحباً . ولا أحف روحاً . ولا أحسن حياء .  
هـ . سرع جواناً . ولا ألب . شئ ثم وورد . ولا أجمع لخصه  
هـ . ما رأيت في امرأة غير هـ .

ومع أن عريب يجمعها أحدها . في هذه المراتى التي  
نقد كان حد خصوم . يحزنون عاب هـ . له احسن المحاذن . هـ .  
الهـ . يجمع والمقنوعة ذات السبع الرخيص . ودهن . هـ .  
المأخذ هـ . ضا . يشكو نحن منه في زمان . واشتكي منه . هـ .  
هـ . لأنه استدلال جوهر الموسيقى . ويدرول به . هـ .  
المواضع . على أن ندعم كل . شئها فسمعى مقامات تنه بها  
همنه ويعاوجاجه . وله في حصص الأحياء . لات وهناك هـ .  
هـ . هـ . يسار . يرد على حارة هـ . في شعر يهـ . هـ .  
الاحسان من دهم يسوى لفتح . مثل قوله

بأبيه ربه ليت نص احل في لويت

لها غير دححات ودمك حسن صوت

ويعرض ليدى ابن حار له أن يعرض المعين ويعرض  
عليهم وبه معتز ربه في حصرة الحفاه لم ينح أباه من القدر فجعل أعلى  
عمائه في ثقت محصوره ، أعنى مائتي أعنيه هي التي دلت عمده الشأو  
العب والمدم الرقيق ، ومشها متوسط ، وتقيتها صنعه تفة يرى أن  
أباه كان حشاً لا يعرفها إلى فنه .

وإذا كان هذا شأن مش إسحق مع أبيه ابراهيم ، أفلا تلتبس  
المعرة بخبره عتب عليها الأسها في شمر كبير من حياتها !!  
وهو في صفة أبا في شمر من غيرها !! عن أنها مع هذا قد  
شوم ، أعنى لها مداتها وحظرها . وحسبها أن يأمر الخليفة  
المعتمد بمعادها في استدعائها هي رسول الرواة نقل تلك  
الأسهات في بيت و به مائس وأنس ، وهو ضعف محصول  
إبراهيم الموصى أسى بمع في عصره به ربه الس وسلطانه .

وهو استنهت عرب لتقدم يكن " سعت عليه سوى حقد  
هي لسب في بثرته . في بعض عند الله الخشمي ، فإيه كان يغني  
للمتوكا ورماد المعبر بصره قتال : وإني تفت عن العدم مر قتل  
سيدى المتوك . فأضات غريب لسانها وفات : . حسب حيث  
تفت فإن غنائك كان قليل المعنى لا متقد ولا صحيح ولا صرياً ،

فاضحكت المجلس جميعاً منه شغل فكان بعد ذلك يكيل لها نضاع  
صاعين ويقول عن صفتها هي ألف صوت في العدد ، وصوت  
واحد في المعنى ، وبوَّح بقوله القائل :

يا عين مكنتي حادثة أنك ويدعي واحداً

وليس بمستغرب أن يكون ما عصف به من رباح النقد كان  
مصدره الاستمالة منها ، واعتزازها بنفسها ، اعتزاز آل عمره عسى  
من منافسها ومنافساتها خلق لها حصوم حرجوها في فيها ، فإذا لم  
يكن لهم سبيل إلى ذلك ، عمدوا إليها هي تخشوها بأظفار حادة  
في نواح شخصيه .

ولكن من هي عرب ، تبت في شعاب أدهان الرواة  
والفنانين ردحاً من الدهر غير قس ، وحت من تصور الحياء  
حلول البدر المتقل في منازلها ؟

قالوا إنها جارية لعمد الله بن إسماعيل . ولكن من أي سوق  
اشتراها ؟ أو بالأحرى من أي لمروى تحدثت دماؤها ؟

لقد قالوا في ذلك قولاً له شأنه وحضره . فتحدثوا أن عريب  
قد واجهت الدنيا من رفعة عالية وفقه رفيعة ، وأنها بنت جعفر  
ابن يحيى ، أي أنها من خير بيوت الورى والسلطان . فمها فاصمة  
وصيفة عمادته بن يحيى بن خالد الترمكي . قوله هو جعفر بن يحيى حين



وقد تلاضمت أنوار الخواص بعرب وأحب لها من  
مصرح متبانية كباين انوارها فيها ومهم يكن من قول من عرب  
فيها يسو السالك فنانة العرعة . من صعب أن يحكم عليها راجح  
القصص سلف لسحب والخبج وقد آن مرها أجبراً إلى الآمين  
في أول سرفه . حتى إذا فن عذب إلى سببها لأول . وبعد  
سكون نفس واسواء مشنوع عن أوج حذمه ذات عرب  
في الطبيعة . وحرث عبق الأفضيه والأحداث . ثم آلت إليه  
أخيراً تحت من قلبه محل قلبه . ضيما بها وملا إليها . كانت  
بعد وفاته في تركته فاشتراها المعصم بمئة ألف درهم وأعتقها .  
فكان له ولاؤها

وهذه احببة والانصاف لارما في شبيب . في منها وفي عاها  
وأكر ما عساه من المعين احتضرم في الشرب على المطفه  
المشوبة كثره . وعلى لوحد وطبام . وأحب وأحسن  
أما عرب فلم دعت بهذه ماضية في تلك الحدود الضيقة بين  
رسم وضن . ومعشوق وعشرون . وهاجر وفصول .  
من توسعت في موضوعها وخدوت به المسألة الفردية في قصه  
الإساية الرحب وهي حينئذ أن تهدف إلى هذه لغة عاده  
أو مرئيه لا يكون شاعرها شبيب أو نواس أو شدر ولكن  
تتمسه عند أن لغاهه الشعر الإنسي الذي يعين الحقيقة مدسه  
والخاتمة متصده .

زارها مرة علوية المعنى حفظ منها بيتين وأحسن روايتهما وأداء  
لحهم ، ثم حضر إلى المؤمن ومشي إليه في رقص وتصفيق  
وهو يعنى .

عنبرى من الإنسان لا إن حفته  
صفالى ولا إـ كنت طوع يديه  
وإنى لمشتاق إلى قرب صاحب  
بروق ويصغو إن كـ كرت عليه

فسمع الحبيبة من هذا المحن ما لم يسمع منه من قبل وسحرهم  
ما فيه من . وعة وبراعة ، فاستعادوه سبع مرات ثم أثر الخليفة  
ذلك الصاحب الذى يشده أو "عناهة فى البيت الثانى ، ذلك  
الصاحب الذى لا تغيره الأسماء ولا يمين به السراء . فقال لعالوية  
بعد أن عناه للمرة "سابعة : . . . الحلاء واعلمى هذا الصاحب .

ولا عجب أن تصوع عرب فى لحنها ما يهر مشاعر المؤمن  
إلى استعادته سبع مرات ولكن ما الذى أثار فيه تلك الهزة  
العجيبة والشيوق المحيول إلى الصاحب المنشود ؟ ألم يكن قد سمع  
هو ولا أحد من حسائه هذا الشعر من أبى العناهة أو من روى  
عنه ؟ ... لعل ذلك قد كان . ولعله سمعه المرة بعد المرة . أما مصدر  
تلك الهزة العجيبة الجديدة اليوم فهى الموسيقى التى كانت ثواباً طريفاً  
وحلية مرصعة أظهرت ما فى هذا الشعر من جمال . وكما أن نقم

الموسيقى بدور المفسر العاطفي لا اللغوي ، فتظهر من خبايا الشعر  
ما تعجز عنه المعاجم والقواميس .

وتلك التي كانت تلحن وهي لما تتجاوز أربعه عشر عاما من  
سنها ليس بمستغرب عليها أن تلحن لأبي العتاهية في الحكم ،  
ولا أن تعقد بينها وبين الوراق مباراة في التلحين فتقف له بالمرصاد  
عند كل بيت يلح به فتجدد باحينه بما يفوق مقدرته . وليس  
في ذلك من بأس على الوراق ، فهو في هوايته كإبراهيم بن المهدي  
وهي في صناعتها واحرافها كإسحق . ومن تلك الأصوات  
التي تبارت فيها عريب والوراق :

لم آت عامدة ذنبا إليك بلى      أقر بالدنب فاعف اليوم عن زلي  
فالصفح من سيد أولى لمعتذر      وقال ربك يوم الخوف والوجل  
وكذلك :

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد      حسبى برى ولا أشكو إلى أحد  
أين الرمان الذي قد كست ناعمة      في ظله بدنوى منك يا سندی  
وعريب التي تنوج شعرها من المسك بما يقوّم حانوت عطار  
كانت في كل شيء متطرة . . . في هذا الذي سمعت الآن ، وفي  
ابكارها حين تشكر ، وفي صداقتها حين تصادق ، وفي حصومتها  
حين تاصل ولو كان الخليفة أو عامل الخليفة .



أحبال الزواجر العدى      وصاح الرحمن العزى  
وقد غنى سان لنا      حقون حشوها الأرق  
فهاه الكأس مبرعه      كل حباها حدو

فكانت آياتها موسع لسحر والحرب بقبه يومهم

وكانت عرب شجرة معنيه حتى في ثراها وتغيرها الحار  
على المسان طوعا دون عداد . فها هو المأمون وقد عاد إليها بعد  
فراق يدنا فيقول . كيف وجدت طعم الهجرة ؟ تنجيه يا أمير  
المؤمنين لو لا مرارة الهجرة ما كنت في حلاوة الوصل ومن دم يده  
العصب حمد غافقه الرما . فتحدث المأمون إلى جلسائه عنها حديثا  
بعد شهادته متمما في الحديث فتقول : أتوى هـ أو كان من كلام  
السلام أم يكن كبراً . وفي هـ : المعنى تنويعاً :

وتخلط الهجرة بالوصف . ولا بد من في الصنح يديننا أحد .

وكذلك شاء الله أن تطول حياة عريب ، وأن تشهد  
العصر العباسي من أوج عظيمته إلى بدايه انحطاطه حيث كانت  
وفاتها حوالي عام ٢٢٦ هـ ( ٨٤١ م ) . وهي في كل ذلك صورة  
من الفن السافر الذي لا يبالى أين تلقى به الريح . فهي وراء أحمال  
كفاضة الآثر . وهي في إثر نفس أيتها وحدث إليه لسيل ، ترويه  
عن غيرها أو تنسكه . ترسله أحياء شعراً وتارة نثراً . وتطاولها

قدرة عجيبة . ولا يعجبها حين ترسل فيها حراً طيقاً أن يعجب الناس  
به أو ينقدوه ، فهي وأرست هوايتها .

وقوى ذلك بدولاً غريب في صورة بعض الفاعلين في عصرنا  
من أمثالها في سرعة "بديهة" وحضور الحوار كما يجب أمل المتكلم  
في انتصاره . ومن العجب أن يكون ذلك في عصر لا يُعرف فيه  
الكثيرون من أمثالها على هذا النحو من القدرة والتفوق .

وإذا أردنا أن نتكلم عن مثل شتيمة المستكبر جميع شرائط  
اللعبة ، المعهدة في حياتها صدى تعبير عن عصرها وفيها تعبيراً  
عن عصرها ، ومما لم يصح عن ذلك العصر ومدنيته ، فإن  
مثل شتيمة أمثاليه في شذوذه ودها هي غريب

## الكندى

هو أبو يوسف يعقوب الكندى . ووالده إسحق أمير كوفة  
الذى استمرت إمارته بها في عهد ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية  
المهدي والهادي والرشيد . وقد تخرج من الأصول الربعة في  
اليومات العربية . وحده الأشعث بن قيس صحابي حليل . وشبهه  
أحداده ملوك في الجاهلية وأمراء في الإسلام .

وانتقل الكندى إلى بغداد فتي قد شب في أحضان العلوم  
والفنون . والدوة في أوج مجدها وفي مشرق ثقافتها . وقد تعلم  
الحساب والرياضيات والشيعيات ، وأحاد معرفة الطب والمنطق  
والفلسفة والموسيقى والهندسة وغير ذلك . وأحاط بأشتاتين اليونانية  
والفارسية . واستقى من موارد الحكمة الهندية . وقد أحاد تعلم  
اليونانية حتى تحيره المأمون بين كذا حكماء العرب الذين قاموا  
بترجمة المكتبة اليونانية وما اشتمت عليه من علوم وفنون .  
وقد عدّ الكندى في صدر أربعة ثم حادى برجمة ورحمة لوائها .

وكان الكندى أول نجم لمع في سفر التاريخ الفلسفي في الأمة  
العربية . ولم يتقدمه اسم قبله من هذه السلسلة . ولم نعرف أحداً

سبقه إلى مزاوله هذه الصناعات منذ ظهرت الدولة الإسلامية .  
وإذا كان الفارابي والرئيس ابن سينا وغيرهما قد أشرفت سمعهم  
وحقت شهرتهم وراى حظهم من المعرفة فقد كان ذلك بحكم التطور  
ولكن للبداية قدرها وانحصر لم تقدم .

وقد كاد تاريخ الثقافة العربية يتبقى سجله وإجماعه على شهرة  
الكندي من ناحيه تملسه وحدها . ولعل كثيرا من أهل العلم  
والآداب احتفت عليهم العصور وهم لا يتعجبون بالكندى حدود  
ملكه . هم لعقبة البخته . وفيه تاريخ الموسيقى في العهد الأخير  
إلى هذا . فاعتري وألقى عليه أصوام البحث والتنقيب والدراسة .  
فصحت من شخصيته ما كان محوذا وشر من تراثه ما كان منه باء  
ليقدم به مره أخرى إلى الدنيا لا كعلاء من علماء المه سقى حسب  
ال كأمم د ب عربي وصفت إليها مؤلفاته في هذه الصناعات . ولأن  
يقف الرواة أسقفه بعض علماء العرب الكندي في هذا المصهار  
أما من و من الكتاب . أرسل إلى أحمد وغيرهما من تسموه فإنه  
لم يقص إليها أى أثر من مزيات أولئك إطلاقا . كما حلت دور  
الكتب في جميع الملوك من وجه دأى مصنف من مصنفاتهم لموسيقىة .  
ولكن الكندي كتب كثيرة في الموسيقى عرف التاريخ منها سبعة  
ونى منها في دور الكتب العامة رسالتان مقطوع بسببهما إليه .  
إحداهما مخطوطة معنونة باسمه . رساله في حبر تأليف الألحان . .  
مخطوطة بدار الكتب بأكسفورد تحت رقم ٢٢٦١ . أما الأخرى

فهى التى نسمى ، - سانة فى أحرار حرية فى الموسيقى ، وهى محفوظة بدار الكتب العامة ببراين تحت رقم ١٣٤٠ (١) .

أما الرسالة الأولى فقد عالج الكندي فيها علم النيف وطبيعته  
الأصوات وتركيب الحركات مع تطبيق ذلك على آلة العود .

و يصف الكندي السلم الموسيقي العربي مشتملا على اثنتي عشرة  
نعمه . إذن فهو محتاط لما نعرفه في العصر الحديث بالسلم المون  
( الكروماتي ) وهو السلم ذو أنصاف الأبعاد الثمانيه . وكان يملق

على هذه السمات أسماء أحرف الالهجية "عربية حسب ترتيبها  
والحمة الأولى وهي نعمة مطلق الوتر الأول : مر إليها بالحرف  
١،، والثانية بالحرف ٢،، والثالثة بالحرف ٣،، والرابعة  
بالحرف ٤،، وهكذا... والعود عنه ذو خمسة أوتار.

هي من حط. ب. حطة على قريب : "لم فالتلت فمشى فالزير  
الاول فالزير الثاني. ويحسن كل وقت ستة نصيرات تكون اولها  
ممنق او تر. وستة مروح الاصوات البقية فالعفق عليه بواسطه  
الاصابع الاربع. الستة اوسى والبصر والخصر.

و بعد از آنکه در کتب معتبره و معتبره  
من معتبره ، و هر یک از اینها معتبره و معتبره و معتبره

وشر سیمین نشان شد  
شیراز مدتها در آن

(۳) در حاکم و ...  
 حاکم و ...

تنتهي نغمات الديوان الأول بالحرف الأبجدي دل ، على الوتر  
 الأوسط حيث ينتهي بعدها الديوان الثاني بالحرف الأبجدي د ا .  
 وتكرر النغمات في الديوان الثاني على نفس ترتيب الديوان الأول  
 وبمسمياته . وتنتهي نغمات هذا الديوان الثاني بالحرف الأبجدي دل ،  
 على الوتر الخامس (الزير الثاني) حيث تبدأ نغمات الديوان الثالث .  
 وفيما يلي جدول يبين أسماء وتر العود وتوزيع النغمات عليها  
 كما ورد في تلك الرسمة المشار إليها (١١) .

الزير الثاني	الزير الأول	مثنى	امثلث	الهم
ط	د	ك	و	ا
ي	هـ	ل	ر	ب
ك	و	ا	ح	ج
ل	ر	ب	د	د
ا	ح	ج	ي	هـ
ب	ط	د	ك	و
ج				

(١١) ويصح من هذا جدول أن يقدم من تعرف كانوا يستعملون الوتر  
 الأول (عصف) كما يستعملون هذا الوتر لأخرى . ويخرون عليه . يخرونه سبها  
 من الإصاوي وعنف . من لا سبها هذا وتر في عود في عصر حاضر لا مبق  
 من غير عصف

ومما هو حدير بالذكر أن الاثنتي عشرة نعمة المشتمل عليها ديوان  
العرفى على نحو ما يصفه سكندى . متفتحة في مقاديرها مع نسب  
أبعاد سلم فيشعوى من : أن أساسه دوائر الخامسة تكرر  
اثنتي عشرة مرة . وتكون آخر نعمة تنتهى إليها هذه دوائر  
الاثنتي عشرة هي حواء التاسع نعمة الأولى التي ابتدئ بها مع  
فارق بسيط جداً يسرى بين (٢)  $2^3$  (١)  $2^4$  وهو ما يسمى  
بكوما فيشعوى من : وهي ثمانية مقرباً .

ولعل من المهم أن يعلم القارىء كيف كان السكندى وقرنه ،  
من علماء العرب المتقدمين . يعرفون عن أبعاد درجات السلم  
وعن النسب العددية بين الأصوات وإنا نسوق على سبيل المثال  
ما ينقله السكندى في بداية رسالته ( في خبر تأليف الألحان )  
التي سبقت الإشارة إليها وهو

« ولك إلى أكله وثمن كله . وقد بينا أن فضل الذى بالخسة على  
الذى بالأربعة كل وثمن كل ... » (١)

(١) وقد بينا أن السكندى وأصحابه في موضوعه : أنصوب من ثوب الأربعة  
الخسة أن ثوب الأربعة هو ثوب واحد وهو ثوب واحد على هذا  
وترى أن السكندى من علماء العرب من كان له من المصطلحات العددية ، وما شبه  
سكندى أنه سأل « ثوب كل » ( أى أنه قد خرجت ) من مصلح ثوب ثوب  
ثم ثوب ٩ سبعة أمثال ثوب واحد خرج من عدد ٨ سبعة أمثال من هذا  
أو ثوب واحد كونه من ثوب واحد خرج ثوب ١ = ١ + ١ ثوب واحد من  
ثوب واحد نعمة أنه قد يكون ... = ثوب واحد كل واحد على هذا النحو  
فإن مسافة الخامسة ... على مسافة ... من هذا ...  
فقرنه ... خمسة من ... كل وثمن كل

أما المخطوطة الثانية من رسالتى الكندى ، فهى بحث طريف  
شعرى يقتصر "سان" فيه على معالجة الموسيقى من ناحيتها الفنية  
وحددها بل تناول نحو ثمان صافية رائعة ، تعد فى أكثر مسائلها  
من بحوث العصر الحديث وإن كان صاحبها قد تقدم هذا الزمن  
بكثير من ألف عام .

وفى مقالات هذه الرسالة وبين ثنايا فصولها العديدة ندخل  
على الموسيقى من علم جديد بكل معروض من قس ، وأما لم يعرف  
إلا حين استيقظ العلم إلى تحلل الخيط فى القرن العشرين أو قبله .  
وهو نحن نرى الموسيقى فى تلك الرسالة مشرفة على جميع نواحي  
الحياة غير مقصورة على الملح والإيقاع ولا على النغم والعرف  
ولا على ما يتفرع إلى مداح "نفس من صرق الحاسة السمعية ،  
بل يتجنى الكندى الموسيقى مساهم السمع قصيرة ، فيخرج  
من الألوان ، فى الألوان ، ونما على طبيعة نوت ، وأثيره  
فى النفس . ويضع بينها السائر وأشده والأدب مقربة بدانجها  
التي تنهى إليها ، فالأوان كالأخار تعبر عن المعانى النفسية والقوى  
الحوية ويدل عليها وتؤدي إليها

ولم تكون الألوان والأصوات هى مسيطرة وحدها على تلك  
القوى المنبهة للمسكات والسحابة فمده هى بطور أيضاً : إنها موسيقى  
صامتة وهى فى مسكة الألباح فأنه وحظها . فهذه رهرة

تتير النحوة ، وتلك أخرى تهب بعيرها لواعج الشوق ، وثالثة  
تحمل في عطرها العُجب والكبر . وهي جميعاً فيما تنبه من القوى  
كالألحان والألوان .

ولكن ثمت مرحلة أخرى هي الحاسة السوقية من الألفاظ  
المثالية المستمدة من العقل وهو أشرف المحفوظات .

والكندي بعد ذلك لا يترك شيئاً ، حتى حاسة اللمس .  
وكان لا يفرد لها بحث خاص لأنها - على حد تعبيره -  
شريك مع غيرها في أكثر حالاتها .

وبعد ذلك يقدم الكندي موسيقياً لم يتم بمرفوعه كذلك  
في كشف لنا في مصنعة ذلك شيء آخر حتى في الموسيقى .  
نقد فيها وسماها ونشر منها أشعة وأصوات على جميع الأشياء  
ولم يجمعها مقصورة على حاسة واحدة . وكفى به قد قسم الموسيقى  
إلى نوعين موسيقى معزوفة مسموعة مرئية ، وأخرى تظنها عين  
وتتطربها الحياة ويستمتع بها "عقل فكري" وشعراً ومثلاً .

وقد شعر الكندي أننا قد بدأنا بسوء في مصنعة حبة البحث  
الذي سمعنا به عما يفصل يمنع من بؤس الموسيقى الفلسفية  
أو الفلسفة الموسيقية .

ولعل من الخير أن نختم حديثنا عن كندي بحمل من تمام  
رسالته فإن

« الغناء فضيلة شريفة عذرت على المالح في قدرته ولم يتم على  
إحراجها وأحر حبه النفس لحناً، فلما ظهرت سرت بها وضربت إليها.  
فاسمعوا من النفس وحوها وراعوا مناخه العبيعة والآمل لها .  
ومن ذلك أيضاً قوله :

« فصل المومنين بآتلف مع كل آلة كالرجل الأديب المؤلف  
مع كل بشر .

وكذلك ما حدث به "الكسي" رواية على سبيل التندر قال :  
« خرج بعض "الملاحين" مع "ميدله" فسمع صوت أتيثارة فقال  
لنفسه امس ما إلى هذا القيثاري لعله يفيدنا صورة شريفة . فلما  
فر منه سمع صوتاً رديئاً ودنساً غير متفق فقال لتلميذه :  
« رعم أهل الكهنة والزحر أن صوت الله مه يدل على موت  
إله . فإن كان ذلك ستفصوت هذا يدل على موت الهومة .  
لما سمع "الكسي" صوت الله وزف الغم ، ينهل الثقافات  
من جميع موردها الممكنة ، حتى أمدح عليه عنقرينه الخصوم  
والخصاء وسلطت به ويسوء مشائمه ، صبق الصدر ، يأس  
بالوحدة وبشمس الحرق في "عرية" ويرى عظم والوحشة في أقربائه  
الأدنين حتى في شقيقه وعمه وحاه ، والماء عادة تاتس السعادة  
بين هؤلاء . ولكن حسنة "الكندي" لم تعد تحتس فهو بصم  
وصاياه أن "الاح" مع . و"غم غم" ، وأختال وبال ، والولد كمد ،  
والأفارب عتبت . .

وقد رأى بعينه تضارب الجهة واحتمى وتمتعهم بملأ المكاتب .  
حين يجوع أهل الحكمة والمعرفة فراح يقول :

أناف الذنابي على الأرواس	معمت حنونك أو نكس
وضائل سوادك واقبض يديك	وفي عقر بيتك واستحسن
وعند مليكك فابغ الغل	هو ورواحده لوم واستأس
فإن العنى في قلوب الرجال	ورسم بالأس
وكأثر <sup>(١)</sup> ترى من أحي عمره	غنى ودى ثروة مفس
ومن قام شخصه ميت	على أنه بعد لم يرم
فإن تعلم لنفس ما تشبهى	تقيت جمع الذى تخفى

وكانت وفاته الكندى عام ٢٦٠ هـ ( ٨٧٤ م )

○ ○

ولعلنا استطعنا في هذا الإلمامه لتقصيرة أن نضع أيدى ما على حياة  
الكندى الفيلسوف و"عبيب والفلسكى والرياضى ، ثم وصف  
رحلتنا فترفنا إلى الكندى الفيلسوف فى الموسيقى والموسيقى  
فى الفلسفه ، حتى أتبع لنا أن نعرف وجهته "نفسيه أيضا حين  
هو فيلسوف ناثر وموسيقى شاعر .

١ - كائن منه فى

## الفكر الجي

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بلده وسيع من مقاطعة  
فارس نخراسان سمر ثمانين عاماً ، حيث كان مولده في عام  
٢٦٠ هجرية ( ٨٧٤ م ) ووفاته ٢٢٩ هجرية ( ٨٤٥ م ) .

كان والده من قواد الجيش ، مما يست على ولده بحرين العناية  
في صباه اقتضت حاحه مواهبه العالية ، أن يعادر مسقط رأسه  
في بغداد ، وكانت فيه الحضارة والنور ، ومركز الثقافة والعلم  
في العصر العباسي . فلما أتم بها دراسته وتخصيبه الحق بحاشية  
الأمير سيف الدولة من بني حمدان ، أمير حلب ، على إثر حادثة  
منوطا التماسا ومزحجا في أسلوب لسحوا له حلا  
طلبه من احياء يصح بحق عبقرية هـ سلسوف . على أنه لم  
يتقرب للأمير . ثم لأمر بمسحه وحذنه ، بل كانت الموسيقى  
هي رسونه وسعيه في قلب سيف الدولة حين دخل عليه وحسن  
إلى جانبه دون تهيّب أو تردد ، حتى إذا أصبح وتاره عز أوتار  
القبوب ولعب بهج الحب صرير ، حتى أصعكهم وأكدهم ودهمهم  
عن انفسهم . من بذلك على أصالته في الموسيقى وعراقته

في التصرف فهو واثق. وكان سيف لدولة محدوداً في التاريخ  
فكما أتيج الأمر أو حيلة أن يحتج شاعر مثله كالمسي ويسيوف  
كالغاري الذي صلب الأمير إلى دمشق. فقام في حاشيته مدة ثم مال  
إلى الوحدة والانفراد واعتزل انجتماع وعش عش الحكماء إلى وفاته.  
وقد حدثوا أنه بعد وفاة سيف الدولة ، ترى الفارابي يرى  
المتصوفة ورثه عن قبره وقام في مجموعة من أصحابه لصلاة الحارة  
عليه . كما يزعم لبعض أنه قدم إلى مصر قبل وفاته بعام وإن كان  
ذلك لم يثبت تاريخياً .

كان الفارابي صافي الروح طاهر العس . مترهداً في دنياه ،  
متحلياً بالسماء والرصى ، مكثفياً بالكفاف من العيش ، يسير  
على نهج من تقدمه من الحكماء . كما كان دهم التمل والتفكير بقطع  
زمانه باستيعاب المذاهب الفلسفية ، قديمها وحديثها . ولا أدن  
على قناعته من اكتفائه بأربعة دراهم يتصاها من سيف الدولة  
ليثبت بها بالضرورة في يومه وليته . ولم تدع الفلسفة  
والدراسات له من الوقت ما يعم فيه بحسن منظره وهيشه ،  
وهو الرجل الذي بيع به الأمر في السماع والتقصي أن يقرأ كتبه  
على صوم مصايح الخراس في طلام الليل الداحي . وحقق هذا لدى  
قليل إن الفارابي قد عاش في دولة لعش ملكا وفي العالم المادي ملوكا .  
وقد كان الفارابي في طموحه وآمانه الكبار . كبقية أعلام  
التنوع والعقريه لا يقع مد صاه بأستاذ واحد . بن لفد نسبه

على الكثيرين من علماء وفلاسفة وما بين حال في الحكمة ، وصال  
في الرياضة ، وأمعن في الطب ، واهتن في الموسيقى ، وبرع في الفنون  
حتى اشتهر عنه علمه بجميع لغات الدنيا - وما كان ذلك لأحد  
ولا يمكن أن يكون - ولكن المؤكد المعروف أنه عرف العربية  
لغة يدين والآداب ، والفارسية لغة الفنون والموسيقى والنزعة لغة  
العشيرة والقبيلة وليونانية لغة الفلسفة والحكمة ، وبحسبه أن تؤكد  
له لغة فقهية لغات وما فيها من دجاء وكنه .

وكان صاحب مذهب خاص أسماه من بعده بفلسفه الفارابي ،  
وهو مع ذلك حموا واسع حين يسأل عن الملائكة يديه وبين  
أرسطو فيقول : لو ذكرته لكب أكبر ملائكة لم أسمع به  
حب علم أن تتعلم قرأت جميع كتابه أربعين مرة ، وارى  
أن تحتاج إلى معونة . وإن كنت ترى أن يجهودك العسى ينتج  
في الأكبر إلى - فكيف رسول . ونحضر فلسفته بمحل  
مدرسه فيها مدرسة أثرت بها لغات قديمها وحديثها عند ترجمتها إليها .

وم بين من مؤلفاته تكثيره سوى اثني عشر كتاباً في بحوث  
لعوم والمعارف متفرقة ، في كتاب أوربا ولما كان الفارابي  
من أقطاب الفلسفة في شرق خاصه ، وفي علم كافة ، فقد توارى  
حاجبه الموسيقي عن التأمل والأسماع ، عند كثير من الناس .  
وهو يرجع ذلك في الأثر إلى أن أثره في الفلسفة كان من البديع

والشهرة بحيث طغى على الخائب التي من حياته . وقد يرجع السبب أيضاً إلى أن البحوث العلمية التي عالجها في الموسيقى لم تكن من البساطة واليسر بحيث تقرب إلى أفهام جماهير الناس من يعزفهم من الموسيقى مجرد الطرب والأداء . وقد وجد الفارابي الفيلسوف ما لم يجد الفارابي الموسيقى ، فهو حين نشر فلسفته ومدبره فيها كان له تلامذة أوفياء ، يحرصون على الدراسة والبحث والنقل . وهو حين ألف في الموسيقى وابتكر في علومها لم يجد مثل أولئك كثرة ووفرة في مثل عصره الذي عاش فيه . يشهد لتروته الفنية مؤلفاته موسيقية ، من هذه المؤلفات كتاب الموسيقى الكبير ، و « كلام في الموسيقى » ، و « كتاب في إحصاء الأيقاع » ، وغيرها من المؤلفات الموسيقية . إلا أنها فقدت حيويتها ولم يبق منها إلا النكبات الأولى ، وهو سفر جليل صحم حوى أسرار هذه الصناعة عن حنينها العسية والفنية . ويوجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ واحدة منها في ميلانو بإيطاليا ، والثانية في مدريد بأسبانيا ، والثالثة في لندن هولندا (١) .

[illegible]

ولفارابي ، كتاب في إحصاء نغمه ، عرض فيه أيضاً  
للموسيقى ، وقد ترجم إلى اللاتينية <sup>(١)</sup> .

وإنه ليتبين من مؤلفات الفارابي في الموسيقى عظيم شغفه بهذا  
الفن ، وواسع اطلاعه فيه ، وبنفته في دراسة فنونه وعمومه ،  
ولم يكتف الفارابي في ذلك بتصنيف الكتب بل ابتكر في الآلات  
الموسيقية . روى اني أبي أصيبعة أن الفارابي صنع آلة إذا وقع  
عليها أحدثت انفعالا في النفس منصحك السامع ويكبه ويستخفه  
ويسفره وقال بعضهم إنها شديدة بآه القانون المعروفة لعهدنا  
هذا أو هي القانون بذاته

ولقد ذكر الفارابي في مقدمة كتابه أنه استبط طريقة خصيصه  
به ولم يقدر أحداً . والحقبة أنه بر في مؤلفاته الموسيقية جميع  
معاصريه ومن تقدمه من أهل هذا الفن ، فثابت - وبخاصة كتاب  
الموسيقى الكبير - شمه وإليه مستوعبه جميع نواحي هذا الفن  
من ناحية طبيعة الأصوات وتوافقها وأنواع الألغام والأوزان  
والآلات الموسيقية المختلفة ، إلى غير ذلك مما يشمل بهذه الدراسة  
وعملها ثم يهتد شاهدنا على ما وصل إليه فيس عمه بألموسيقى  
وإيقاعه ويها يتقدم لا مزيد عليه .

ومن كان له مثل هذا اطلاع على الفلسفة والحكمة والآداب  
في الملغات المختلفة حقيق به أن يربح هذا الأوج الرمع "بعبيد المدى  
وقد بلعه "فارابي حين أنصاف إلى فلسفة الحكمة فلسفه الموسيقى .

(١) وأخرج مكتبة دار الكتب في بيروت نسخة من كتابه الموسيقى  
من هذا كتاب رحمه الله

## ابن سينا

هو الشيخ الرئيس الوزير الطبيب الفيلسوف الموسيقار أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا . كان والده من باج ثم خير أن يعيش في بخارى ، وقد عنه نوح بن منصور الساماني والياً بإحدى حواضر هذا الإقليم ومن فريه فرسه مها وهي أشتا تزوج عبد الله فنجب علياً . ولد بموعد في شهر صفر عام ٣٧٠ هـ ( أغسطس سنة ٩٨٠ م ) . وولاه أبوه عديّة وأمرة . ويدرّس وسعاً في شوبه ودرّس به . سينا وولد له بخارى ولما يزل السلس في سنواء المسكدة . وجرى بحكم مركزها العلمي جذيرة بأن يكون حصر - محمد بن محمد بن عفرية لعالمه المتظرة

وقد أتم ابن سينا السهر بقرآن . ومارس في الحسرة من سنة ، وأتم بمقدار كبر من ثلثه عصره . من العلوم الشرعية والمريّة . وحفظ من نحوها وأدبها ما حصل اليأس يرون فيه المعجزة التي تحدث ليس ولساقه بشرية . وما زال به الحد وتحصيل وهو صبي حتى بز أعلام عصره . وهو أساتده . وأكب على مناهل الرياضيات والمنطق ، وعلم الكلام والفلسفة .

أقبح على دراسته الطب فكان الخيب التماسى الماهر ولم يتجاوز  
البدنه عشرة من بحر شبهه .

وفد وانه الأقارب بمصر عجيبة ، وذلك أن الأمير نوحاً  
ابن منصور اعتنق الإسلام في مملحته . ولما انتهى الأمر  
إلى ابن سين ، "سبب الحق" ، كان عده المذموم المرحوم والشعاع  
مستبداً . ولما عرف أمير مكة على يد أمير التلب أحزله العطاء  
و"حرارة كـ" ، فخرج من مكة ليعلم بأعلى ما أنتهجه  
اعتنق "الشرك" في ذلك العصور . ومن عيها ابن سدا إقبال النهم .  
ومن مفرصة ما كان له ما بين سبين لولا أن الأقارب هيأها  
ويعلم مني حتى تدر عتقته فيما بعد .

ومات والده وحده في شبابه وعشرين . فرحل عن بخارى ،  
ومس في مواضع عديدة كخراسان وداغستان وغيرهما  
من المدن الواقعة على متباه من بحر قزوين . ثم استقر به المقام  
في خرجان حيث أتى بها اندروس والتف حوله "طلاب" وبدأ  
وصنع كتابه القنون في الطب ، وهو المرحوم الذي أكسبه شهره  
"العلم" وجمعه أخذ طبعه سارح ، فقد بقي كتابه هذا أساس الدراسات  
"الطبية" في الأقطار العربية ونامك أوروبا احتفاء وقرؤنا متداوله .  
وفد ستوره شمس الدولة أمير همدان ، ولم يخل في ذلك  
من اعنى وسكوارث التي كانت تعصف به فقد أسره الجند وأرادوا

قتله، ولم ينحه منهم سوى الأمير الذي احتفظ به ليقوم على معالجته  
من داء عياء . وفي ظل ذلك العهد بدأ كتابه العظيم وأثره العالمي  
الخالد وهو مصنفه « الشفاء » .

وكانت حياته اعلية مدرسة تعليم ، ثم ندوة سمى ، بدأ بالفلسفة  
ولطب ، حتى إذا امتت العقول وسنت الأفهام بدأ الدور الفني  
كل ليلة يحوّل تلك السّمة "عقله إلى مرح وطرب وموسيقى وعناء ،  
حيث يتقدم لعارفون ويقب المعنون . ومن ثم تبدأ تلك التورات  
الفكرية والمذاهب الفلسفية لتحل محلها الأغانى الروحية والألحان  
الموسيقية الساحرة .

\* \* \*

ولئن عرف الناس أن ابن سينا كان عباً من أعلام زمانه  
في جميع العلوم : في الدين ، والفقه ، وفي المنطق ، والفلسفة ،  
والرياضيات ، والمنطق والأدب ، وعلم النفس ، وأن الطب لم يكن  
غير ناحية من نواحي عبقرية ابن سينا . فليدرك من الناس من يعلم  
أنه من أساطير عياء الموسيقى في زمانه ومن أوسع معاصره  
عما بها .

كان ابن سينا إمام عصره في العلوم الموسيقية في الشرق  
والغرب . وكانت كتبه وكتب تلاميذه أساس العلوم الموسيقية  
لهم به حتى في الأندلس رغم أنهما من المشاركة .

لقد ألف ابن سينا في الموسيقى ثلاثة كتب : اثنين باللغة  
العربية والثالث باللغة الفارسية. وأكبر هذه الكتب وأوسعها بحثاً  
هو الجزء الموسيقى من كتابه "الشفاء" وهو موسوعة شاملة لجميع  
العلوم ودائرة معارف واسعة، خصص منها مجلداً ضخماً للموسيقى.  
وأما كتابه الثاني في الموسيقى فهو جزء من كتاب "النحاة"،  
وهو موسوعة أخرى أقل توسعاً من الأولى. ثم الكتاب الثالث  
الفارسي واسمه "دانش نامه" أي كتاب المعرفة. ويحتوي على  
الجزء الموسيقى من كتاب "نجاه".

أما كتاب الموسيقى في موسوعة "الشفاء"، فلم يبق منه في دور  
الكتب العامة بقية. ولا أربع نسخ بخطه طر، كلها في مكبات  
انجلترا. ولا كتب بخطه طر في مكتبته أكسفورد.

أما كتاب "النحاة"، فقد ترجمه أبو علي إلى العربية عام ١٥٩٣  
ولكنه للأسف - نفسه الجزء الخاص بالموسيقى. بيد أن  
مخطوطة منه موجودة في مكتبته أكسفورد.

ولقد عرج ابن سينا في هدير المؤلفين. وفي مؤلفه الفارسي،  
كل ما يتعلق بالموسيقى العربية من ناحيةها اللحنية والإيقاعية، وشرحها  
شرحاً وافياً، موباً أحمل نبوي يتفق والعلوم الموسيقية الحديثه.  
ولقد يطول بنا البحث إذا تعرضنا لكل ما كتبه ابن سينا  
في موضوع الموسيقى، إنما نقصر الإشارة هنا إلى ناحية واحدة

امتاز بها ابن سينا في مدلهاته ، وانفرد بالبحث فيها عن كل من سبقه  
 من العرب ودرثلي الشرق ، وهي الناحية الخاصة بالموسيقى العربية  
 واهارموني ، وعلى الأثر في تعبير الموسيقى وتعدد الأصوات .  
 تعدد أصوات المعين في وقد واحد أمر طبيعي لا صناعي ،  
 عرفته أقدم العصور . فقد تعنى الأطفال والنساء والرجال جميعاً في  
 وقت واحد منذ القدم ، في تاتيلهم الدينية واستقبالهم للملوك  
 ولقواد القاهين . وبما لا ريب فيه ، أن لكل فئة من أولئك صفة  
 من الأصوات خاصة . بل إننا امتزجت بعضها ببعض ألفت نوعاً  
 من تعدد الأصوات . . . وهذا النوع من كائن متأصلاً بالسمع  
 في الموسيقى منذ القدم . وقد أثبت التاريخ الموسيقى وجوده  
 في جميع المرات المتقدمة ، إلا أن هذه المرات لم تسقط واحدة منها إلى  
 توفيقه شدة سموه ، ولم يتعرض من عصرها إلى بحثه بحثاً عميقاً .  
 وهذا هو سبب في مجال البحث عن تعدد الأصوات  
 في الموسيقى وفي حر جمهوره ، حتى تحدث عنه أوربا في عصور  
 الوسطى حيث لفت نظر العلماء ما تسعنه الكراسة في الترائيل  
 من اختلاف الأصوات في الأداء . وظهر ، هو كبالد ، الايطالي  
 الملقب بوايد اهارموني في آخر قرن "تاسع وأول القرن" ماشر  
 ( ٨٤٠ - ٩٢٠ م ) . يتحدث فيها الموسيقى . في مدلهاته "تشرية  
 عن تعدد الأصوات بما يقرره من إمكان امتزاج نعمة الأساس

بالرابعة والخامسة والجواب . وهو ما كان مستعدا من غير قصد  
في أعاني الجماعات في الممالك القديمة .

ولقد حثف « هو كبلد » العام الموسيقى « جيدو الأريزي » ، ونهج  
منهج سنفه . وتنقلت أورب مؤلفات هذين العالمين بالترحيب  
وابتغال . وحثوا فيها . وزادوا عليها ، حتى تطوروا بتعدد  
الأصوات وصار عسفاً قائم بآلاته هو « علم الحارموني » الذي  
هو جوهر شرق بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية .

وإن المعتد أنه لم يرض من علم العرب أحد للكلام  
في تعدد الأصوات ، حتى كشف لهم الأخير ، سمع دبحه يراع  
بين ما في هذا الموضوع في خصوصية الموسيقى التي أشرنا إليها  
آنفاً . فكان ابن سينا أول عربي صاح هذا الموضوع في شيء كثير  
من « تصنيف » و « بياض »

وإذا علمت أن ابن سينا من شيوخ الفيلسوف المشهور ، وهو ابن  
مدي من فيه هو كبلد وحيه « شريفا » ، نحق عليك أن ابن سينا  
كان في بجه هذا « حارساً » ، لا صفة به بمزجات ديكما العالمين .  
و « دليل » على ذلك أن طريقة « في » هذا الموضوع وتفكيره  
في تحريم أحاديثه ، عن طريقة صاحبه مع ما يزيد على هذا  
من « أدب » و « المرار » ، وتباين اللغة ، وتفرق الأخرى  
الكثيرة من ثقافته وعبر ثقافته يده وببهما .

والمحقق بعد ذلك أن تعدد التصويبات كان معروفاً عند العرب ،  
استعملوه في أغانيهم وأما ريجهم ، ين وأتجبت من ذلك أنهم استعملوه  
في عزفهم بالآلات الموسيقية ، وهي مفخرة عزت على الكثير  
من المهلك المحضرة في ذلك الوقت .

أما ابن سينا في كتابه عن تعدد التصويبات عنواناً أدبها فيه  
أسماء ، محاسن اللحن ، وجعلها أربعة أنواع خمسة هي : المربع  
والمربع والخوصين والتركيب ثم استنبط من المربع فرعاً أسمه  
الشفيق ومن التركيب فرعاً آخر أسمه الإبدان . وإذن فقد توسع  
ابن سينا في بحثه وشرحه شرحاً وافياً رويته صاحبيه وأما ما عديهما  
بما استخلصه في بحثه من كثرة أنواع تعدد الأصوات .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن ابن سينا اتفق مع العالمين الأولين  
في جوهر بحثهما عن الانسجام الصوتي والتوافق الهارموني ، فقال  
فيما عرف به : تركيب :

« أما التركيب فإنه يخلط بالغم الأصلية في نغمة واحدة نعمة  
موافقة لها ، وأفضل ما كان من الأبعاد الكبار ، وأفضل الذي  
بالكل ثم الذي بالأربع » .

ويتأدى قوله هذا إلى أنه يمكن المزج بين صوتين أداثهما  
معاً في انسجام توافقي ، وأحسن ما ينتهي إليه الأمر في ذلك :

الجمع بين الأساس وحوابه أو الأساس وحمسته أو ربعته (١).

وقد بقي ابن سينا نحي من نجوم الفلسفة والطب والموسيقى  
إلى أن توفي شمس الدولة ، فلم تطب له الحياة مع ولده الذي خففه  
على لإمارة . وشتت الأمور بابن سينا حتى سجنه الأمير بالقعة  
عدة سنوات إلى أن لاد بالفرار واعتصم بأصبهان في حجة الأمير  
علام الدين ، وكان صديقه وسيره وصاحبه في جميع معاربه وأسفاره .

وقد سهر ابن سينا ، ونامت صحته بالأعباء الفادحات التي تنقل  
كواهل الحال ، وهو بين قلع لأسفار وتأليف الأسفار إن جز  
هذا التعبير . وقد عانى الأمرين من محن ، وسجن ، ومرض ،  
وغربة ، وحقد خصوم ، ومكاداة اطلاق ، وتأليف وتصنيف .  
ولكن الموسيقى كانت ركن الترفيه والسعادة في حياته ، والكف  
الذي سحاً إليه نفسه حين تشتت القلب وتعظم المحنة .

---

(١) قد تضمن ابن سينا وحواله أو حمسته جزء كبير من حياته الدراسية يؤلف  
هذا كتاب ألفه ابن سينا في سنة ١٠٣٦ م . وفي سنة ١٠٣٦ م . كتب فيها عن  
نحو ١٠٠ مسألة . كان ابن سينا يشرح فيها من حكمة أئمة حتى روى  
صورت هذه الرسالة ، وقد بلغت حصة ابن سينا في هذه الرسالة  
منها حتى أنها عرفت هذه الرسالة . وكان ابن سينا يشرح فيها من حكمة  
وإعاده فيها ككتاب حتى أعرفه سحره وإعاده إلى أنه في رأس ابن سينا  
ولا يحتفل هذا ككتاب سينا جميع ما حتى في حتى أنها قد ساعدت على  
الموسيقى وحديثه في موسيقى وفنونه .

وفي شهر رمضان عام ٤٢٨ هـ ( يولييه سنة ١٠٣٧ م ) وقد بلغ  
السابعة والخمسين من عمره لقي ربه بعد عكوف على الرياضة والطاعة  
والتصدق بكل ما يملك .

وقد دون أكثر من مائة كتاب ، كلها شهود عدل بما له  
من فضل وبما له من ثقافة واسعة ألمّ فيها بجميع العلوم والفنون  
في عصره . ومعظم مؤلفاته لا تزال محفوظة في يومنا هذا . وكثير  
من كتبه الكرى كالقانون والشفاء ترحمت إلى اللاتينية ، وطبعت  
عدت مرات .

\*\*\*

لقد عاش ابن سينا سبعة وخمسين عاماً من الدنيا ، وستمضى  
سبعة وخمسون قرناً وأصعافها وابن سينا لا يزال يعيش لا في بخارى  
وجرجان وأصهبان . بل في حدود العبقريّة . التي لا تعرف  
الزمان والمكان .



اعلام عصر النهضة

(١٣٨ هـ ٧٥٦ م - ٤٢٢ هـ ١٠٣١ م)

1844

## زرياب

هو رمر حصارقي المشرق والمغرب ، ودام لواء العناء  
العربي لدولة بني العباس في بغداد وبنى أمية في قرطبة . ولم نعلم  
أن أحداً أسح له أن يشهد الخلافتين ويعي في البلاطين على مثل  
ما أتيح لزرياب . ومن هنا تبدو لنا نواحي تفرده وحواس عظمته .  
فقد يئسرت له الأقدار أن يتلمذ لأعلم شخصية موسيقية في ملك  
الرشيد ، ثم تكرمه الأقدار نفسها فتتيح له معادرة بغداد إلى حنة  
العرب الجديدة في بلاد الأندلس ، فبدأ به يوارن ويقارن ويصنع  
على ألوان الخيال العربي فيضيفها إلى ثقافته العربية لتدريسه الممزوجة  
بعبقريته الفردية .

وزرياب هو أبو الحسن علي بن رافع مولى المهدي لعلباسي  
ولقب بزرياب بسبب سواد لونه مع فصاحة لسانه وحوشمته وحسن  
صوته تشبهاً له بطائر أسود حسن التعريد يقال له « الزرياب » ،  
نشأ هذا العبقري الفذ تلميذاً لإسحق الموصلي ببغداد حفظ  
عنه أساليب العناء وأسرار التلحين . وقد تفانى في تجويد صناعته  
بما حبه به الأقدار من قوة حفظ وجودة ذاكرة وجمال صوت

في غزارة مادة وسمه موهبة وسلامة ذوق حتى بر أستاذه .  
ولم يعرف المشرق أحداً يسامى إسحق في بدو ولا حضر  
إلا أن يكون ذرياب ، ورزياب لاغير .

وكان إسحق في عتقة من أمره وأمر تلميذه حين سأله الرشيد  
يوماً ضاعاً أن يحضر إليه معيماً حيداً حسب الصنعة ، على سبيل  
التوبيخ والتعير . فندفع إسحق في ذكر زرياب وثناء عليه  
وامتناع مقدره وسوجه . فاستدس الرشيد إليه ، وراح يستفسره  
ويعتقنه . فوجد فيه فصاحة المالحق وحضور المادرة وسرعة الإجابة  
في غير تردد ولا تريب . وسأله عن شأنه في إتمام فقال : « حسن  
منه ما يحسنه الناس ، وأكبر ما أحسن لا يحسنونه بما لا يحسن  
ولا عندك ولا يدحر إلا لك ، فإن أرت غميتك ما لم تسمعه أدن  
قبيلك ، فاستدعى به الرشيد ليعود إسحق . فبى وقال : « لى عود  
حتى يبدى وأرهنه يا حكامى لا أرخص غيره . » وأمر الرشيد  
بحضار ذلك يعود فوجه لا يحلف في مضره عن عود إسحق .  
فقال له : « ما منعك أن تستعمل عود أستاذك ؟ » . فأجاب زرياب  
: « إن كان مولاي يرغب في عام أستاذى غنيته بعوده ، وإن كان  
يرغب في غماتي فلا بد لى من عودى . » فقال الرشيد : « ما أراهما  
إلا واحداً . » . فأجاب زرياب : « صدقت يا مولاي ولا يؤدى  
النظر غير ذلك ، ولكن عودى وإن كان في قدر حجم عوده

ومن حنن خشبه فهو يقع من ورقه في نبت أو نحوه، وأوتار  
من حرير يصل بماء سحر يكسبها أوثرة ورجاوة وبها  
ومثلها (١) اتخذتها من مصران شبل غلبا في بر وصدء والخبز  
والحدة أصعاف ما لغيره من مصران سائر الحيوان، ولها من قوة  
الصبر على تأثير وقع المصارت ما ليس لغيرها .

هـ تحب لرشيد راحة وصفه وأمره بالعلم ، وقدفع يعني :

يا أيها الملك اليسون طائره

هارون راح إليك شمس وانكروا

فقال لرشيد إذ سحق بعد أن استولى عليه ركب وتمكن منه  
الإغاثه لولا أنني أعم من صافك لي على كيانك لما عنده  
ونصديق لك من أنك لم تسمعه من لأزلت لك الحقوة لركك  
إعلامي لشأني ، حبه إليك واعتنه حتى أخرج به من لي فيه نظراً .  
عن الحسد في صدر إسحق وثرث الحره في دمه . ثم خلا  
بركب وبعده من الحسد أقدم لأدواء ، وأديا فنه ، والشركة  
في الساعه عداوة ، ولا حبة في حسبه . وقد مكنت في فيما انطويت  
عنه من إحدائك وعو طمقتك ، وقصدت منعتك . فإذ أن  
نبت نفس من مكنتها يد نبت ، وعن فليس تسقط مراقب  
وترس نبت موقى ، وهدا ما لا أصاحك عليه ، ولو أنك ونبت  
وولدت عبي لامتة بيتك لما ماتت شمس على أن أذهب بسك .

وليكن في ذلك ما كان ، فتخير في اثنتين لا بد لك منهما : إما أن  
تذهب غنى في الأرض العريضة لا أسمع لك حراً بعد أن تعطيني  
على ذلك الأيمان الموثقة وأنقضك لذلك بما أردت من مال وغيره ،  
وإما أن تقيم على كرهى ورعى مستهة لاهامى فإنى لا أبقى عليك  
ولا أدع اغتيالك بدلا في ذلك مدى ومالى . فاقص قضاءك . .  
هـ ث ز ر ي ا ب احياة مسمى عن المكيدة والحسد . واحتار الرحمة  
عن بمراد . وخرج منها بأهله وبنيه

وإن في هذه المأساة المبكية لعبراً . وحقائق ذات شأن .  
فها نحن نرى إسحق يعصم بفضله ويعلن نفسه ق. ملك الدنيا غناء  
وطرباً بما أحد عن نبيه وعن معاصريه . حتى سما عديهم جميعاً ،  
وإذا بنسبه الأسود . يحيى ويوسفى على نفسه فينكر ويعزع  
في صناعة آله لعود وفى أوتارها . ثم هو لا يعلم ذلك حتى يهجم  
به كفضاءات القدر بين مدى الرشيد . فيدب في نفسه ما يشبه الحى  
القائلة عينا وكما . وكأن هذه الحقيقة بقول لكل فسا وكل  
عالم كن طريقاً إلى غيرت ونوع مسيما تسير قوافلها إلى الأمام ،  
ثم لا تعثر بموهنت فقد يتألمت ريات من وراء حجاب ...

وعرة أخرى هى صراحه الفنان في أدبه أو أدبه في صراحته .  
أنظر إلى الخطاب الملكي . وإلى مراعاة التعبير اللائق ، إلى  
هو أخرى أن يتنبه إليه الباحثون في الراكب البيانية واحسن

البلاغية ومخاطبات القصور. فنرى رباب يقول لرشيد « لم تسمعه  
أذن قبك » ، وكان يستطيع أن يقول « ما لم تسمعه أذنك قبل  
اليوم » ، واضر إلى قوله « صدقت يا مولاي » ، ثم يرد عليه رداً  
جميلاً يفند أنه صدق . . . إلى آخر ما ورد في القصة .

ونحن وعدنا أن نورد في هذا المصنف فصلاً صافياً ، عن إسحق  
الموصني ، ووفياه حقه من البناء ، إلا أننا لا نعفيه من المحاكاة  
بين يدي التاريخ عابد عما صنعه في بليده ومحاولة كبت الموهبه  
الفريدة وإحجاد صوت العلى . وإنها لأبانيه لا تقتصر أن تستغل  
فنان غناه وثروته وحاهه ليهدد بالتشديد ناشتاً ويحمله  
على النزوح عن موضعه ، وإقرار نخاعه وحياته أهد . لأنه يحشى  
مراحته في شهرة المنزل .

وعبرة العبر كما أن نكت الألبه ومحاو به كبت المواهب وسر  
أشعة الكواكب لا يعنى شيئاً عن الخافيين ، بل هو أبلغ في طهار  
الموهوبين وإعلاء مكانة النابغين . فقد غرت رباب عن المشرق  
ليضى . في المغرب ، وحرمت من صوته بعداد فكان ببلا في قرطبة .  
بل كان أعلى نجم وأصوا كوكب في سماء الأندلس حيث أصبح  
فيها رئيس المعنين ، وشيخ العوادين ، وإمام الموسيق والمحترعين  
في صناعة العود .

وهكذا تحدثنا عن السارج أن علو نجم يوسف كان بفص  
حسد اخوته والكيد له .

وكان اغتراب يوسف وسجنه ، اغتراب هذا وضرب ونفى .  
فقد ارتحل رزيق عن بغداد بأهله . وولى وجهه شطر المغرب ،  
فمرل بتيروان عند مكب لأعبي . يدة لله بن إبراهيم الأغلب  
( ٨١٦ م - ٨٢٧ م ) فذاع صيته في إفريقية كلها . وغى يوماً  
عصره هذا السلطان أغنية مدح ياب الواد في قلوب غيرة لمسى :  
يا منى حرايصة من أبناء حام بها عبتى  
يا لبيب مدس منى وسمر الهوالى يا حننى  
ونولاً فرارث يوم نونى شريك فى الحرب أو هدى  
محض زيادة له . وحسب عليه حام نغمته . وأمر نصره  
ببذره . وول له من وجدتك فى شيء من بلدى بعد ثلاثة أيام  
صارت عفتك . وكان لا يحبس له أن يبر القروان كما ترك بغداد .  
وسمع برديات حدم لأموه من الأندلس ، فاستدعاه  
إلى مرضه . فصار إليها سنة ثلاث من حصار الأندلس . وهو رقيق  
السكر حثاير وحسين حيث ارتحل . حتى انتهى إلى الحريرة  
أحضره بيعة زوه الحكم فاعتم سوء حظه وسكد ظالعه ، وهم  
بارح ع . وولى معه منصور اليهودى رسول الحكم إليه وثب  
على داب . ورعيه فى مدله رحته إلى عبد الرحمن بن الحكم لمدى  
تولى المدى بعد أبيه

وما أن بلغ مسامع الخليفة ابن الحكم قدوم زرياب إلى الأندلس  
في طريقه إليه ، حتى كتب إلى عماله يوصيهم بكرامته والعناية به  
وعياله ، ويوصيهم إليه بما توفيروا من بند إلى بلد حتى يدخل قرطبة .  
وأمر غلمانه أن يتفقوه بالركائب ، وبما عساه أن يكون في حاجة  
إليه . وخرج هو لاستقباله بظاهر المدينة . فدخل زرياب وعياله  
البلدة بليل صيانة الحرمه ، ونزل في دار من أحسن دور تهيأت  
له فيها وسائل الراحة وكل ما يحتاج إليه .

وبعد ثلاثة أيام استدعاه عبد الرحمن إليه ، وكان قد كتب له  
راتباً في كل شهر مائتي دينار . وألح بحري على سبب الأربعة  
عبد الرحمن وجعفر وعبد الله ويحيى عشرين ديناراً كل شهر ،  
لكل واحد . وذلك زيادة عما قرر منحه على سبيل الكرمه في كل  
عيد ومهرجان من المال والعلال . واقطعه من الدور والمستغلات  
بقرطبة وسائنها ومن الصياع ما يقوم بأربعين ألف دينار . . .  
وهذا استدعاه الخليفة إلى مجلسه . وقد ضاح له المقام وأمر على نفسه  
تصارييف الدهر وكيد الكائدين ، وأمر له بالشراب ، غنى زرياب  
وجاوب على الشراب بما يفوق الشراب من صنعة ساحرة وهي  
عجائب ، مما جعل الخليفة يرداد به تعلقاً وله حياً ، ويؤثره بالخطوة  
على جميع المعينين . وداكره في أحوال الملوك . وسير الخلفاء ،  
ونوادير العلماء ، فإذا هو كأستاذ إسحق بحر لا يدرك ساحله .

مراد في تكريمه . واختصه بمجالسته ، على مائدة طعامه . وبالغ  
في الاعتزاز به حتى أفرد له باباً خاصاً ، يستدعيه منه متى أراد  
سماعه ومنادته .

ولم تقف مواهب رزياب عند جودة الغناء والمهارة في العزف  
بل تحلى ذلك إلى تحسين صناعة العود ، كما كانت تبشر بذلك وطنته  
العجيبة التي تجلت أمام الرشيد .

وهو الذي زاد الوتر الخامس في العود بلاد الأندلس ،  
وكان من قبل أربعة . كما أنه هو الذي ابتكر في العزف استعمال  
ريشه لمر ، لأنها تجمع بين القوة والليونة . وكانت لا تزال  
حتى وقته من الخشب

ومن مآثر رزياب على الموسيقى أن هيأ نفسه فيها مدرسة  
خاصة وظيفته مسحة في التعليم . إذ كان المتبع قبله في تقنين  
الألحان أن يكرر المعنى من تلاميذه حتى يحفظوه ، فاستعمل  
رزياب طريقته الجديدة في تعليم هذه الألحان إذ يصل إلى تحقيق  
هذه العناية على ثلاثة مراحل :

الأولى لتعليم الإيقاع في قراءة الشعر ، وأن ينقر التلميذ الدف  
ليظهر له زمن الإيقاع ويضبط الحركات .

ثم يدرس في المرحلة الثانية الألحان في شكلها الساذج .  
وفي الثالثة تجميع الصوت وحنان الغناء وإظهار العواطف .

وكان يمتحن أصوات تلاميذه في البدء في تعميمهم ، فيجلس الطالب على كرسي صغير ويصبح لصوت عال ، يهتف ، أو يعزف قائلاً « آه » ، ويرددها بمدودة على جميع درجات السلم الموسيقي . ثم يقرر بعد هذه التجربة درجة صوت "سبيد" ، من الحسن والجودة والقوة .

وكان زريب فوق مدرسته الموسيقية وعبقريته الفنية ، عالماً جليلاً وشاعراً مطبوعاً ، وفليكيّاً بارعاً ، خبيراً بالحوم وفهمه الأقاليم واختلاف طبائعها وأهويتها . وتشعب بحارها ومختلف بلدانها وسكانها .

وجمع زريب إلى سعة علمه وكبير فضله ، كثيراً من صروب الطرف ، وفنون الأدب ، وأنف المعاصرة ، وآداب المجالس ، وطيب المخادعة ، ومهارة الخدمة المنكبة ، حتى اتخذه ملوك الأسس وحواصمهم قدوة في سيرة لهم من آدابه .

وقد عُد في عصر المُرَّحين رسولاً من رسل المدنية والتحديث في عرف اللياقة ومظاهر ائمان وثائق . فكان به دوفه الخاص ، في الملابس على اختلاف "تقصور" ، وتصفيف الشعر ، واتخاذ الأكواب من الزجاج بدل المعادن ، واصطناع الأصص للأرهار من الذهب والفضة . فاقتدى به الملوك والأمراء والأسراف . وكانت كلمته عديم قانوناً ، ورأيه تشريعاً ، ودستوراً للجمال

وللذوق . وقد استحسن الناس ذوقه حتى في الأطحمة والحوى ،  
وبقيت أسماء بعضها مقرونة باسمه بعد حياته ، وطمت منسوبة إليه  
حتى آخر أيام الأندلس .

ومات زرياب وله العدد الحزم من تلاميذ مدرسته . كما خلف  
ميراثاً فنياً نفيساً بلغ على ما يحدّثنا به المؤرخون عشرة آلاف  
من الأصوات . لم تقتصر ديوانها على بلاد الأندلس ، بل عمت  
جميع الأقطار الإسلامية .

وقد أنجب ثمانية من الأبناء وستين . وقد نعم جميعهم النساء  
ومهرواجه .

\* \* \*

وهكذا استطاع زرياب أن يقهر أخواته ليشق لنفسه الطريق  
إلى المجد . وتغلب على المكائد في بغداد واحدة في القيروان فوجد  
تحت سماء الأندلس الحياة الآمة المتمدنة . فاجتزع للموسيقى  
ولآلاتها ولألحانها . وأنجب ذرية لروحه من الأندلس . وذرية لبيته  
من أبنائه وبناته . وجدد في أصوار المدينة وحمل الذوق . وحلف  
من الألحان عدداً إن لم يكن قد بلغ فيه ما ذكره عنه المؤرخون  
فهو على أي حال ، دليل على غزارة مادته ، واتساع أفقه ، وأنه  
حقق لنفسه من علو الشأن في العرب مكانة لا يقل فيها عن مكانة  
إسحق في الشرق .

## ولادة بنت المستكفي

كان لقرن الخامس الهجري بالنسبة للأندلس عصر شبّه  
وقفة وإزدهار ، فالأندلس حنة المغرب ، ولادتها الحصراء  
تنقلب في أعناق العجم ، والأسر الكريمة تدرى في أسماء القصور  
وابتكار أساليب الفن فيها ، وكانت المدينة العربية الإسلامية  
يوئذ مدرسة الدنيا كلها وعلت حصارات الشرق والعرب ومردحم  
الهنود من كل نوع ولون بين من سحر وإبداع . وكانت تلك  
القصور حلقات جمع مختلف الأطياف والطرائف ، ففيها الطرب  
إلى جانب الأدب والعلم الناحث إلى حوار الفن الرفيع . .

في تلك البيئة المريحة الضاحكة ، وفي ذلك الجو الطليق الساحر  
الحيل شبت ، لادة آية في الروعة والخيال والثراء . ولم لا وهو بنت  
الخليفة المستكفي بالله . قد أوتيت جمال الصورة وحنن الأدب  
وجمال الزينة وجمال لعناء الفاتح و"صوت العبقري وجمال جميع  
الحياة من حوله . وتعبت شيء في ذلك أنها شاعرة ومعنية معاً ،  
وهي فيهما على قمة شقوق والامتنان . فكان طبيعياً أن يعجب بحسبها  
سوقاً تصارع فيه الأرواح ونفوس في المواهب ولكن في أي

شيء يطاولها المتناول ؟ ! فليس عند أحد موهبة تتمتع بها ولادة .  
فن غنى سبقته إلى الأداء ، ومن دنته سحرته بما ليس في قدرته .  
وكان ابن زيدون واحد عصره ، والمبدع بروعه بيانه .  
وقد سار شعره في أفواه "تيان" والمهين لسمو معانيه وموسيقية  
الفاظه فكان الأدب صلة محكمه . بين ابن زيدون وبين ولادة .  
فيها سعد ، وبها أو بحسادهما مما دل شذوذه

وإدما حين نستعرض شعره وزاد حكمة زامن وهوه بأن هذا  
الشعر لم يخلق إلا معناه واستعيرد . فضع إليه وهي سون :

ودع قصير حب ودعك	ذائع من سره ما استودعك
يقزع لسر عي ن لم يكن	زاد في تلك الخطا إذ شيعك
يا أبا الدر ساء وساء	حفظ الله زمانا أطلعك
إلى يش بعدك ليلى فلكم	بت أشكو قصر الليل معك

ثم استمع إلى قولها في بن زيدون :

ألا هل لنا من بعد هذا القرق

سبين فيشكو كل حب بما لني

وقد كنت أوقات تروى في "لشتا

أنت عي جهر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت في حال قلته

لقد عجل تنويره كنت أتقى

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى

ولا الصبر من روى التشوف معتقى

سبى الله أرساً قد غدت لك منزلاً

بكل سكوت هاض الويل معدو

وهـ أجابها ابن ريدون بقوله

حي الله يوماً لست فيه بملتقى

محدث من أجل العوى والنصرى

وذهب غيب عيش دون مسرة

ونى سره من المكثبات المثرى

كانت ولادة بيت المستكنى في مكانها من الأمانس في قصر

الخلافة بقرطبة أشبهه بعلية بيت المهدي في بغداد فكلناهم أمراء

شعرة ، أدبه ، مرسلة ، معية ، عارفة ، مشرفة ، من أولهما

أيضاً عقيقه القلب متمردة الشمة ، ومن يحب أن لمقى كنههما

في معنى التعفف والصون من حيث الحياء والمثل العليا ، يدعى شعراً

يدو أقرب إلى الأدب المكشوف ، وأذن إلى عدم المسارة

أحياناً ، ولكن العجب العاجف في لفتنا فيه من الانقراض من

مدى الحياه ، وترت الحياة الروحية وتكاسها والاكتفاء بهذا الجو

الملي طرباً وأدباً وموسيقى .

كانت ولادة نوح محل أهل الأدب وماصل شعراء

ألباهم ودرهم بئين في سماء نيس ها حور ولا مية

مررت يوماً بقصر الوزير عامر بن عبدوس فالتفت أمام النضر  
فوجدت فيه لمياد فقالت الوزير عن اللهيه .

أت الخنثيب وهذه مصر فندوتنا وذاك كما بحر  
وفي هذا بيت نرى يلتمها بالسارح وتوهم اللذان وسحر  
البيان في كلام موحى وبديهة حاضرة .

ولما كسب ابن زيدون وتعبرت عليه الأيام قال في ولادة  
قصيدة مشهورة .

أصبحي "نناني" من دارنا وياك عن طاب لبتنا تحامينا  
جات بعدك أيمنا فعدت سودا وكادت بكم يصير ليلينا  
نناني حين نأجركم عمارنا تضح علينا الكسبي لولا بأسينا  
ومن ريسون ومن كان في عرف قد شأنيته وبعد مرماه  
إننا نرجح ولادة هي من أوجت به تصيد خام صورة  
من من روحها ورفقه طبع وسجده من بها وهي أيضا روحها  
التي طالت في موهبه ابن ريسون محتلة في الرهراء وعزفت  
في نهم نفسه قصيدة كتبها لها ، هو قال فاش منها من تأليف  
روحها في روحه ما بعض الحقيقة . ومنها :

إني ذكرتك الرهراء مشتافا  
والألمى طلق ووجه الأرض قد اقا  
والسبي اعتلال في أصائله  
كانما رق لي فاعتل إشفافا

واروص عن مائه مضي مبهمة  
كما حلت عن امس امة عا  
يوم كايام لبات لما انصرفت  
لها حين هم اندهر سرور  
نهر بما يستعمل لعل من هر  
جان الذي فيه حي مال اعناق  
كان اعينه إذ عابت في  
نكت لما في مثل اسمع واد

ولئن كان أهل الشرح والشم لم يتوسعوا في مدتها العديدة  
فذلك لأنها غير معدودة من المستقرين اخرين الذين شئون  
من قصر إلى قصر ومن ندوة إلى ندوة فتمسك بهم وشار  
جوائزهم أصف إلى ذلك أنها بدت حبيته ولها من لصوص ما يجمع  
الأسنة عن ما في أحبار أديها

وقد تمت ولادة عمر طوس في طلاس من وبن حسنة  
وسلسيله ، ثم ونعتي وقصع شعر والاحمال انسابا ومحسبا  
حتى وافتها نهايتها عام أربع وثمانين و (١٠٩١ هـ)

## عبد الوهاب بن الحاجب

كادت الموسيقى لشاعرة و"شعر الموسيقى في الأدلس يعتبر  
كل مهمل له يدور الشهي وشعار الثقافة العامة . وأنى شيء كان  
نصور تلك الحضارة العظيمة والمدنية الرائعة ونرف الشامل  
أفصل من الموسيقى ونعماءك لا تكاد تحافظ رجلا ولو كان  
رحل لسارع حتى يحبك بالفت "تريف مروا أو مبتكرا .  
ولا تكاد بعض ندوه أو تظرف باب منزل حتى تسمع نغمة العود  
والمزمار قبل أن تسمع أصوات من في اندار . وذلك لأن القوم  
قد أفسحت لهم البيعة صدرها وأحصت لهم أرواحها وحملت لهم  
وجه مديها . فم من دو صناعه إلا والموسيق إلى جانب صناعته ،  
ولا دور عي إلا وشعر حرم من عيه

ويلا لا يسمع في هذا ما به شئت أن سمع الموسيقى في كل  
شعر أدلس خرد قرامته ، فم رين وعسوير وحمال في المعنى ،  
وتم حداثي وديت وتمر ونهار بين ثمايا الكلمات .  
وهي الموسيقى وعناءه إلا رين وئين وأنخان تتناحيها الأرواح  
الشاعرة الحساسة !!

ولعل عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب ممن تسفر  
شخصيتهم عن أوضح صورة لهذه الحقيقة .

كان كما يصفه المؤرخون ، واحد عصره في الغناء الرائق  
والآدب الرائع والشعر الرقيق والمقط الأنيق ورقة الطمع وإصابة  
الدارر ولتشبيهه المصيب والبدية التي لا يلحق فيها ، مع شرف  
النفس وعلو الهمة .

وهذه الصفات مجتمعة تعنون لب شخصية هذا موسيقار .  
وتصع يدنا على الحلال الرفيعة التي ينبغي ألا يعمومها وتأن مشتق ،  
وإن لم يكن شعراً كابن الحاجب جمع الله به الموهب والمناق  
والمال وعوا انحدر وشرف لبيت والإمارة أو ما يقرب منها .  
فهو داعم البال ، مطمئن النفس ، رحيب العيش ، يرمي في رحاء  
وبهجة ، ويقصد إليه الفنانون من المشرق فيجود عليهم بالمال  
ويجودون عليه بما هو أعلى من المال . وهذه الحال أعتته عن  
مشاق الارتحال ومتاعب التجوال . وكان له من ثروته شرك  
صيد وروض طيل تأوى إليه اللابن ضائعة منساقه إلى الحب  
فيلقها ويصطاد أنغامها في شرك نفسه وفي شبكة حننه . فكل  
ممن يقصد الأندلس لا بد له من أن يعرج على ابن الحاجب ليلقي  
بين يديه بهدايا المشرق من سحر وغناء وشعر . فما يزال المعنى  
أو العارف أو الشاعر أو الأديب في صبح وعروق بين عداه

والعشي حتى يستنفذه ابن الحاجب كل ماله . وهكذا كان يستقبل  
هؤلاء فيريد بهم عنه ويقوى فيه حتى أصبحت ذاكرته مكتبة  
عنايته تحوى على كبر من "التسجيلات الموسيقية من المشرق  
والعرب . وقد كلفه هذا أن ينفق جميع دخله السنوي الكثير  
ويستدين فوقه ما هو أكثر . وهي تضحية تدل على تقدير هؤلاء  
لقبيلة الموسيقى وجمال لغتهم ، وقد أرنصوا في سبيل ذلك المال  
واحتملوا عبء السنين ليردادوا ما وحتى لا ينتطعوا عن تقاطع  
أو نفوتهم شاردة مسكرة أو ضربة حديدية .

ولقد تعلم ابن الحاجب من تجار به وأفاد من زواره واسكر  
الملح احميل للشعر احميل وكلاهما من صمدته حيث كان أعلم أهل  
عصره لصناعة الملح وأهدرهم على العزف بالعود . وكان بشارة  
الرامية من عليه وهو من حراف رمزه المشرق .

ومن عجيب في مثل تلك معصور البعيدة أن ترى ابن الحاجب  
هذا حريصا على أن يتحصن به مصدر سعادته الشخصية والعائلية .  
فإذا لم يرره أحد من أصدقائه أو لم يرره هو أحد منهم جعل بينه  
بدوقة واستدعى العشرات من أهله وأقربائه وغنائه وكلهم مع  
أو عارف به . واسع حول مائدته وهو يباد لهم العزف والسماع  
فيستمع إليهم ويسمعون إليه حتى إذا طرب تفرد فتعنى وعرد

واسترح ودائع حفظه وروائع ابتكاره وقل مستمعيه  
من الأرض إلى ما يشبه الجنة .

هذا هو الفنان الهاوى الذى ترك من سيرته مثلاً تحتديه  
الهواة فى مختلف العصور . فما أسعد تلك الأسرة التى كلها مغنون  
وفنانون وموسيقيون . وهل ينظر من هؤلاء إلا ذوقاً رفيعاً ،  
وخبقة جميلة ، وعشرة سعيدة وحياة يمضى ليلاً ونهارها  
كأيام الأعياد !!

إن كانت هذه أسرة واحدة فلقد كانت الأندلس كلها  
تلك الأسرة ...



## عنهودا الخلفاء

تمكيناً لطلاب البحث من الوقوف على المراحل التاريخية الدقيقة في حياة الموسيقى العربية وأعلامها عبر العصور التي تناولها هذا المصنف . رأينا أن نسجل فيما يلي قائمة بأسماء خلفاء تلك العصور ومدة حكمهم بالتاريخين الهجري والميلادي يثراً لفائدة وتعميقاً لحدواها . وهي بلا شك عظيمة الفائدة حتى لغير المتشعبين بالموسيقى ، لاسيما إذا لوحظ أن "عصوراً" مسطحة على هــأـ النحو غير ميسور للجميع

الخلفاء الراشدون ( ١١ هـ - ٦٣٢ ميلادي - ٤١ هـ - ٦٦١ م )

أبو بكر ( ١١ هـ - ٦٣٢ م - ١٣ هـ - ٦٣٤ م )

عمر ( ١٣ هـ - ٦٣٤ م - ٢٣ هـ - ٦٤٤ م )

عثمان ( ٢٣ هـ - ٦٤٤ م - ٣٥ هـ - ٦٥٥ م )

علي ( ٣٥ هـ - ٦٥٦ م - ٤١ هـ - ٦٦١ م )

خلفاء بني أمية ( ٤١ هـ - ٦٦١ م - ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م )

معاوية بن أبي سفيان ( ٤١ هـ - ٦٦١ م - ٦٠ هـ - ٦٨٠ م )

يزيد بن معاوية ( ٦٠ هـ - ٦٨٠ م - ٦٤ هـ - ٦٨٣ م )

معاوية بن يزيد ( ٦٤ هـ - ٦٨٣ م - ٦٥ هـ - ٦٨٤ م )

مروان بن الحكم ( ٦٤ هـ - ٦٨٤ م - ٦٥ هـ - ٦٨٥ م )

عبد الله بن مروان ( ٦٥ هـ - ٦٨٥ م - ٨٦ هـ - ٧٠٥ م )

- اوليد بن عبد الملك ( ۵۸۶ هـ - ۷۰۵ م - ۵۹۶ هـ / ۷۱۵ م )  
 ابن بن عبد الملك ( ۵۹۶ هـ - ۷۱۵ م - ۵۹۹ هـ / ۷۱۷ م )  
 محمد بن عبد الله ( ۵۹۹ هـ - ۷۱۷ م - ۵۱۰۱ هـ / ۷۲۰ م )  
 محمد بن عبد الملك ( ۵۱۰۱ هـ - ۷۲۰ م - ۵۱۰۵ هـ / ۷۲۴ م )  
 هشام بن عبد الملك ( ۵۱۰۵ هـ - ۷۲۴ م - ۵۱۲۵ هـ / ۷۴۳ م )  
 محمد بن يزيد بن عبد الملك ( ۵۱۲۵ هـ / ۷۴۳ م - ۵۱۲۶ هـ / ۷۴۴ م )  
 محمد بن عبد الملك ( ۵۱۲۶ هـ - ۷۴۴ م - ۵۱۲۶ هـ / ۷۴۴ م )  
 محمد بن وليد ( ۵۱۲۶ هـ / ۷۴۴ م - ۵۱۲۷ هـ / ۷۴۴ م )  
 محمد بن محمد بن وان ( ۵۱۲۷ هـ / ۷۴۴ م - ۵۱۳۲ هـ / ۷۵۰ م )

حمزة بن عباس ( ۱۲۲ هـ - ۷۵۰ م - ۶۵۶ هـ / ۱۲۵۸ م )

- ( || ) حمزة بن عباس ( ۱۲۲ هـ - ۷۵۰ م - ۶۵۶ هـ / ۱۲۵۸ م )  
 محمد بن عبد الله ( ۱۲۲ هـ - ۷۵۰ م - ۶۵۶ هـ / ۱۲۵۸ م )  
 محمد بن منصور ( ۶۵۶ هـ - ۷۵۴ م - ۶۵۸ هـ / ۷۷۵ م )  
 محمد بن منصور ( ۶۵۸ هـ - ۷۷۵ م - ۶۶۹ هـ / ۷۸۵ م )  
 محمد بن منصور ( ۶۶۹ هـ - ۷۸۵ م - ۶۷۰ هـ / ۷۸۶ م )  
 محمد بن منصور ( ۶۷۰ هـ - ۷۸۶ م - ۶۹۳ هـ / ۸۰۹ م )  
 محمد بن منصور ( ۶۹۳ هـ - ۸۰۹ م - ۶۹۸ هـ / ۸۱۳ م )  
 محمد بن منصور ( ۶۹۸ هـ - ۸۱۳ م - ۷۱۸ هـ / ۸۳۳ م )  
 محمد بن منصور ( ۷۱۸ هـ / ۸۳۳ م - ۷۲۷ هـ / ۸۴۲ م )  
 محمد بن منصور ( ۷۲۷ هـ / ۸۴۲ م - ۷۴۰ هـ / ۸۴۷ م )

(ب) لعصر العباسي ثانياً - الاصحاح (٨٢٧ ٥٢٣٢ - ٨٤٥ ٥٣٣٢)	
(٨٦١/٥٢٤٧ - ٨٤٧ ٥٢٣٢)	التوكل على الله في المعصية
(٨٦٢ ٥٢٤٨ - ٨٦١ ٥٢٤٧)	المتوكل في التوكل
(٨٦٦ ٥٢٥٢ - ٨٦٢ ٥٢٤٨)	المستعين بالله في المعصية
(٨٦٩/٥٢٥٥ - ٨٦٦/٥٢٥٢)	المعتمد في التوكل
(٨٧٠/٥٢٥٦ - ٨٦٩/٥٢٥٥)	مهمدي بالله في الواجب
(٨٩٢ ٥٢٧٩ - ٨٧٠ ٥٢٥٦)	المعتمد على الله في التوكل
(٨٩٢ ٥٢٧٩ - ٨٩٢ ٥٢٧٩)	محمد المعتمد بالله
(٩٠٨ ٥٢٩٥ - ٩٠٢ ٥٢٨٩)	المعتمد بالله في المعصية
(٩٣٢ ٥٣٢٠ - ٩٠١/٥٢٩٥)	المعتمد بالله في المعصية
(٩٣٢ ٥٣٢٢ - ٩٢٢ ٥٣٢٠)	المعتمد بالله في المعصية
(٩٤٠ ٥٣٢٩ - ٩٣٤ ٥٣٢٢)	رضى بالله في المعصية
(٩٤٤ ٥٣٣٣ - ٩٤٠ ٥٣٢٩)	المعتمد بالله في المعصية
(٩٤٥ ٥٣٣٤ - ٩٤٤ ٥٣٣٣)	المعتمد بالله في المعصية

(ج) عصر العباسي ثالثاً - سقوطه (٩٤٥ ٥٣٣٤ - ١٢٥٨ ٥٦٥٦)	
(٩٧٣/٥٣٦٣ - ٩٤٥ ٥٣٣٤)	المعتمد بالله في المعصية
(٩٩١ ٥٣٨١ - ٩٧٣ ٥٣٦٣)	المعتمد بالله في المعصية
(١٠٣١/٥٤٢٢ - ٩٩١/٥٣٨١)	محمد بن أحمد في المعصية
(١٠٧٤ ٥٤٦٧ - ١٠٣١ ٥٤٢٢)	محمد بن أحمد في المعصية
(١٠٩٤ ٥٤٨٧ - ١٠٧٤ ٥٤٦٧)	محمد بن أحمد في المعصية
(١١١٨/٥٥١٣ - ١٠٩٤ ٥٤٨٧)	محمد بن أحمد في المعصية

(١١١٨ ٥٥١٣ - ١١٣٤ ٥٥٢٩)	أبو عبد الله
(١١٣٥ ٥٥٣٠ - ١١٣٤ ٥٥٢٩)	أبو عبد الله بن أحمد
(١١٦٠ ٥٥٥٥ - ١١٣٥ ٥٥٣٠)	المقتضى لأمر الله
(١١٧٠ ٥٥٦٦ - ١١٦٠ ٥٥٥٥)	المستبعد بالله من نفسي
(١١٧٩ ٥٥٧٥ - ١١٧٠ ٥٥٦٦)	مضى بأمر الله
(١٢٢٥ ٥٦٢٢ - ١١٧٩ ٥٥٧٥)	الناصر بالله

دوله بنى أميه بالأساس (٧٥٦ ٥١٣٨ - ١٠٣١/٥٤٢٢)

(٧٨٨/٥١٧٢ - ٧٥٦/٥١٣٨)	عبد الرحمن بن معاوية
(٧٩٦ ٥١٨٠ - ٧٨٨ ٥١٣٢)	هشام بن عبد الرحمن
(٨٢٢/٥٢٠٦ - ٧٩٦/٥١٨٠)	الحكيم بن هشام
(٨٥٢/٥٢٣٨ - ٨٢٢ ٥٢٠٠)	عبد الرحمن بن حكيم
(٨٨٦ ٥٢٧٢ - ٨٥٢ ٥٢٣٨)	محمد بن عبد الرحمن بن حكيم
(٨٨٨ ٥٢٧٥ - ٨٨٦ ٥٢٧٣)	المدر بن محمد بن عبد الرحمن
(٩١٢ ٥٣٠٠ - ٨٨٨ ٥٢٧٥)	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
(٩٦١/٥٣٥٠ - ٩١٢/٥٣٠٠)	عبد الرحمن الناصر بن محمد
(٩٧٦ ٥٣٦٦ - ٩٦١ ٥٣٥٠)	المستبعد بحكم بن عبد الرحمن
(١٠٠٨/٥٣٩٩ - ٩٧٦ ٥٣٦٦)	هشام المؤيد بن الحكيم
(١٠٠٩ ٥٤٠٠ - ١٠٠٨ ٥٣٩٩)	أحمد بن محمد بن هشام
(١٠٠٩ ٥٤٠٠ - ١٠٠٩ ٥٤٠٠)	سليمان بن محمد بن هشام
(١٠٠٩ ٥٤٠٠ - ١٠٠٩/٥٤٠٠)	المهدي بن محمد بن هشام (ثانية)

هشام بن حكيم (تأريخ) (٥٠٩ هـ - ٤٠٢ هـ / ١٠١٢ م)  
 سليمان بن يحيى (تأريخ) (٥٠٣ هـ - ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م)  
 ملك بن محمود (٤٠٧ هـ / ٥٠١٦ م - ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م)  
 المستظهر بن عبد الرحمن بن هشام (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م - ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م)  
 المستفي بن محمد بن عبد الرحمن (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م - ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م)  
 ملك بن محمود (تأريخ) (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م - ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م)  
 المعتمد هشام بن محمد (٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م - ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م)

---

## للمؤلف

- ١ - الكوميدي الحدث      مجموعة الأولى من أرملة المرحية  
طبع القاهرة سنة ١٩١٧
- ٢ - أشهر مشاهير الموسيقى العربية      طبع برلين سنة ١٩٢٣
- ٣ - رسالة لكسدي في حبر أليف الألحان      طبع بيرج سنة ١٩٣١
- ٤ - ان سببا ونصائحه لموسيقية      طبع برلين سنة ١٩٣١
- ٥ - دراسة لقانون      طبع القاهرة سنة ١٩٣٤
- ٦ - محله «الموسيقى» (١٤ عدد)      طبع القاهرة سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦
- ٧ - موسيقى قديم مصر      طبع القاهرة سنة ١٩٣٦
- ٨ - صور التاريخ الموسيقي      طبع مطبعة المساحة بالقاهرة سنة ١٩٣٧
- ٩ - الموسيقى اسطورية      { القاهرة  
د ثمانية سنة ١٩٣٩  
د ثلاثة سنة ١٩٤٦
- ١٠ - موتزارت      { قصة الطفل المعمر  
والموسيقى العبقري      طبع القاهرة سنة ١٩٣٩
- ١١ - المحلة الموسيقية (١٣٧ عددا)      طبع القاهرة سنة ١٩٣٦ - ١٩٤١
- ١٢ - الموسيقى في كلمات      د د د ١٩٤٣

- ١٣ - بيثوفن
- ١٤ - تبسيط دراسة موسيقى
- ١٥ - تنظيم أوقات اعراع { القاهرة  
عنه لأول مرة ١٩٤٥  
لديه سنة ١٩٤٥ }
- ١٦ - مجلة الموسيقى والشرح (٤٨ عددًا) مع القاهرة ١٩٤٧ - ١٩٥١
- ١٧ - فردريك شوبان مع القاهرة ١٩٤٩
- ١٨ - أعلام الغرب (من سلسلة التاريخ لموسيقى) { معه أول مرة ١٩١٩  
لثانية سنة ١٩٥١ }
- ١٩ - الموسيقى العربية وأعلامها (من سلسلة التاريخ للموسيقى)

I 10 85 25 20

B 3. 75 2 28

مجلة

# الموسيقى والمسرح

بصدرها : دكتور محمود أحمد الحفني

« هي المجلة الوحيدة في الشرق التي تحمل الرسالة الفنية وتنتشر البحوث الموسيقية وتدون الأغاني والأناشيد ندوياً على أساس صحيح من العلم والفن يجمع بين الشعر والتلحين والشرح وتسجيل النوتة الموسيقية .

« هي كتاب دوري وسجل في يضع بين يديك كل ما وصلت إليه نهضة هذا الفن ويطلعك بكل ما يهيك الوقوف عليه من تجديد وإساج .

« هي مرشد صادق ومشير أمين ورائد يكشف للفنان طريقه إلى استكمال ثقافته والمزيد منها . لا يستغنى عنها من يشتغل بهذا النوع من التعليم . كما لا غنى عنها للمحترفين والهواة .

« مجلة « الموسيقى والمسرح » ستبقى دائماً أحدث كتاب في يدك . يادر بالاشتراك فيها بعنوان ٥ ميدان الشيخ يوسف قصر الدوبارة

وقيمة اشترى كبا السنوى ٦٠ قرشا صاغاً

## AUC - LIBRARY

DATE DUE~~APR 30 1987~~

NOV 23 1988

~~DEC 15 1988~~~~DEC 20 1988~~~~2 - JAN 1990~~

ML

332

H43

1951

APR 71



